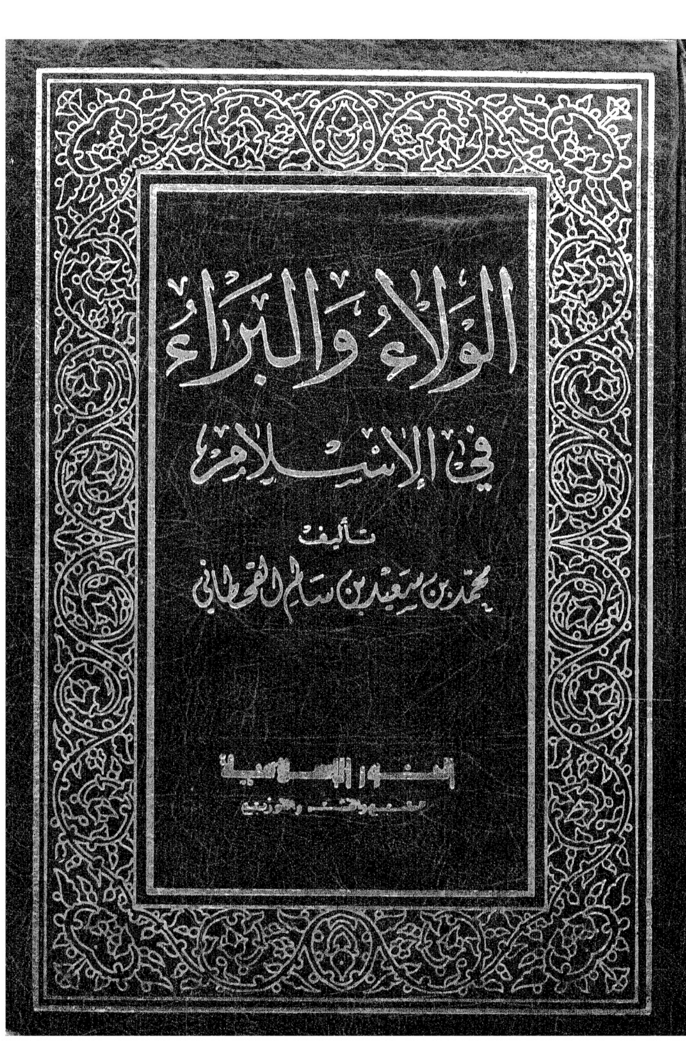

الولاء والبراء
في الإسلام
تأليف
محمد بن سعيد بن سالم القحطاني

الولاء والبراء في الإسلام

الولاء والبراء في الإسلام

من مفاهيم عقيدة السلف

تأليف
محمد بن سعيد بن سالم القحطاني

تحت إشراف
الأستاذ محمد قطب

هذا الكتاب

رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة التخصص الأولى «الماجستير» من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، فرع العقيدة وقد تكونت لجنة المناقشة من:

١ - فضيلة الشيخ الأستاذ محمد قطب المشرف على الرسالة: رئيساً.

٢ - فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي: عضواً.

٣ فضيلة الدكتور عبد العزيز عبيد: عضواً.

ومنح صاحبها درجة الماجستير بتقدير ممتاز وذلك ليلة السبت ١٤٠١/٨/٤ هـ.

قَالَ تَعَالَى :-

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾

المائدة

وَقَالَ تَعَالَى :-

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ

آية ٤ الممتحنة

وقالَ صلّى الله عليه وسلّم

« أوثقُ عُرى الإيمانِ الموالاةُ في اللهِ والمعاداةُ في اللهِ والحبُّ في الله والبغضُ في اللهِ »

حديث حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ العلّامة عبد الرزاق عفيفي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فموضوع هذا الكتاب له شأنه وله أهميته في نفسه ، وبالنسبة لكتابته في هذا الوقت ، فبين كتابته وبين الوقت الذي نعيش فيه الآن مناسبة قوية .

أما أهميته في نفسه : فذلك لأنه في أصل من أصول الإسلام هو : « الولاء والبراء » .

وهما مظهران من مظاهر إخلاص المحبة لله ، ثم لأنبيائه وللمؤمنين .

والبراء : مظهر من مظاهر كراهية الباطل وأهله . وهذا أصل من أصول الايمان وأما أهميته بالنظر للوقت الحاضر : فلأنه قد اختلط الحابل بالنابل ! ، وغفل الناس عن مميزات المؤمنين التي يتميزون بها عن

الكافرين ، وضعُف الايمان في قلوبهم حتى ظهرت فيهم مظاهر يكرهها المؤمن .

والوا الكافرين أمماً ودولاً ، وزهدوا في كثير من المؤمنين ، وحطوا من قدرهم وساموهم سوء العذاب

ومن هنا : تأتي أهمية نشر هـذا الكتاب في هـذا الوقت الحـاضر بالذات .

ولقد جاء المؤلف على جوانب الولاء والبراء ، ونقل في ذلك كثيراً من كلام العلماء ، وقدم له ومهد ، وعقب عليه وعلق ، وأستدل على ما جاء به من مبادىء الولاء والبراء بآيات من القرآن ، وبأحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ ، وبكثير من آثار الصحابة ومن تبعهم من السلف .

وبين وجه الاستشهاد بهذا وبهذا ، ورقم للآيـات وبين سـورها ، وأخرج الأحاديث والآثار وبين درجتها في الغالب الكثير .

وبرزت شخصية الباحث في كتابه مما يدل على سعة اطلاعه وقوة بحثه .

وأسأل الله جلّ شأنه أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب ، وأن يهيء لمؤلفه إخواناً ينهجون نهجه ، فالأمل كبير ، الأمل في الله عظيم أن ينشأ كثير من شبابنا الحاضر على هذا المبدأ القيم ، مبدأ نصرة دين الإسلام وإحياء ما اندرس منه فإن ربي مجيب الدعاء .

عبد الرزاق عفيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ، ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد :

فإنه من رحمة الله سبحانه وتعالىٰ وعظيم لطفه بخلقه : أن جعل الرسالة المحمدية هي خاتمة الرسالات السماوية ، وجعلها سبحانه وتعالىٰ كاملة صافية نقية لا يزيغ عنها الا هالك . وكتب تبارك اسمه وتعالىٰ جده السعادة في الدارسين لاتباع هذه الرسالة الذين قدروها حق قدرها ، وقاموا بها على وفق ما أراد الله وعلى هدي نبي الله ﷺ وسماهم أولياء الله وحزبه . وكتب عزّ وجلّ الشقاء والذلة على من حاد عن هذه الشريعة وتنكب الصراط المستقيم وسماهم أولياء الشيطان وجنده .

وأصل هذه الرسالة الخالدة : كلمة التوحيد ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ هذه الكلمة العظيمة ـ كما يقول ابن القيم ـ « التي لأجلها نصبت الموازين ، ووضعت الدووابن ، وقام سوق الجنة والنار ، وبها انقسمت الخليقة الى المؤمنين والكفار ، والابرار والفجار وأسست الملة ، ولأجلها جردت السيوف للجهاد ، وهي حق الله على جميع العباد » وحقيقة هذه الكلمة : « مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً ، والتصديق به عقداً ، والإقرار به نطقاً ، والانقياد له محبة

وخضوعاً ، والعمل به باطناً وظاهراً ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الامكان ، وكماله في الحب في الله ، والبغض في الله ، والعطاء لله ، والمنع لله ، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده .

والطريق اليه : تجريد متابعة رسوله ﷺ ظاهراً وباطناً ، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله » .

هذه الكلمة العظيمة بكل مفاهيمها ومقتضياتها قد غابت عن حس الناس اليوم الآ من رحم الله ، ومن هذه المفاهيم بل من أهمها موضوع : الولاء والبراء .

ولئن كان هذا المفهوم العقدي الهام قد غاب اليوم عن واقع حياة المسلمين ـ الا من رحم ربك ـ فإن ذلك لا يغير من حقيقته الناصعة شيئاً .

ذلك ان الولاء والبراء : هما الصورة الفعلية للتطبيق الواقعي لهذه العقيدة ـ وهو مفهوم ضخم في حس المسلم بمقدار ضخامة وعظمة هذه العقيدة .

ولن تتحقق كلمة التوحيد في الأرض إلا بتحقيق الولاء لمن يستحق الولاء والبراء ممن يستحق البراء .

ويحسب بعض الناس أن هذا المفهوم العقدي الكبير يدرج ضمن القضايا الجزئية أو الثانوية ولكن حقيقة الأمر بعكس ذلك .

إنها قضية ايمان وكفر كما قال الله تعالىٰ :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ

٢٣ ـ ٢٤ التوبة

وقال جل جلاله :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ

٥١ المائدة

وقد قال احد العلماء ـ وهو الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله ـ « انه ليس في كتاب الله تعالىٰ حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ـ أي الولاء والبراء بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده »[1] .

ولقد قامت الأمة الاسلامية بقيادة البشرية دهراً طويلاً حيث نشرت هذه العقيدة الغرّاء في ربوع المعمورة ، وأخرجت الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

ثم ما الذي حدث ؟

* لقد تقهقرت هذه الأمة إلى الوراء بعد أن تركت الجهاد وأخذت بأذناب البقر !
* تراجعت بعد أن زهدت في الجهاد وهو ذروة سنام الاسلام .
* تبعت الأمم الأخرى بعد أن ركنت إلى حياة الدعة والرفاهية والبذخ والمجون .
* تبلبلت أفكارها بعد أن خلطت نبعها الصافي بالفلسفات الجاهلية والهرطقة البشرية .

---

(١) النجاة والفكاك ص ١٤ .

* دخلت هذه الأمة في طاعة الكافرين وأطمأنت اليهم ، وطلبت صلاح دنياها بذهاب دينها فخسرت الدنيا والآخرة .

وبرزت صور موالاة الكفار في أمور شتى منها :

(١) محبة الكفار وتعظيمهم ونصرتهم على حرب أولياء الله ، وتنحية شريعة الله عن الحكم في الأرض ورميها بالقصور والجمود وعدم مسايرة العصر ومواكبة التقدم الحضاري .

(٢) ومنها : استيراد القوانين الكافرة ـ شرقية كانت أم غربية ـ وإحلالها محل شريعة الله الغرّاء وغمز كل مسلم يطالب بشرع الله بـ : التعصب والرجعية والتخلف !

(٣) ومنها : التشكيك في سنة رسول الله ﷺ والطعن في دواوينها الكريمة والحط من قدر أولئك الرجال الاعلام الذين خدموا هذه السنة حتى وصلت الينا .

(٤) قيام دعوات جاهلية جديدة تعتبر ردة جديدة في حياة المسلمين ، ذلك مثل دعوة القومية الطورانية والقومية العربية والقومية الهندية و . . و . . . الخ .

(٥) إفساد المجتمعات الاسلامية عن طريق وسائل التربية والتعليم وبث سموم الغزو الفكري في المناهج والوسائل الاعلامية بكل أصنافها .

وأمام هذه الصور وغيرها من الصور الكثيرة تنشأ أسئلة كثيرة تحتاج إلى إجابات صادقة وافية يدعمها الدليل من الكتاب والسنّة والاسترشاد بآراء العلماء الاعلام ومن هذه الاسئلة : لمن ينتمي المسلم ؟ ولمن يكون ولاؤه ؟ وممن يكون براؤه ؟ ما حكم تولي الكفار ونصرتهم ؟ ما حكم الاسلام في المذاهب الفكرية التي يروج لها المستغفلون أو الحاقدون من أبناء أمتنا وممن ينطقون بألستنا ؟

كيف ينبغي أن تكون صورة الولاء للمسلمين الذين يضطهدون اليوم وغير اليوم في مشارق الأرض ومغاربها حيث تكالبت عليهم قوى الشر والكفر ؟

ما هو طريق الخلاص بعدما تقبل المسلمون لباس العبودية العقلية الذي خلعته عليهم المدنية الأجنبية ؟

يستثير هذه الأسئلة وغيرها غيابُ المفهوم الصحيح لكلمة التوحيد ، وبعد ذلك عن واقع المسلمين اليوم حيث مسخت مفاهيمها حتى صار من يقر بتوحيد الربوبية فقط دون توحيد الألوهية يعتبر موحداً عند كثير من الناس !!!

أما كون لا إله إلا الله ولاء وبراء ، أما كونها توحيد ألوهية وعبادة : فهذه معان لا تخطر على أذهان الكثير ـ الا من رحم الله ـ

ورحم الله الامام الداعية شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب حين قال : « إن الانسان لا يستقيم له اسلام ولو وحد الله وترك الشرك الا بعداوة المشركين كما قال تعالى في سورة المجادلة :

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ
كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ

۲۲ المجادلة[1] .

وانطلاقاً من مجموع هذه الأمور ، وحباً في خدمة هذه العقيدة ، ورغبة في تفنيد الباطل وبيان الحق : عقدت العزم واستعنت بالله وكتبت هذا الموضوع وسميته : الولاء والبراء في الاسلام .

وأنا أعلم ـ يقيناً ـ أن مثلي لا يعطي هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة نظراً لقلة البضاعة وسعة الموضوع ، ولكنني بذلت جهد المقل ، واجتهدت ان أصل به الى الصورة التي تليق به ، فإن أصبت فذاك ما أردت والفضل لله أولاً وآخراً .

وان كانت الأخرى فاستغفر الله لذنبي . وحسبي أني بذلت طاقتي ووضعت لبنة في طريق من يريد إكمال البناء .

وأقول كما قال سلفنا الصالح : رحم الله امرءاً أهدى اليّ عيوبي .

---

(۱) مجموعة التوحيد ص ۱۹ ط دار الفكر بالقاهرة .

كما أنني أطلب من كل قارىء كريم ـ عالم أو متعلم ـ قرأ هذا الكتاب ووجد فيه خللاً أن ينبهني إلى ذلك وله من الله الأجر والمثوبة على قيامه بواجب النصح ثم له مني الدعاء بظاهر الغيب .

وأخيراً أتقدم بخالص الشكر والتقدير لاستاذي الكبير العالم العامل الشيخ محمد قطب حفظه الله لما أسداه الي من نصح وتوجيه ، وإرشاد وتنبيه إبّان اشرافه على هذا البحث ، سائلاً الله العلي القدير أن يجزيه عني خير ما جازى معلم عن تلميذه والله الهادي الى سواء السبيل .

اللّهم اجعل عملنا خالصاً صائباً ، خالصاً لوجهك الكريم صائباً وفق كتابك وسنّة نبيك ﷺ .

ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربّنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وأرحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

محمد سعيد سالم القحطاني
مكة المكرمة
١٤٠٢/٥/١٥ هـ

التمهيد

التمهيـد

لكي نتحدث عن الولاء والبراء من واقع التصور الاسلامي الصحيح لا بد أن نتحدث في هذا التمهيد عن حقائق ثلاث هي :

(١) حقيقة الاسلام الممثلة في كلمة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ومدلول هذه الكلمة وشروطها .

(٢) الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد .

(٣) نواقض الاسلام : الشرك والكفر والنفاق والردة .

وهدفي من هذا هو : أن أحاول ـ بقدر الطاقة ـ ابراز حقيقة الاسلام ، وحقيقة ما يناقضه . مع ابراز حقيقة قضية الولاء والبراء ودورهما في حياة المسلمين . لأن الولاء والبراء جزء من هذه العقيدة فالحديث عنه يستلزم الحديث عن أساس هذه العقيدة وهي كلمة التوحيد . ومعرفة هذه العقيدة معرفة صحيحة أمر ضروري للمسلم ليكون ولاؤه وبراؤه بحسبها . إذ من المحال أن تكون هناك عقيدة سليمة بدون تحقيق الموالاة والمعاداة الشرعية .

ثم ان الوقوف على حقيقة دعوة رسول الله ﷺ وما أحدثته هذه الدعوة من تحول في تاريخ البشرية ، وما بنته من حضارة سعد بها الانسان المسلم منذ أول لحظة عرف فيها ربه ودينه ونبيه : لأمر جدير بالتأمل ، تلك الدعوة التي جاءت وقد كان الناس يعيشون في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، ثم انقذتهم واحيتهم بعد ممات :

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا

١٢٢ الأنعام .

ولقد أوضح حقيقة تلك الحال التي كانوا عليها الصحابي الجليل المقداد[1] بن الاسود رضي الله عنه فقال فيما رواه أبو نعيم في الحلية (. . والله لقد بعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليه نبي من الأنبياء ، في فترة وجاهلية . ما يرون ديناً أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده ، حتى أن الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافراً - وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للايمان - ليعلم أنه قد هلك من دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حميمه في النار ، وانها للتي قال الله عز وجل :

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ [2]

٧٤ الفرقان .

هذه الجاهلية التي تحدث القرآن عنها وهو يمن على المسلمين بالهداية . قال تعالى :

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

١٠٣ آل عمران .

---

(١) هو المقداد بن الأسود . أسلم قديماً وشهد بدراً والمشاهد ، وكان فارساً يوم بدر . توفي سنة ٣٣ هـ قال بعضهم وهو ابن سبعين سنة . وكان ذلك بالجرف على بعد ثلاثة أميال من المدينة وحمل الى المدينة ودفن بها . انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ١٠/٢٨٥ .

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/١٧٥ وذكره صاحب كتاب حياة الصحابة ١/٢٤١ وقال ان الطبراني اخرجه أيضاً بمعناه بأسانيد في احدهما يحيى بن صالح . وثقه الذهبي ، وقد تكلموا فيه ، وبقية رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٧ .

ولما عرف الصحابة رضوان الله عليهم الجاهلية ، ثم عرفوا الاسلام ، خرجوا - نتيجة للتربية القرآنية والعناية النبوية - وهم أعظم جيل عرفه تاريخ هذه الدعوة .

ترى ، ما سر تلك العظمة التي نقرأ عنها ونسمع ، وكأنها شبه أحلام ، نظراً للهوة السحيقة التي وصلنا اليها ؟ ذلك الجيل الذي كان الواحد منهم اذا دخل في الاسلام خلع على عتبته كل ماضيه في الجاهلية ، وانتقل نقلة بعيدة من عالم مظلم سحيق ، وتصور قاصر ، ومفاهيم كليلة ، وعبودية للمال والعبيد ، الى حياة رحبة فسيحة ، وعالم يملؤه نور الله ، وتصور كامل شامل ، واستعلاء على كل عبودية الا العبودية لله عزّ وجلّ[3] .

إن سر ذلك النجاح ، وتلك العظمة هو نقطة البدء التي بدأ بها رسول الله ﷺ وهي كلمة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » هذه الكلمة التي مزقت كل رابطة ، وأهدرت كل وشيجة الا وشيجة العقيدة . رابطة الحب في الله ، رابطة المؤاخاة الايمانية التي يتهاوى دونها كل عرق ودم وتراب وجنس ولون .

ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي . اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي »[4] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم

---

(٣) انظر معالم في الطريق للاستاذ سيد قطب ص ١٦ فصل جيل قرآني فريد . طبع دار الشروق . وانظر كتاب : أبو بصير قمة في العزة الاسلامية للاستاذ محمد حسن بريغش ص ٤٧ ط ٢ سنة ١٣٩٧ هـ الناشر مكتبة الحرمين بالرياض .

(٤) صحيح مسلم كتاب البر ج ١٩٨٨/٤ ح ٢٥٦٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤ هـ / دار احياء الكتب العربية وانظر المسند للامام احمد ج ١٩٢/١٦ ح ٨٤٣٦ تحقيق الشيخ أحمد شاكر ط ٤ سنة ١٣٧٣ هـ دار المعارف بمصر والموطأ ج ٢ /٩٥٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

من الله تعالىٰ » قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال : « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم على نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس » وقرأ هذه الآية :

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٥)

يونس : ٦٢ .

ولقد مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى هذه العقيدة ويمكنها في نفوس العصبة المسلمة ، مما جعل آثار ذلك تنعكس في أفعالهم الحميدة ، وجهادهم المستمر لنشر كلمة الله في الأرض ، حين قامت دولة المصطفى ﷺ في المدينة المنورة .

إن الذي يجعلنا نتحدث عن قضية الألوهية ، ومفهومها الصحيح الذي جاء به الاسلام هو الحاجة الماسة لشرحها اليوم ، وبيانها للناس . بعد أن انحرف الناس ـ إلا من رحم الله ـ عن العقيدة الصافية التي جاء بها الرسول ﷺ .

لقد أصبحت هذه القضية عند سواد الناس اليوم مجرد لفظة ترددها الألسنة دون وعي وتدبر لمعناها ولوازمها ، ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب ، بل تعداه إلى ايراد بعض النصوص للاستشهاد بها على ما يرون من معتقد ، دون نظر لكامل النصوص في هذه القضية ، ودون رجوع إلى بيان ذلك في كتب أهل العلم من كتب الحديث وشروحها وكتب التفسير وشروح جهابذة رجال الدعوة والاصلاح على مدار تاريخ هذه الأمة .

ومسخ أيضاً مفهوم العبادة الشامل الكامل للحياة الدنيا والآخرة إلى جزء يسير منها وهو الشعائر التعبدية من صلاة وصيام وزكاة وحج » .

أما النظام الذي تقوم عليه الحياة . أما الولاء لمن يكون ؟ والبراء ممن يكون ؟

---

(٥) سنن أبي داود كتاب البيوع ج ٧٩٩/٣ ح ٣٥٢٧ واسناده صحيح . تعليق عزت الدعاس الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ هـ الناشر محمد علي السيد بسوريا .

أما الحب لمن ؟ والبغض لمن ؟ فهذه معانٍ بعيدة عن تصورهم ومجال تفكيرهم ! !

إن هذا الدين لم يكن توحيد ربوبية فحسب . وانما هو أيضاً توحيد ألوهية وتوحيد أسماء وصفات تليق بجلال الله وعظمته .

ونأمل ـ كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ـ « حال رسول الله ﷺ لما قام ينذر المشركين عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد ، لم يكرهوا واستحسنوا ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح بسب دينهم وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة ، وقالوا : سفه أحلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم آلهتنا ، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه ، ولا الملائكة ، ولا الصالحين ، ولكن لما ذكر أنهم لا يُدعون ولا ينفعون ، ولا يضرون : جعلوا ذلك شتماً .

فاذا عرفت هذا ، عرفت أن الانسان لا يستقيم له اسلام ـ ولو وحد الله وترك الشرك ـ إلا بعداوة المشركين ، والتصريح لهم بالعداوة والبغض ، كما قال تعالىٰ في سورة المجادلة :

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ
كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ٢٢ المجادلة

فاذا فهمت هذا جيداً عرفت أن كثيراً من الذين يدّعون الدين لا يعرفونها ـ أي لا إله إلا الله ـ والا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك والعذاب والأسر ، والضرب ، والهجرة للحبشة ، مع أنه ﷺ أرحم الناس لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم »(٦) .

---

(٦) مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب وغيرهم ص ١٩ الناشر دار الفكر بالقاهرة .

وما دام أن هناك من يجهل حقيقة « لا إله إلا الله » فلا بد من الشرح لها ، والبيان لمدلولها وحقيقتها ، وشروطها ونواقضها ولوازمها واليك ذلك مفصلاً . ومن الله نستمد العون والسداد .

كلمة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله »

ومعناها : لا معبود بحق إلا الله ، وبذلك تنفي الإلٰهية عما سوى الله وتثبتها لله وحده[7] .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : « ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله ، والتقرب اليه بما يحبه ، ولا تمكن محبة إلا بالاعراض عن كل محبوب سواه ، وهذا حقيقة « لا إله إلا الله » وهي ملة ابراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين »[8] أما شقها الثاني « محمد رسول الله » فمعناه تجريد متابعته ﷺ فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر .

ومن هنا كانت « لا إله إلا الله » ولاء وبراء ، نفياً واثباتاً .

ولاء لله ولدينه وكتابه وسنّة نبيه وعباده الصالحين .

وبراء من كل طاغوت عبد من دون الله[9] :

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ ٢٥٦ البقرة .

---

(٧) انظر فتح المجيد ص ٣٦ .

(٨) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج ٣٢/٢٨ . جمع عبد الرحمن ابن قاسم ط الأولى مطبعة الحكومة سنة ١٣٨١ هـ .

(٩) عرف ابن القيم الطاغوت تعريفاً جامعاً فقال : الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحكامون اليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله . فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن ص ١٦ ط ٧ سنة ١٣٧٧ هـ مطبعة انصار السنة .

وفي هذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : واعلم أن الانسان ما يصير مؤمناً بالله الا بالكفر بالطاغوت والدليل هذه الآية[10] يعني الآية السابقة ٢٥٦ سورة البقرة .

وكلمة التوحيد ولاء لشرع الله :

اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

٣ الأعراف .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا

٣٠ الروم .

وبراء من حكم الجاهلية :

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ

٥٠ المائدة .

وبراء من كل دين غير دين الاسلام :

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

٨٥ آل عمران

ثم هي نفي واثبات تنفي أربعة أمور . وتثبت أربعة أمور .

* تنفي : الآلهة ، والطواغيت ، والأنداد ، والأرباب .

---

(١٠) الدرر السنية ج ١ /٩٥ جمع عبد الرحمن بن قاسم .

فالآلهة : ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضر ، أنت متخذه إلهاً .
والطواغيت : من عبد وهو راض ، أو رُشح للعبادة .

والانداد : ما جذبك عن دين الاسلام ، من أهل ، أو مسكن ، أو عشيرة ، أو مال : فهون ند لقوله تعالى :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ

١٦٥ البقرة .

والأرباب : من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته ، مصداقاً لقوله تعالى :

ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ

٣١ التوبة .

وتثبت أربعة أمور :

القصد : وهو كونك ما تقصد إلا الله .

والتعظيم والمحبة : لقوله تعالىٰ :

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ

١٦٥ البقرة .

والخوف والرجاء : لقوله تعالى:

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ
لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ
بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ

١٠٧ يونس .

فمن عرف هذا قطع العلاقة مع غير الله ولا تكبر عليه جهامة الباطل ، كما

أخبر تعالى عن ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام بتكسير الأصنام ، وتبريه من قومه :

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ ٤ الممتحنة .[11]

ولقد جاء القرآن من أوله إلى آخره يبيّن معنى لا إله إلا الله ، بنفي الشرك وتوابعه ، ويقرر الاخلاص وشرائعه ، فكل قول وعمل صالح يحبه الله ويرضاه هو من مدلول كلمة الاخلاص ، لأن دلالتها على الدين كله إما مطابقةً وإما تضمناً وإما التزاماً[12] ، يقرر ذلك أن الله سماها كلمة التقوى .

والتقوى : ان يتقي سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصي ، واخلاص العبادة لله ، واتباع أمره على ما شرعه . كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : « ان تعمل بطاعة الله ، على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله ، تخاف عقاب الله »[13] .

أما كيف تم لأصحاب رسول الله ﷺ معرفة هذه الكلمة والتزام أحكامها والعمل بمقتضياتها ولوازمها فيشرح ذلك الامام الجليل سفيان بن عينية :[14] .

---

(١١) بضع رسائل في عقائد الاسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٥ تحقيق محمد رشيد رضا . الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ مطبعة المنار بمصر .

(١٢) دلالة المطابقة : هي دلالة اللفظ على كل معناه .
دلالة التضمن : هي دلالة اللفظ على جزء معناه .
دلالة الالتزام : هي دلالة اللفظ على معنى خارج عنه لكنه لازم له .

(١٣) انظر المورد العذب الزلال ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٤/٩٩ تحقيق رشيد رضا . الطبعة الأولى سنة ١٣٤٦ هـ مطبعة المنار بمصر .

(١٤) هو الامام أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي ، الحافظ ، أحد أعلام الاسلام ولد سنة ١٠٧ هـ =

حدث محمد بن عبد الملك المصيصي قال : كنا عند سفيان بن عيينة في سنة سبعين ومائة ، فسأله رجل عن الايمان ؟ فقال : قول وعمل . قال : يزيد وينقص ؟ قال : يزيد ما شاء الله ، وينقص حتى لا يبقى منه مثل هذه ، وأشار سفيان بيده . قال الرجل : كيف نصنع بقوم عندنا يزعمون : ان الايمان قول بلا عمل ؟ قال سفيان : كان القول قولهم قبل أن تقرر أحكام الايمان وحدوده .

إن الله عزّ وجلّ بعث نبينا محمداً ﷺ الى الناس كلّهم كافة أن يقوّلوا : لا إله إلا الله ، وأنه رسول الله . فلما قالوها عصموا بها دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عزّ وجلّ ، فلما علم الله عزّ وجلّ صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأمرهم بالصلاة ، فأمرهم ففعلوا ، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الاقرار الأول ولا صلاتهم[15] .

فلما علم الله جلّ وعلا صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالهجرة إلى المدينة فأمرهم ففعلوا ، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الاقرار الأول ولا صلاتهم ، فلما علم الله تبارك وتعالىٰ صدق ذلك من قلوبهم أمرهم بالرجوع إلى مكة ليقاتلوا آباءهم وأبناءهم حتى يقولوا كقولهم ، ويصلوا صلاتهم ويهاجروا هجرتهم ، فأمرهم ففعلوا ، حتى أتى أحدهم برأس أبيه فقال : يا رسول الله : هذا رأس شيخ الكافرين ، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الاقرار الأول ولا صلاتهم ولا هجرتهم ، ولا قتالهم ، فلما علم الله عزّ وجلّ صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالطواف بالبيت تعبداً ، وأن يحلقوا رؤوسهم تذللاً ففعلوا ، فوالله لو لم يفعلوا ما نفعهم الاقرار الأول ، ولا صلاتهم ، ولا هجرتهم ، ولا قتلهم آباءهم ، فلما علم الله عزّ وجلّ صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم بها ، فأمرهم ففعلوا حتى أتوا بها قليلها وكثيرها ، والله لو لم يفعلوا

= وتوفي سنة ١٩٨ وله احدى وتسعون سنة قال فيه الشافعي : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز وقال فيه احمد بن حنبل : ما رأيت أحداً أعلم بالسنن من ابن عيينة وكان كبير القدر . ومن العبّاد . حج سبعين سنة . انظر شذرات الذهب ١/٣٥٤ والاعلام ٣/١٠٥ ط ٤ .

(١٥) هكذا بالنص ، والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن سياق الكلام يقتضي أن يكون هكذا « ما نفعهم الاقرار الأول » يدل على ذلك ما سيأتي في بقية النص .

ما نفعهم الاقرار الأول ولا صلاتهم ، ولا هجرتهم ، ولا قتلهم آباءهم ولا طوافهم . فلما علم الله تبارك وتعالىٰ الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الايمان وحدوده قال عزّ وجلّ : قل لهم :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

٣ المائدة .

قال سفيان : فمن ترك خلة من خلال الايمان كان بها عندنا كافراً ، ومن تركها كسلاً أوتها ونابهاً ، أدبناه كان بها عندنا ناقصاً . هكذا السنة أبلغها عني من سألك من الناس »(١٦) .

وقد ذكر العلماء رحمهم الله شروطاً سبعة لـ « لا إله إلا الله » لا تنفع صاحبها إلا باجتماع هذه الشروط فيه . واليك شرحها :

---

(١٦) كتاب « الشريعة » لأبي بكر محمد بن الحسين الأجري ص ١٠٤ الطبعة الأولى سنة ١٣٦٩ هـ تحقيق محمد حامد الفقي . الناشر : مطبعة أنصار السنّة المحمدية بمصر .

شروط « لا إله إلا الله »

ينبغي أن نعلم أنه[ليس المراد من هذا عد الفاظها وحفظها ، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ، ولو قيل له أعددها لم يحسن ذلك ، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم ، وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها والتوفيق بيد الله](١٧) .

وقد قال وهب بن منبه(١٨) لمن سأله : أليس « لا إله إلا الله » مفتاح الجنة ؟ قال : بلى . ولكن ما من مفتاح الا وله أسنان ، فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، والا لم يفتح لك(١٩) .

وأسنان هذا المفتاح هي شروط « لا إله إلا الله » الآتية : ـ

الشرط الأول : العلم بمعناها المراد منها نفياً واثباتاً، المنافي للجهل بذلك قال تعالى :

فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

١٩ محمد .

---

(١٧) معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ج ١ /٣٧٧ .الطبعة الأولى تصوير ادارات البحوث العلمية بالرياض .

(١٨) وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وابن عمر وغيرهم . قال العجلي : تابعي ثقة وكان على قضاء صنعاء ووثقه أيضاً : أبو زرعة والنسائي وابن حبان . كان مولده سنة ٣٤ هـ ووفاته سنة ١١٠ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١١/١٦٧ .

(١٩) رواه البخاري تعليقاً في كتاب الجنائز باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ج ١٠٩/٣ .

وقال :

﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾

٨٦ الزخرف

أي : بلا إله إلا الله : « وهم يعلمون » بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم .

وقال تعالى :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

١٨ آل عمران .

وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة »[٢٠] .

الشرط الثاني : اليقين المنافي للشك . ومعنى ذلك : أن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة ، يقيناً جازماً ، فان الايمان لا يغنى فيه إلا علم اليقين لا علم الظن[٢١] قال تعالىٰ :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾

١٥ الحجرات .

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما الا

---

(٢٠) معارج القبول ٣٧٨/١ وانظر الجامع الفريد ص ٣٥٦ . والحديث مروي في صحيح مسلم : كتاب الايمان ج ٥٥/١ ح ٢٦ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢١) معارج القبول ٣٧٨/١ .

دخل الجنة »[٢٢] . وفي رواية « لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة » . وعن أبي هريرة أيضاً من حديث طويل « من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة »[٢٣] .

وقال القرطبي : في « المفهم على صحيح مسلم » : « بابٌ لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين ، بل لا بد من استيقان القلب . وهذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الايمان ، وأحاديث هذا الباب تدل على فساده . بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها ، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق ، والحكم للمنافق بالايمان الصحيح وهو باطل قطعاً »[٢٤] .

الشرط الثالث : القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه ، وقد قص الله عزّ وجلّ علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها ، وانتقامه ممن ردها وأباها كما قال تعالى : وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٢٣ ـ ٢٥ الزخرف .

وقال تعالى :

ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٠٣ يونس .

---

(٢٢) صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١/٥٦ ح ٢٧ .
(٢٣) صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١/٦٠ ح ٣١ .
(٢٤) فتح المجيد ص ٣٦ .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [٢٥]. ٣٥ ـ ٣٦ الصافات .

الشرط الرابع : الانقياد لما دلت عليه ، المنافي لترك ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ ٥٤ الزمر

وقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ ١٢٥ النساء

وقال : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ ٢٢ لقمان أي بلا إله إلا الله .

وفي الحديث « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لماجئت به »[٢٦] وهذا هو تمام الانقياد وغايته .

---

(٢٥) معارج القبول ١ / ٣٨٠ .

(٢٦) معارج القبول ٣٨١/١ وانظر الرسالة الخامسة حول لا إله إلا الله المطبوعة مع « الكلمات النافعة » للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٧٣ ط ١٤٠٠/٢ هـ السلفية بمصر . والحديث مروي في : الأربعين النووية للامام النووي ص ١٣٤ الحديث الحادي والأربعون الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ م الناشر مطابع قطر . قال النووي : وهو حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح .

وقال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

٦٥ النساء .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها : يقسم الله تعالىٰ بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ، ولهذا قال : « ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » أي : اذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في انفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ، ولا منازعة ، كما ورد في الحديث « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »[٢٧] .

الشرط الخامس : الصدق المنافي للكذب ، وهو أن يقولها صدقاً من قلب ، يواطىء قلبه لسانه ، قال تعالى :

﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٢٨] .

العنكبوت ١ ـ ٣ .

وقال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ

---

(٢٧) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ج ٣٠٦/٢ تحقيق عبد العزيز غنيم ومحمد عاشور ومحمد البنا . ومطبعة الشعب والحديث سبق تخريجه في ص ٢٥ .

(٢٨) معارج القبول ٣٨١/١ .

وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ

٨ ـ ١٠ البقرة .

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ [ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه الا حرمه الله على النار][29] .

قال العلّامة ابن القيم : « والتصديق بلا إله إلا الله يقتضي الاذعان والاقرار بحقوقها وهي شرائع الاسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة ، بالتصديق بجميع أخباره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه . . فالمصدق بها على الحقيقة هو الذي يأتي بذلك كله ، ومعلوم أن عصمة المال والدم على الاطلاق لم تحصل الا بها وبالقيام بحقها ، وكذلك النجاة من العذاب على الاطلاق لم تحصل الا بها وبحقها »[30] . وفي الحديث : قال ﷺ [شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه][31] .

وقال ابن رجب : « أما من قال : لا إله إلا الله بلسانه ، ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ

القصص ٥٠ .

---

(٢٩) صحيح البخاري / كتاب العلم ج ١/٢٢٦ ح ١٢٨ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي المطبوع مع فتح الباري بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٨٠ الطبعة الأولى . وانظر اللؤلؤة والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ج ١/٨ ح ٢٠ تصوير المكتبة الاسلامية ـ بيروت .

(٣٠) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص ٤٣ تعليق طه يوسف شاهين . الناشر مكتبة القاهرة . بمصر .

(٣١) اخرجه الحاكم في كتاب الايمان من مستدركه ١/٧٠ وقال : صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ [٣٢] ٢٦ ص .

الشرط السادس : الاخلاص ، وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك[٣٣] . قال تعالى :

أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ٣ الزمر .

وقال تعالى : وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ٥ البينة .

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « أسعد الناس بشفاعتي من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » : أو نفسه »[٣٤] .

وفي الصحيح عن عتبان بن مالك[٣٥] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله حرّم على النار من قال : لا إله لا الله يبتغي بذلك وجه الله عزّ وجلّ »[٣٦] .

وللنسائي في اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها قلبه ، يصدق بها لسانه ، الا فتق الله لها السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض ، وحق لعبد نظر الله إليه ان يعطيه سؤاله »[٣٧] .

---

(٣٢) كلمة الإخلاص : ٢٨ .

(٣٣) معارج القبول-١/٣٨٢ وانظر الجامع الفريد ص ٣٥٦ .

(٣٤) صحيح البخاري كتاب العلم باب الحرص على الحديث ج ١/١٩٣ ح ٩٩ .

(٣٥) هو عتبان بن مالك بن العجلان الخزرجي السالمي الأنصاري . بدري عند الجمهور . كان امام قومه في بني سالم . وذكر ابن سعد أن النبي ﷺ آخى بينه وبين عمر . وقد مات في خلافة معاوية . انظر الاصابة لابن حجر ٢/ ٢/٤٥٢ .

(٣٦) صحيح مسلم كتاب المساجد ج ١/٤٥٦ ح ٢٦٣ .

(٣٧) أورد هذا الحديث ابن رجب في كلمة الاخلاص ص ٦١ وقال فيه الالباني : عزاه في الجامع =

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : « إن العمل اذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل واذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً . والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنّة »[٣٨] .

ولقد ضرب الله سبحانه في القرآن العظيم مثلاً واضحاً للمخلص في توحيده وللمشرك قال تعالى :

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ
وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٢٩ الزمر .

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله في تفسيرها : « هذا مثل يضربه الله للعبد الموحد والعبد المشرك ، بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضاً فيه ، وهو بينهم موزع ، ولكل منهم فيه توجيه ، ولكل منهم عليه تكليف ، وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة . . وعبد يملكه سيد واحد ، وهو يعلم ما يطلبه منه ، ويكلفه به ، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح » « هل يستويان » ؟ لا . لأن الذي يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة والمعرفة واليقين ، وتجمع الطاقة ووحدة الاتجاه ، ووضوح الطريق . والذي يخضع لسادة مشتركين معذب مقلقل ، لا يستقر على حال ، ولا يرضى واحداً منهم فضلاً عن أن يرضي الجميع . وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد ، وحقيقة الشرك في جميع الأحوال . فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يسير على هدى من الله يستمد منه وحده ويتجه اليه وحده »[٣٩] .

= الكبير (١/٤٧٧/٢) عن يعقوب بن عاصم قال : حدثني رجلان من الصحابة . ويعقوب هذا من رجال مسلم ووافقه ابن حبان فان كان السند اليه صحيحاً فالحديث ثابت .

(٣٨) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٤٥١ تحقيق محمد الفقي . ط ٢ سنة ١٣٦٩ هـ مطبعة أنصار السنة .

(٣٩) في ظلال القرآن للاستاذ سيد قطب ج ٣٠٤٩/٥ الطبعة المشروعة الناشر دار الشروق وانظر التفسير القيم لابن القيم ص ٤٢٣ جمع محمد أويس الندوي تحقيق محمد حامد الفقي ، الناشر لجنة التراث - بيروت .

ويقول الشيخ القاسمي رحمه الله : « إن القصد هو توحيد المعبود في توحيد الوجهة ، ودرء الفرقة كما قال تعالى :

أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٤٠)

٣٩ يوسف .

إن الاسلام لا بد فيه من الاستسلام لله وحده ، وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة « لا إله إلا الله » فمن أسلم لله ولغير الله فهو مشرك ، والله لا يغفر أن يشرك به ، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٤١) .

٦٠ غافر .

الشرط السابع : المحبة لهذه الكلمة ، ولما اقتضته ودلت عليه ، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها ، وبغض ما ناقض ذلك ، قال تعالى :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ
ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ (٤٢)

١٦٥ البقرة .

---

(٤٠) محاسن التأويل للشيخ محمد جمال الدين القاسمي ج ٥١٣٨/١٤ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . ط الأولى ١٣٧٦ هـ دار احياء الكتب .

(٤١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٥٤ والتحفة العراقية لابن تيمية ص ٤١ .

(٤٢) أعلام السنة المنشورة لحافظ الحكمي ص ١٤ ط ٣ سنة ١٣٩٩ هـ الناشر ادارات البحوث العلمية بالرياض وانظر معارج القبول ج ٣٨٣/١ والجامع الفريد ص ٣٥٦ .

وقال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ ٥٤ المائدة .

وفي الحديث : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار »[٤٣] .

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله[٤٤] : « وعلامة حب العبد ربّه : تقديم محابه وأن خالفت هواه ، وبغض ما يبغض ربّه وان مال اليه هواه ، وموالاة من والى الله ورسوله . ومعاداة من عاداه واتباع رسوله ﷺ ، واقتفاء أثره وقبول هداه »[٤٥] .

ويقول ابن القيم في النونية :

شرط المحبة أن توافق من تحب	على محبته بلا عصيان
فاذا ادعيت له المحبة مع خلا	فك ما يحب فأنت ذو بهتان
أتحب اعداء الحبيب وتدعي	حباً له ما ذاك في امكان
وكذا تعادي جاهداً أحبابه	أين المحبة يا أخا الشيطان
ليس العبادة غير توحيد المحبة	مع خضوع القلب والأركان

(٤٣) صحيح البخاري كتاب الايمان ج ١ / ٦٠ ح ١٦ وصحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ / ٦٦ ح ٤٣ .

(٤٤) هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي . عالم سلفي من منطقة تهامة ولد سنة ١٣٤٢ هـ بقرية السلام بالقرب من جيزان . كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ والفهم . تتلمذ على الشيخ الداعية عبد الله القرعاوي . وكان ذا علم وتقوى وعفة . وتوفي رحمه الله سنة ١٣٧٧ هـ وعمره ٣٥ سنة .
انظر ترجمته بقلم ابنه أحمد بن حافظ في اول معارج القبول الجزء الأول .

(٤٥) معارج القبول ١/٣٨٣ .

الى أن يقول :

ولقـد رأينـا من فـريق يـدعي الا سـلام شـركـا ظـاهـر التبيـان
جعلوا لـه شـركـاء والـوهم وسـو وهم بـه في الحب لا السلطـان[٤٦]

(٤٦) النونيـة ص : ١٥٨ .

الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله

« لما كان أصل الموالاة : الحب . وأصل المعاداة : البغض . وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة ، وكالجهاد ، والهجرة ، ونحو ذلك »[٤٧] . فان الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله . وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنة .

أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى :

لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ

٢٨ آل عمران .

ويقول تعالىٰ :

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ

٣١ - ٣٢ آل عمران .

---

(٤٧) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٩٦ تصحيح عبد الرحمن الرويشد ، طبع سنة ١٣٩٨ هـ بدار العلوم بمصر .

ويقول تباركت أسماؤه : عن أهداف أعداء الله :

﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ ٨٩ النساء .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٥١ المائدة .

ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ﴾ ٥٤ المائدة .

أما الأحاديث والآثار : فكثيرة واذكر منها : ـ

(١) ما رواه الامام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ بايعه على أن « تنصح لكل مسلم ، وتبرأ من الكافر »[٤٨] .

(٢) روى ابن شيبة بسنده قال : قال رسول الله ﷺ « أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله »[٤٩] .

(٣) روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ

---

(٤٨) المسند للامام أحمد ج ٤/٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ط ٢ / سنة ١٣٩٨ هـ / الناشر المكتب الاسلامي وهو حديث حسن .

(٤٩) الايمان لابي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ت سنة ٢٣٥ هـ ص ٤٥ ، تحقيق الالباني وقال : أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً وهو حسن ، المطبعة العمومية بدمشق وانظر المسند ٤/٢٨٦ .

قال : « أوثق عرى الايمان الموالاة في الله والمعادة في الله ، والحب في الله والبغض في الله »[٥٠] .

(٤) أخرج ابن جرير ومحمد بن نصر المروزي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « من أحب في الله وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فانما تنال ولاية اللّه بذلك ، ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً »[٥١] .

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في شرح قول ابن عباس هذا : قوله « ووالى في الله » هذا بيان للازم المحبة في الله ، وهو الموالاة ، فيه ، اشارة إلى أنه لا يكفي في ذلك مجرد الحب ، بل لا بد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب . وهي النصرة والاكرام ، والاحترام والكون مع المحبوبين باطناً وظاهراً . وقوله « وعادي في الله » هذا بيان للازم البغض في الله ، وهو المعاداة فيه . أي اظهار العداوة بالفعل كالجهاد لاعداء الله ، والبراءة منهم ، والبعد عنهم باطناً وظاهراً ، اشارة إلى أنه لا يكفي مجرد بغض القلب ، بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمة كما قال تعالى :

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ
مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ
وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ [٥٢] .

المتحنة : ٤ .

---

(٥٠) ذكره الشيوطي في الجامع الصغير ٦٩/١ ، وقال الالباني : حديث حسن . انظر صحيح الجامع الصغير ٣٤٣/٢ ح ٢٥٣٦ .

(٥١) حلية الأولياء عن ابن عباس ٣١٢/١ وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٠ ط ١٣٨٢/٣ هـ الناشر مصطفى البابي الحلبي بمصر .

(٥٢) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب =

قلت : ومما سبق يتضح أن الولاء في الله هو : محبة الله ونصرة دينه ، ومحبة أوليائه ونصرتهم . والبراء هو : بغض أعداء الله ومجاهدتهم . وعلى ذلك جاءت تسمية الشارع الحكيم للفريق الأول بـ : « أولياء الله » ، والفريق الثاني بـ : « أولياء الشيطان » قال تعالى :

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ

٢٥٧ البقرة .

وقال تعالى :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا

٧٦ النساء .

واعلـم أن الله سبحانه لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء ، كما قال تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا

١١٢ الانعام .

وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وكتب وحجج كما قال تعالى :

= ص ٤٢٢ الناشر ادارات البحوث العلمية بالرياض . بدون تاريخ .

فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم
مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ

٨٣ غافر . .

والواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يصير له سلاحاً يقاتل به هؤلاء الشياطين ، ومن ثم لا خوف ولا حزن لأن :

كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا

٧٦ النساء .

والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء المشركين كما قال تعالى :

وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ

١٧٣ الصافات .

فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان »(٥٣) .

واذا كانت أهداف اعداء الاسلام من ملحدين ويهود ونصارى ومستغربين وصهيونية عالمية وشيوعية عالمية هي تمييع عقيدة المسلمين ، وتذويب شخصيتهم المتفردة ، لجعلهم حميراً للشعب المختار كما تنص على ذلك بروتوكولات حكماء صهيون . فانه يتضح لدى المسلم أهمية هذا الموضوع حتى يحذر هو ومن معه ، بل يحذر المسلمون عامة ، من الانزلاق في مهاوي الردى خاصة وان الدعوات المشبوهة الملحدة تدعو إلى ما يسمى بالاخوة والمساواة وان الدين لله والوطن للجميع .! وسوف أتعرض لهذا بالتفصيل ان شاء الله في الباب الأخير .

فبان بهذه الأدلة الواضحة من الكتاب والسنّة أن الولاء والبراء من لوازم "لا إله إلا الله » وهو أيضاً تحقيق معناها كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله « ان

(٥٣) بتصرف : انظر كشف الشبهات للامام محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠ ط ٣ / ١٣٨٨ هـ الناشر مؤسسة النور بالرياض . وانظر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٤٦/٤ .

تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا لله ، ولا يبغض الا لله ، ولا يوالي إلا لله ، ولا يعادي الا لله ، وأن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله »[٥٤] ويوالي المؤمنين في أي مكان حلوا ويعادي الكافرين ولو كانوا أقرب قريب .

(٥٤) الاحتجاج بالقدر ص ٦٢ ط سنة ١٣٩٣ هـ المكتب الاسلامي .

الرد على من زعم أن كلمة التوحيد لفظ فقط
مع بيان المذهب الصحيح في الأحاديث الواردة بخصوصها

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : « ليس التوحيد مجرد اقرار العبد بأنه : لا خالق الا الله ، وأن الله ربّ كل شيء ومليكه ، كما كان عباد الاصنام مقرين بذلك وهم مشركون ، بل التوحيد يتضمن من محبة الله ، والخضوع له ، والذل له ، وكمال الانقياد لطاعته ، واخلاص العبادة له ، وارادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال ، والمنع والعطاء ، والحب والبغض ، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والاصرار عليها ، ومن عرف هذا عرف قول النبي ﷺ : « ان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله »[٥٥] وقوله « لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله »[٥٦] . وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث ، التي أشكلت على كثير من الناس ، حتى ظنها بعضهم منسوخة ! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع ، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار ، وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال : المعنى لا يدخلها خالداً ، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة . فان الشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط ، فان هذا خلاف المعلوم بالاضرار من دين الاسلام ، لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم ، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار .

بل لا بد من قول القلب ، وقول اللسان .

وقول القلب : يتضمن من معرفتها والتصديق بها ، ومعرفة حقيقة ما تضمنته

---

(٥٥) سبق تخريجه ص ٣٥ .

(٥٦) سبق الكلام عليه في شروط لا إله إلا الله .

من النفي والاثبات ، ومعرفة حقيقة الآلهية المنفية عن غير الله ، المختصة به ، التي يستحيل ثبوتها لغيره ، وقيام هذا المعنى بالقلب علماً ومعرفة ويقيناً وحالاً : ما يوجب تحريم قائلها على النار .

وتأمل حديث البطاقة(٥٧) التي توضع في كفة ، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل منها مد البصر ، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات ، فلا يعذب صاحبها ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة ، . . ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل هو أنه حصل له ما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات .

وتأمل أيضاً ما قام بقلب قاتل المائة(٥٨) من حقائق الايمان التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية فجعل ينوء بصدره ، ويعالج سكرات الموت ، لأن ذلك كان أمراً آخر ، وايماناً آخر ولذلك ألحق بأهل القرية الصالحة . وقريب من هذا ما قام بقلب البغيّ(٥٩) التي رأت ذلك الكلب وقد اشتد به العطش ، يأكل الثرى - فقام بقلبها ذلك الوقت - مع عدم الآلة ، وعدم المعين ، وعدم من ترائيه بعملها : وملء الماء في خفها ، ولم تعبأ بتعرضها للتلف وحملها خفها بفيها وهو ملآن حتى امكنها الرقي من البرء ، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضربه ، فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاء ولا شكوراً . فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء فغفر لها »(٦٠) .

وقد ورد في صحيح مسلم قوله ﷺ « من قال : لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، حرم ماله ودمه وحسابه على الله »(٦١) . يقول محمد بن عبد الوهاب

---

(٥٧) أخرجه الامام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو ج ٢ ص ٢١٣ ط ٢ وسنده حسن وأخرجه الترمذي في الايمان ٢٩٥/٧ ج ٢٦٤١ ورجاله ثقات فالحديث صحيح .

(٥٨) صحيح البخاري كتاب الأنبياء ج ٥١٢/٦ ح ٣٤٧٠ وصحيح مسلم كتاب التوبة ج ٢١١٨/٤ ح ٢٧٦٦ .

(٥٩) صحيح مسلم كتاب السلام ج ١٧٦١/٤ ح ٢٢٤٥ .

(٦٠) مدارج السالكين لابن القيم ج ١/ ٣٣٠ - ٣٣٢ بتصرف بسيط .

(٦١) صحيح مسلم كتاب الايمان ج ٥٣/١ ح ٢٣ .

رحمه الله : وهذا من أعظم ما يبينّ معنى لا إله إلا الله فانه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه(٦٢) .

ومن هنا نعلم فساد عقيدة المرجئة(٦٣) : الذين يقولون : ان الايمان هو المعرفة فقط والكفر هو الجهل فقط وأخروا العمل عن الايمان .

ومن المعلوم أن كفار مكّة قد علموا مراد النبي ﷺ من كلمة لا إله إلا الله ، فأبوا واستكبروا ولم يك ينفعهم ايمانهم بأن الله واحد رازق محي مميت . ولما قال لهم النبي ﷺ قولوا : لا إله إلا الله قالوا :

أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ

٥ سورة ص .

« فاذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالعجب ممن يدعي الاسلام ، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني ، والحاذق من يظن أن معناها : لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمر كله الا الله ، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله »(٦٤) . ويتابع الامام محمد بن عبد الوهاب رده عليهم فيقول : وهنا شبهة : وهي قول من يقول : ان النبي ﷺ أنكر على اسامة قتل من قال : « لا إله إلا الله »(٦٥) . وكذلك قوله ﷺ « أمرت

---

(٦٢) كتاب التوحيد ص ١١٥ المطبوع مع فتح المجيد ط ١٣٧٧/٧ هـ بتحقيق محمد حامد الفقي . الناشر مطبعة انصرا لسنة بمصر .

(٦٣) المرجئة : من الارجاء . بمعنى التأخير ، وهم يقولون أن الايمان هو الاقرار فقط . انظر مقالات الاسلاميين للأشعري ج ١ ٢١٤ والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٢ .

(٦٤) مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب ج ١٥٥/٥ ط ١ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

(٦٥) في صحيح مسلم كتاب الايمان ج ٩٧/١ ح ٩٧ .

أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »[٦٦] . وأحاديث أخر ، في الكف عمن قالها ؟! .

ومراد هؤلاء الجهلة : أن من قالها لا يكفر ، ولا يقتل ولو فعل ما فعل[٦٧] . **فيقال لهؤلاء المشركين الجهال** : معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون « لا إله إلا الله » وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويصلون ويدعون الاسلام ، وكذلك الذين حرقهم عليّ بن أبي طالب بالنار[٦٨] . وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله ، وأن من جحد شيئاً من أركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها :

فكيف لا تنفعه اذا جحد فرعاً من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ؟ ! .

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث . فمعلوم أن الرجل اذا أظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبينّ منه ما يخالف ذلك كما قال تعالىٰ :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ

٩٤ النساء .

أي فتثبتوا . فدلت الآية على وجوب الكف حتى يتثبت منه ، فاذا تبينّ منه بعد ذلك ما يخالف الاسلام قتل لقوله تعالى : ﴿ فتبينوا ﴾ ولو كان لا يقتل اذا قالها لم يكن للتثبت معنى .

وأيضاً أمره ﷺ بقتل الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن ادركتهم لأقتلنهم قتل عاد »[٦٩] مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً ، حتى أن الصحابة

---

(٦٦) انظر صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ ص ٥١ / ح ٢٠ .

(٦٧) وهذه هي دعوى المرجئة . انه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

(٦٨) هم الغلاة الذين ادعوا ألوهية عليّ رضي الله عنهم .

(٦٩) صحيح مسلم كتاب الزكاة ج ٧٤٢/٢ ح ١٠٦٤ .

يحقرون صلاتهم عندهم . وقد تعلموا العلم من الصحابة ، فلم تنفعهم « لا إله إلا الله » ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة[٧٠] ا . هـ .

ويعلم كل ذي لب أنها لو كانت كلمة ـ مجرد كلمة ـ لكان أمرها على قريش سهلاً فتنطقها وتتخلص من هذا العناء وتسفيه الآلهة !

ولكنها تعلم أن هذه الكلمة لها مدلولها الذي يغير أوضاع قريش الجاهلية ولها مقتضياتها التي تحطم طغيان قريش واستعبادها للناس .

ولها أهميتها في تحرير الناس من عبودية بعضهم لبعض الى عبودية الواحد القهار وجعل التقوى هي الميزان والفخار الذي ينشده الناس ، وليس العادات والتقاليد الجاهلية التي توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد .

فحري بكل مسلم جاد في اسلامه أن يقدر لهذه الكلمة قدرها حتى يكون ممن عبد الله على بصيرة وعلم ويقين .

---

(٧٠) كشف الشبهات ص ٤٠ .

آثار الاقرار بلا إله إلا الله في حياة الانســان

ذكر الاستاذ المودودي رحمه الله في كتابه القيّم « مبادىء الاسلام »[71] تسعة آثار لكلمة التوحيد اذكر ملخصها فيما يلي : ـ

(١) إن المؤمن بهذه الكلمة لا يكون ضيق النظر ، بخلاف من يقول بآلهة متعددة . أو من يجحدها .

(٢) إن الايمان بهذه الكلمة ينشىء في النفس من الأنفة وعزة النفس ما لا يقوم دونه شيء ، لأنه لا نافع إلا الله ولا ضار إلا الله ، وهو المحيي المميت . وهو صاحب الحكم والسلطة والسيادة . ومن ثم ينزع من القلب كل خوف الا منه سبحانه ، فلا يطأطىء الرأس أمام أحد من الخلق ، ولا يتضرع اليه ، ولا يتكفف له ، ولا يرتعب من كبريائه وعظمته . لأن الله هو العظيم القادر . وهذا بخلاف المشرك والكافر والملحد .

(٣) ينشأ من الايمان بهذه الكلمة مع أنفة النفس وعزتها : تواضع من غير ذل وترفع من غير كبر فلا يكاد ينفخ أوداجه شيطان الغرور ويزهيه بقوته وكفاءته لأنه يعلم ويستقين أن الله الذي وهبه كل ما عنده قادر على سلبه إيّاه اذا شاء . أما الملحد فانه يتكبر ويبطر اذا حصلت له نعمة عاجلة .

(٤) المؤمن بهذه الكلمة : يعلم علم اليقين أنه لا سبيل إلى النجاة والفلاح الا بتزكية النفس والعمل الصالح أما المشركون والكفاز فانهم يقضون حياتهم على أماني كاذبة . فمنهم من يقول : ان ابن الله قد أصبح كفارة عن ذنوبنا ، عند أبيه ، ومنهم من يقول : نحن أبناء الله وأحباؤه فلن يعذبنا بذنوبنا . ومنهم

---

(٧١) مبادىء الاسلام لأبي علي المودودي ص ٨٠ ـ ٨٧ الناشر مؤسسة الرسالة سنة ١٣٩٧ هـ .

من يقول : إنا سنستشفع عند الله بكبرائنا واتقيائنا ، ومنهم من يقدم النذور والقرابين إلى آلهته زاعماً انه قد نال بذلك رخصة في العمل بما يشاء . أما الملحد الذي لا يؤمن بالله فيعتقد أنه حر في هذه الدنيا غير مقيد بشرع الله وانما إلهه هواه وشهوته وهو عبدهما .

(٥) قائل هذه الكلمة لا يتسرب إليه اليأس ، ولا يقعد به القنوط ، لأنه يؤمن أن الله له خزائن السموات والأرض . ومن ثم فهو على طمأنينة وسكينة وأمل ، حتى ولو طرد وأهين وضاقت عليه سبل العيش .

إن عين الله لا تغفل عنه ولا تسلمه إلى نفسه ، وهو يبذل جهده متوكلاً على الله ، بخلاف الكفار الذين يعتمدون على قواهم المحدودة ، وسرعان ما يدب لهم اليأس ، يساورهم القنوط عند الشدائد مما يفضي بهم أحياناً الى الانتحار .

(٦) الايمان بهذه الكلمة يربي الانسان على قوة عظيمة من العزم والاقدام والصبر والثبات والتوكل حينما يضطلع بمعالي الأمور ابتغاء مرضاة الله . إنه يشعر أن وراءه قوة مالك السماء والأرض . فيكون ثباته ورسوخه وصلابته التي يستمدها من هذا التصور ، كالجبال الراسية ، وأنى للكفر والشرك بمثل هذه القوة والثبات ؟

(٧) هذه الكلمة تشجع الانسان وتملأ قلبه جرأة . لأن الذي يجبن الانسان ويوهن عزمه شيئان : حبه للنفس والمال والأهل ، أو اعتقاده أن هناك أحداً غير الله يميت الانسان ، فايمان المرء بلا إله الا الله ينزع عن قلبه كلا من هذين السببين ، فيجعله موقناً أن الله هو المالك الوحيد لنفسه وماله فعندئذ يضحي في سبيل مرضاة ربّه بكل غال ورخيص عنده . وينزع الثاني بأن يلقي في روعه أنه لا يقدر على سلب الحياة منه انسان ولا حيوان ولا قنبلة ولا مدفع ، ولا سيف ولا حجر وانما يقدر على ذلك الله وحده .

من اجل ذلك لا يكون في الدنيا أشجع ولا أجرأ ممن يؤمن بالله تعالى ، فلا يكاد يخيفه أو يثبت في وجهه زحف الجيوش ، ولا السيوف المسلولة ، ولا مطر

الرصاصات والقنابل ، فانه عندما يتقدم في سبيل الله للجهاد ، يهزم قوة تزيد على قوته بعشر مرات وأنى بمثل هذا للمشركين والكفار والملحدين ؟

(٨) الايمان بلا إله إلا الله يرفع قدر الانسان وينشىء فيه الترفع والقناعة والاستغناء ، ويطهر قلبه من أوساخ الطمع والشره والحسد والدناءة واللؤم . وغيرها من الصفات القبيحة .

(٩) وأهم شيء وأجدره في هذا الصدد : أن الايمان بـ « لا إله الا الله » يجعل الانسان متقيداً بشرع الله ومحافظاً عليه ، فان المؤمن يعتقد بيقين أن الله خبير بكل شيء ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد وانه ان كان يستطيع أن يفلت من بطش أي كان ، فانه لا يستطيع أن يفلت من الله عزّ وجل .

وعلى قدر ما يكون هذا الايمان راسخاً في ذهن الانسان يكون متبعاً لأحكام الله ، قائماً عند حدوده لا يجرؤ على اقتراف ما حرم الله ، ويسارع إلى الخيرات والعمل بما أمر الله .

ومن أجل ذلك جُعِلَ بلا إله إلا الله أول ركن وأهمه ليكون الانسان مسلماً . والمسلم هو : العبد المطيع المنقاد لله تعالىٰ ولا يكون كذلك إلا إذا كان مؤمناً من قلبه بأن لا إله إلا الله . وهذا هو أصل الاسلام ، ومصدر قوته ، وكل ما عداه من معتقدات الاسلام وأحكامه انما هي مبنية عليه ، ولا تستمد قوتها إلا منه ، والاسلام لا يبقى منه شيء لو زال هذا الاساس [٧٢] .

ومن فضائلها ما ذكره ابن رجب ، حيث أورد قول سفيان بن عيينة : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله ، وان لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا ، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب ، ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد ، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه هدر ، وهي مفتاح الجنة ، ومفتاح دعوة الرسل [٧٣] .

ولو أردت أن أذكر ما أورده العلماء ، رحمهم الله تعالىٰ حول فضلها وما في ذلك من الأحاديث النبوية وآثار السلف لطال المقام .

---

(٧٢) مبادىء الاسلام ص ٨٧ .

(٧٣) كلمة الاخلاص ص ٥٣ .

نواقض « لا إله إلا الله »

(حرص الاسلام على بيان حقيقته وحقيقة ما يناقضه)

سبق الكلام على مفهوم « لا إله إلا الله » وشروطها ، وحقيقتها ، وآثارها . وهنا أذكر نواقضها ، من اجل أن تتضح معالم الصورة الكاملة لحقيقة « لا إله إلا الله » ذلك أن معرفة الضد يميز الشيء المراد ايضاحه . كما قيل . وبضدها تتميز الأشياء » . ومعلوم أن الكفر والشرك والنفاق والردة هي نواقض الاسلام ، بشتى صورها ، وقبل ايراد ذلك ، لا بد من أن نورد ـ قاعدة جليلة لأهل السنة والجماعة ، بها تنضبط المسائل أصولاً وفروعاً . وسيتضح من خلال هذه القاعدة الرد على فرقة المرجئة ، الذين ميعوا وضيعوا مفهوم هذه العقيدة . والرد أيضاً على الخوارج الذين غلوا وحادوا عن الصراط . ودين الاسلام وسط بين الافراط والتفريط .

وقد كثر كلام الناس حول هذا في القديم والحديث ولكل وجهة هو موليها . بيد أني وجدت للعلاّمة ابن القيم كلاماً قيماً في هذا الموضوع ـ وهو القاعدة التي أشرت اليها آنفاً ـ سأورده كاملاً على الرغم مّن طوله : قال رحمه الله في كتاب الصلاة : « **الكفر والايمان متقابلان ، اذا زال أحدهما خلفه الآخر** . ولما كان الايمان أصلاً له شعب متعددة ، وكل شعبة منها تسمى ايماناً : فالصلاة من الايمان ، وكذلك الزكاة والحج والصيام ، والأعمال الباطنة كالحياء ، والتوكل ، والخشية من الله ، والانابة اليه ، حتى تنتهي هذه الشعب إلى اماطة الأذى عن الطريق فانه شعبة من شعب الايمان .

وهذه الشعب منها ما يزول الايمان بزوالها كشعبة الشهادة . ومنها ما لا يزول بزوالها كترك اماطة الأذى عن الطريق . وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً . منها

ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون اليها أقرب ، ومنها ما يلحق بشعبة اماطة الأذى ويكون اليها أقرب . وكذلك الكفر ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الايمان ايمان فشعب الكفر كفر . والحياء شعبة من الايمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر . والصدق شعبة من شعب الايمان ، والكذب شعبة من شعب الكفر ، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الايمان وتركها من شعب الكفر والحكم بما أنزل الله من شعب الايمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها من شعب الايمان .

« وشعب الايمان قسمان : قولية وفعلية ، وكذلك شعب الكفر نوعان : قولية وفعلية . ومن شعب الايمان القولية شعب يوجب زوالها زوال الايمان ، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوالها زوال الايمان، وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية . فكما يكفر بالاتيان بكلمة الكفر اختياراً - وهي شعبة من شعب الكفر - فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم ، والاستهانة بالمصحف ، فهذا أصل » .

« وها هنا أصل آخر : وهو أن حقيقة الايمان مركبة من قول وعمل ، والقول قسمان : قول القلب : وهو الاعتقاد . وقول اللسان : وهو التكلم بكلمة الاسلام .

والعمل قسمان : عمل القلب ، وهو نيته واخلاصه ، وعمل الجوارح . فاذا زالت هذ الأربعة زال الايمان بكماله . واذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء ، فان تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة ، واذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق : فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة **فأهل السنة** : مجمعون على زوال الايمان ، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده ، كما لم ينفع ابليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول ، بل ويقرون به سراً وجهراً ويقولون : ليس بكاذب ولكنه لا نتبعه ولا نؤمن به .

« واذا كان الايمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح ولا سيما اذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقياده ، الذي

هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره ، فانه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح ، اذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت ، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة ، وهو حقيقة الايمان . فان الايمان ليس مجرد التصديق - كما تقدم - وانما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد . وهكذا الهدي ليس هو مجرد معرفة الحق وتبيينه ، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه ، وان سمي الأول هدي فليس هو الهدي التام المستلزم للاهتداء ، كما أن اعتقاد التصديق وان سمي تصديقاً - فليس هو التصديق المستلزم للايمان . فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته .

« وها هنا أصل آخر : وهو أن الكفر نوعان : كفر عمل ، وكفر جحود وعناد . فكفر الجحود : ان يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً ، من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه . وهذا الكفر يضاد الايمان من كل وجه وأما كفر العمل : فينقسم إلى ما يضاد الايمان ، والى ما لا يضاده . فالسجود للصنم ، والاستهانة بالمصحف ، وقتل النبي وسبه يضاد الايمان .

وأما الحكم بغير ما أنزل[٧٤] الله ، وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعاً ، ولا يمكن أن ينفي عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه . فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد . ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ، ويسمي رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافراً[٧٥] ، ولا يطلق عليهما اسم الكفر . وقد نفى رسول الله ﷺ عن الزاني والسارق وشارب الخمر ، وعمن لا يأمن جاره بوائقه . واذا نفى عنه اسم الايمان فهو كافر من جهة العمل ، وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد .

« وكذلك قوله « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »[٧٦]

---

(٧٤) سيأتي بعد تمام هذا النص ان شاء الله مزيد من التفصيل في هذه الفقرة وبيان متى يكون ذلك مخرج من الملة ومتى لا يكون .

(٧٥) انظر صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١ /٨٨ ح ٨٢ .

(٧٦) صحيح مسلم كتاب الايمان ج ٨١/١ ح ٦٥ .

فهذا كفر عمل . وكذلك قوله « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول أو أتى امرأته في دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد »[٧٧] وقوله « اذا قال الرجل لأخيه : يا كافر فقد باء بها احدهما »[٧٨] .

« وقد سمى الله سبحانه وتعالى من عمل ببعض كتابه ، وترك العمل ببعضه مؤمناً بما عمل به وكافراً بما نرك العمل به فقال تعالى :

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

٨٤ ـ ٨٥ سورة البقرة .

فأخبر سبحانه أنهم أقروا بميثاقه الذي أمرهم به والتزموه ، وهذا يدل على تصديقهم به أنهم لا يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم ، ثم أخبر أنهم عصوا أمره وقتل فريق منهم فريقاً وأخرجوهم من ديارهم . فهذا كفرهم بما أخذ عليهم في الكتاب . ثم أخبر أنهم يفدون من أسر من ذلك

---

(٧٧) أبو داود في الطب ج ٤/٢٢٥ ح ذ،!؟ . وانظر مشكاة المصابيح ٢/١٢٩٤ ٥٩٩؛ وقال : الالباني اسناده صحيح .

(٧٨) صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١/٧٩ ح ٦٠ .

الفريق ، وهذا ايمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب ، فكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق ، كافرين بما تركوه منه .

« فالايمان العملي يضاده الكفر العملي ، والايمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي . وقد أعلن النبي ﷺ بما قلناه في قوله في الحديث الصحيح « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »(٧٩) ففرق بين قتاله وسبابه . وجعل أحدهما فسوقاً لا يكفر به ، والآخر كفراً . ومعلوم انما أراد الكفر العملي لا الاعتقادي(٨٠) ، وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الاسلامية والملة بالكلية ، كما لا يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وان زال عنه اسم الايمان .

« وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالاسلام والكفر ولوازمهما فلا تتلقى هذه المسائل الا عنهم ، فان المتأخرين لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين : فريقاً أخرجوا من الملة بالكبائر ، وقضوا على أصحابها بالخلود في النار(٨١) ، وفريقاً جعلوهم مؤمنين كاملي الايمان(٨٢) فهؤلاء غلوا ، وهؤلاء جفوا . وهدى الله أهل السنّة للطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالاسلام في الملل . فها هنا كفر دون كفر ونفاق دون نفاق ، وشرك دون شرك ، وفسوق دون فسوق ، وظلم دون ظلم . قال سفيان بن عيينة : عن هشام بن حجير عن طاووس عن ابن عباس في قوله تعالى :

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ

٤٤ المائدة .

---

(٧٩) صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١/٨١ ح ٦٤ .

(٨٠) لعل ابن القيم يقصد قتال المسلمين مع بعضهم البعض كما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم ، أما من يريد قتل المؤمنين ويشن الحرب على الاسلام والمسلمين فهذا لا شك في كفره المخرج من الملة . كما هو حال أعداء الاسلام الذين لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة بل هدفهم ﴿ ودو لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾٨٩ النساء .

(٨١) يريد فرقة الخوارج .

(٨٢) يقصد المرجئة .

قال : هو بهم كفر ، وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وقال في رواية أخرى عنه : كفر لا ينقل عن الملة . وقال طاووس : ليس بكفر ينقل عن الملة[٨٣] . وقال وكيع بن سفيان عن ابن جريج عن عطاء : كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق[٨٤] وهذا الذي قاله عطاء بين في القرآن لمن فهمه ، فان الله سبحانه سمي الحاكم بغير ما أنزله كافراً ، وسمي جاحد ما أنزله على رسوله كافراً . وليس الكافران على حد سواء .

وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ

٢٥٤ البقرة .

وسمى متعـدي حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالما فقال :

وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ

١ الطلاق .

وقال نبيه يونس

لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

٨٧ الأنبياء .

وقال صفيه آدم

رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا

٢٣ الأعراف .

---

(٨٣) تفسير ابن كثير ج ١١١/٣ .

(٨٤) المصدر السابق ١١١/٣ .

وقال كليمه موسى

رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي

١٦ القصص .

وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم ..

ويسمي الكافر فاسقاً : كما في قوله

وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ

مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ

٢٦ - ٢٧ البقرة .

وقال :

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ

إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ

٩٩ البقرة .

وهذا كثير في القرآن . ويسمى المؤمن فاسقاً كما في قوله تعالىٰ :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن

تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ٦ الحجرات .

نزلت في الحكم بن أبي العاص . وليس الفاسق كالفاسق . وقال تعالىٰ :

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟

بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ

شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ

٤ النور .

وقال عن ابليس

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ

٥٠ الكهف .

وقال

فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ

١٩٧ البقرة .

وليس الفسوق كالفسوق .

والكفر كفران ، والظلم ظلمان ، والفسق فسقان ، وكذا الجهل جهلان : جهل كفر كما في قوله تعالى :

خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ

١٩٩ ـ الأعراف .

وجهل غير كفر كقوله تعالى :

إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ

١٧ النساء .

وكذلك الشرك شركان : شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الأكبر ، وشرك لا ينقل عن الملة وهو الشرك الأصغر ، وهو شرك العمل كالرياء . قال تعالى في الشرك الأكبر :

إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ .

٧٢ المائدة ،

وقال :

وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ

٣١ الحج .

« وفي شرك الرياء فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا

١١٠ الكهف .

ومن هذا الشرك الأصغر قوله ﷺ « من حلف بغير الله فقد أشرك » رواه أبو داود وغيره(٨٥) ومعلوم أن حلفه بغير الله لا يخرجه عن الملة ، ولا يوجب له حكم الكفار . ومن هذا قوله ﷺ « الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل »(٨٦) .

فأنظر كيف انقسم الشرك والكفر والفسوق والظلم والجهل إلى ما هو كفر ينقل عن الملة ، والى ما لا ينقل عنها . وكذا النفاق نفاقان : نفاق اعتقاد ، ونفاق عمل ، فنفاق الاعتقاد : هو الذي انكره الله على المنافقين في القرآن وأوجب لهم الدرك الأسفل من النار .

« ونفاق عمل كقوله ﷺ في الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أئتمن خان »(٨٧) . وفي الصحيح أيضاً « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من

---

(٨٥) أبو داود كتاب الايمان والنذور ج ٣/ ٥٧٠ ح ٣٢٥١ وأخرجه الترمذي في النذور والايمان ٥/٢٥٣ ح ١٥٣٥ واللفظ عنده : فقد كفر أو أشرك وقال : حديث حسن وقال الشوكاني صححه الحاكم . انظر نيل الأوطار ٨/٢٥٧ .

(٨٦) المسند ٤/٤٠٣ . قال الالباني : صحيح ، انظر صحيح الجامع الصغير ٣/٢٣٣ ح ٣٦٢٤ .

(٨٧) صحيح البخاري كتاب الايمان ج ١/ ٨٩ ح ٣٣ ، ٣٤ وصحيح مسلم كتاب الايمان ج ١/ ٧٨ ح ٥٨ و ٥٩ .

النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر ، واذا أئتمن خان »[88] فهذا نفاق عمل ، قد يجتمع مع أصل الايمان ، ولكن اذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الاسلام بالكلية ، وان صلى وصام وزعم أنه مسلم ، فان الايمان ينهى المؤمن عن هذه الخلال ، فاذا كملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها فهذا لا يكون إلا منافقاً خالصاً .

« وكلام الامام أحمد يدل على هذا ، فان اسماعيل بن سعيد الشالنجي[89] قال : سألت أحمد بن حنبل عن المصر على الكبائر يطلبها بجهده ، الا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم ، هل يكون مصراً من كانت هذه حاله ؟ قال : هو مصر مثل قوله « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »[89]، يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ، ونحو قوله « لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن »[90] . ونحن قول ابن عباس في قوله :

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ

٤٤ المائدة .

قال اسماعيل : فقلت له ما هذا الكفر ؟ قال : لا ينقل عن الملة ، مثل الايمان بعضه دون بعض ، فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه .

« وها هنا أصل آخر : وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وايمان ، وشرك وتوحيد وتقوى وفجور ، ونفاق وايمان . وهذا من أعظم أصول اهل السنة ،

---

(٨٨) هو اسماعيل بن سعيد الشالنجي أبو اسحاق ذكره أبو بكر الخلال فقال : عنده مسائل كثيرة ، ما أحسب احداً من أصحاب أبي عبد الله ـ لأحمد بن حنبل ـ روي عنه أحسن مما روي هذا ، ولا أشبع ولا اكثر مسائل منه . وكان عالماً بالرأي كبير القدر عندهم معروفاً ، له كتاب ترجمه بالبيان على ترتيب الفقهاء . انظر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ج ١ /١٠٤ .

(٨٩) ، (٩٠) صحيح مسلم كتاب الايمان ج ١/٧٦ ح ٥٧ .

وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة[٩١] ، والقدرية[٩٢] .

ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل ، وقد دل عليه القرآن والسنّة والفطرة واجماع الصحابة . قال تعالىٰ :

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ

١٠٦ يوسف .

فأثبت لهم ايماناً به سبحانه مع الشرك ، وقال تعالىٰ:

قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا
وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ
وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

١٤ الحجرات .

فأثبت لهم إسلاماً وطاعة لله ورسوله مع نفي الايمان عنهم وهو الايمان المطلق الذي يستحق اسمه بمطلقه الَّذِينَ آمَنُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ

١٥ الحجرات .

---

(٩١) المعتزلة : هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية . ويكذبون بعذاب القبر والشفاعة ، والحوض ، ولا يرون الصلاة خلف أحد من أهل القبلة ، ولا الجمعة الا وراء من كان على أهوائهم . انظر في ذلك كتاب السنّة للامام أحمد ص ٨١ وتلبيس ابليس لابن الجوزي ص ٣٠ .

(٩٢) القدرية : هم الذين يزعمون أن اليهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة ، وانهم يملكون لأنفسهم الخير والشر والضر والنفع ، والطاعة والمعصية ، والهدي والضلال ، وأن العباد يعملون بدءاً من غير أن يكون سبق لهم ذلك من الله عزّ وجلّ أو في علمه وقولهم يضارع قول المجوسية . انظر السنة للامام أحمد ص ٨١ .

وهؤلاء ليسوا منافقين في أصح القولين ، بل هم مسلمون بما معهم من طاعة الله ورسوله ، وليسوا مؤمنين . وان كان معهم جزء من الايمان أخرجهم من الكفار .

« قال الامام أحمد : من أتى هذه الأربعة أو مثلهن أو فوقهن - يريد الزنا والسرقة وشرب الخمر والانتهاب - فهو مسلم ولا أسميه مؤمناً ، ومن أتى دون ذلك - يريد دون الكبائر - سميته مؤمناً ناقص الايمان ، فقد دل على هذا قوله ﷺ « فمن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق » . فدل على أنه يجتمع في الرجل نفاق واسلام .

كذلك الرياء شرك ، فاذا راءى الرجل في شيء من عمله إجتمع فيه الشرك - والاسلام .

« واذا حكم بغير ما أنزل الله ، أو فعل ما سماه رسول الله ﷺ كفراً ، وهو ملتزم للاسلام وشرائعه فقد قام به كفر واسلام .

وقد بيّنا أن المعاصي كلها شعب من شعب الكفر ، كما أن الطاعات كلها شعب من شعب الايمان فالعبد تقوم به شعبة أو أكثر من شعب الايمان ، وقد يسمى بتلك الشعبة مؤمناً ، وقد لا يسمى . كما أنه قد يسمى بشعبة من شعب الكفر كافراً ، وقد لا يطلق عليه هذا الاسلام . فها هنا أمران : أمر اسمي لفظي ، وأمر معنوي حكمي .

فالمعنوي : هل هذه الخصلة كفر أم لا ؟ **واللفظي** : هل يسمى من قامت به كافراً أم لا ؟ .

فالأمر الأول : شرعي محض ، والثاني لغوي وشرعي .

« **وها هنا أصل آخر** : وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الايمان بالعبد أن يسمى مؤمناً وان كان ما قام به ايماناً ، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به ان يسمى كافراً ، وان كان ما قام به كفراً . كما انه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالماً : ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب ان

يسمى فقيهاً ولا طبيباً ، ولا يمنع ذلك أن تسمى شعبة الايمان ايماناً ، وشعبة النفاق نفاقاً ، وشعبة الكفر كفراً .

وقد يطلق عليه الفعل كقوله « فمن تركها فقد كفر » و « من حلف بغير الله فقد كفر » وقوله « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر ومن حلف بغير الله فقد كفر » . رواه الحاكم في صحيحه بهذا اللفظ . فمن صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم كافر على الاطلاق ، وكذا يقال لمن ارتكب محرماً انه فعل فسوقاً وانه فسق بذلك المحرم ، ولا يلزمه اسم فاسق الا بغلبة ذلك عليه »[٩٣] أ . هـ .

ولي على هذا النص تعليق :

---

(٩٣) كتاب الصلاة : للعلّامة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ص ٢٥ ـ ٣١، الطبعة الثانية سنة ١٣٩١ هـ المكتبة السلفية بمصر .

تعليق لا بـــد منــه

في النص المتقدم بعض العبارات التي قد توهم بعض الناس في قضية « الحاكمية » حيث ذكر ابن القيم ان الحكم بغير ما انزل الله كفر دون كفر . وهنا لا بد من ايضاح هذه القضية حتى يزول ما قد يحصل من إشكال .

إن المجتمع الاسلامي منذ قيامه على يد رسول الله ﷺ قد قام على الحكم بشريعة الله ، ومضى على ذلك خلفاؤه الراشدون ، ثم الخلفاء الأمويون مضوا على ذلك وان كان بدر منهم بعض الأنحرافات ، الا أن الحكم الذي يتحاكم اليه الناس هو شرع الله ، يظلهم برايته ويرعاهم بحكمته وعدالته . ثم جاءت الدولة العباسية وكان الشرع أيضاً هو نظام الحكم مع وجود ثغرات قوية بعض الشيء . ثم جاء التتار ، وأتى « هولاكو » بالياسق » - وسيرد كلام العلماء بخصوصه في مكانه المناسب إن شاء الله -

ولما كان الأمر كذلك فان كلام السلف ومنهم ابن القيم كلام لا غبار عليه ، فاذا حكم الحاكم برشوة أو لقرابة ، أو شفاعة أو ما أشبه ذلك فلا شك أن ذلك كفر دون كفر .

وأما ما جد في حياة المسلمين - ولأول مرة في تاريخهم - وهو تنحية شريعة الله ورميها بالرجعية والتخلف وأنها لم تعد تواكب التقدم الحضاري ، والعصر المتطور فهذه ردة جديدة على حياة المسلمين . اذ الأمر لم يقتصر على تلك الدعاوى التافهة ، بل تعداه إلى اقصائها فعلاً عن واقع الحياة واستبدال الذي هو أدنى بها ، فحل محلها القانون الفرنسي أو الانجليزي أو الامريكي أو الاشتراكية الالحادية ما اشبه ذلك من تلك النظم الجاهلية الكافرة .

ولي على هذا الكلام أدلة كثيرة منها :

(١) ما أورده ابن القيم نفسه رحمه الله من قول الامام أحمد الذي تقدم ص ٥٤ وهو قوله « حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه » .

نعم انه أمر لا يختلف فيه أبداً وهو أن تنحية الشريعة ورميها بالقصور والنقصان وأن القانون أكمل منها ، وألين منها في مسايرة تطورات العصر كفر صريح .

(٢) ما أورده ابن القيم أيضاً ص ٥٥ من أن الكفر الذي هو كفر دون كفر ينطبق على الحاكم « الملتزم للاسلام وشرائعه » فهذا اذا خالف النص أو حاد عنه - كما تقدم شرحه - هو الذي ينطبق عليه هذا الحكم . وليس الأمر سارياً على من يحل القانون محل شرع الله .

(٣) قضية التحليل والتحريم ، والتشريع للناس ، اتفقت أقوال العلماء قديماً وحديثاً على أن ذلك من خصائص رب العالمين جلّ جلاله فمن إدعاها لنفسه فقد ألّه نفسه ونصبها نداً يُعبد من دون الله وسيرد ايضاح هذا قريباً .

(٤) إن اقصاء الشريعة الربانية واحلال اهواء البشر محلها هذا من الاشياء التي كفّر العلماء قديماً وحديثاً فاعلها لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة . وهل يجادل أحد في ذلك والله يقول

أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ

٥٤ الاعراف .

فكما أنه سبحانه - وباعتراف الناس - مؤمنهم وكافرهم - هو خالق السماء والأرض ، فهو أيضاً صاحب الأمر والسلطان ، والحكم والسيادة[٩٤] .

(٥) يوضح كلمة الامام أحمد رحمه الله وهي قوله « حتى يجيء من ذلك أمر لا

---

(٩٤) انظر تفسير هذه الآية للشهيد سيد قطب رحمه الله في كتابه « في ظلال القرآن » ج ١٢٩٧/٣ طبع دار الشروق وتفسير ابن كثير .

يختلف فيه » علم من أعلام المسلمين هو الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله حيث يقول :

« إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين »[٩٥] .

(٦) ما ذكره أيضاً ابن القيم رحمه الله في كتاب « مدارج السالكين »حيث قال بعد أن أورد الأقوال في قضية الحكم قال : « والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين ، الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم فانه ان اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة ، وعدل عنه عصياناً مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة ، فهذا كفر أصغر . وان اعتقد أنه غير واجب « وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله . فهذا كفر أكبر ، وان جهله وأخطأ : فهذا مخطىء له حكم المخطئين »[٩٦] .

(٧) ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب « منهاج السنّة » حيث قال : « ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر . فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر . فانه ما من أمة الا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين إلى الاسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله ، كسواليف البادية[٩٧] وكانوا الأمراء المطاعين ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنّة ، وهذا هو الكفر ، فان كثيراً من الناس اسلموا ولكن لا يحكمون الا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون ، فهؤلاء اذا عرفوا انه لا يجوز لهم الحكم الا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار »[٩٨] .

---

(٩٥) تحكيم القوانين ص ١ طبع سنة ١٣٨٠ هـ مطابع الثقافة بمكة .

(٩٦) مدارج السالكين ج ١/٣٣٧ .

(٩٧) أي عادات وتقاليد أهل البادية .

(٩٨) مجموعة التوحيد الرسالة الثانية عشرة ص ٢٧٨ ط دار الفكر .

(٨) يقول : العلاّمة ابن القيم في تفسير قوله تعالى :

﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

٩٧ ـ ٩٨ الشعراء .

« هذه التسوية انما كانت في الحب والتأليه واتباع ما شرعوا ، لا في الخلق والقدرة والربوبية ، وهي العدل الذي أخبر به عن الكفار كقوله

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

١ الأنعام .

وأصح القولين : أن المعنى : ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، فيجعلون له عدلاً يحبونه ويقدسونه ويعبدونه ، كما يعبدون الله ويعبدونه ، ويعظمون أمره وهذه التسوية لم تكن منهم في الافعال والصفات ، بحيث اعتقدوا انها مساوية لله سبحانه في أفعاله وصفاته ، وانما كانت تسوية منهم بين الله وبينها في المحبة والعبودية والتعظيم مع اقرارهم بالفرق بين الله وبينها ، فتصحيح هذه : هو تصحيح شهادة أن لا إله إلا الله »(٩٩) .

وان مما يزيد ايضاح الحقيقة في أمر احلال القانون والهوى محل الشرع ، ما ذكره العلماء من أن كفر الاعتقاد ينقسم إلى خمسة أنواع هي :(١٠٠)

(١) كفر تكذيب : وهو اعتقاد كذب الرسل . وهذا القسم قليل في الكفار ، فان الله تعالىٰ أيد رسله ، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة . قال تعالىٰ عن فرعون وقومه

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ ١٤ النمل .

---

(٩٩) التفسير القيم ص ٣٩٦ .

(١٠٠) أوردها العلاّمة ابن القيم في « مدارج السالكين ج ١/٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

وقال لرسوله ﷺ

فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ

٣٣ الأنعام .

(٢) كفر إباء واستكبار : مثل كفر ابليس : ومن هذا كفر من عرف الرسول ولم ينقد له إباء واستكباراً وهو الغالب على كفر أعداء الرسل كما قال تعالىٰ عن فرعون وقومه

أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧ المؤمنون .

ومنه كفر أبي طالب فانه صدقه ولم يشك فيه صدقه ولكن أخذته الحمية ، وتعظيم آياته أن يرغب عن ملتهم .

(٣) كفر اعراض : مثل من يعرض عن الرسول ﷺ لا يسمعه ، ولا يصدقه ، ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة ، كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ « والله أقول لك كلمة : ان كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك وان كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أكلمك »[١٠١] .

(٤) كفر الشك : حيث لا يجزم بصدقه ، ولا يكذبه ، بل يشك في أمره ، وهذا لا يستمر شكه الا اذا ألزم نفسه الاعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة ، وأما مع التفاته اليها ونظره فيها فانه لا يبقى معه شك لأنها مستلزمة للصدق .

(٥) كفر نفاق : وهو أن يظهر بلسانه الايمان وينطوي بقلبه التكذيب وهذا هو النفاق الأكبر .

وبعد أن وضحنا الكفر بنوعيه ـ نعوذ بالله منه ـ ننتقل إلى تبيان الشرك ـ نعوذ

(١٠١) علق الشيخ محمد حامد الفقي على هذا بقوله « وهو كفر الملحدين اليوم من المتسمين بأسماء اسلامية ، المقلدين للافرنج من اليهود والنصارى ، المنحلين عن كل خلق وفضيلة ، زاعمين بجاهليتهم وسفههم أن هذا هو سبيل الرقي والمدنية « مدارج السالكين ٢٢٨/١ » الحاشية » .

بالله منه ـ وهو كما ورد سابقاً في كلام ابن القيم ينقسم إلى أكبر مخرج من الملة ، وإلى أصغر وهو الرياء . أما الشرك الأكبر فدليله قوله تعالىٰ :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ

١١٦ النساء .

وهو أربعة أنواع كما ذكر ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي :

(١) شرك الدعوة : قال تعالىٰ :

فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ

٦٥ العنكبوت .

(٢) شرك النية والارادة والقصد : قال تعالىٰ :

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

١٥ ـ ١٦ هود .

(٣) شرك الطاعة : قال تعالىٰ :

ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ

٣١ التوبة .

وفي الحديث : عن عدي بن حاتم حين سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » قال : فقلت : انهم لم يعبدوهم ؟ فقال : « بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم »[102] . قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسيرها : انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا .

(٤) شرك المحبة : قال تعالىٰ :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ[103] . ١٦٥ البقرة .

وأما النفاق : فمنه ما هو مخرج من الملة ، وهذا هو النفاق الأكبر وفيه يقول شيخ الاسلام بن تيمية : « والنفاق منه ما هو أكبر ، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ، كنفاق عبد الله ابن أبيّ وغيره ، بأن يظهر تكذيب الرسول ، أو جحود بعض ما جاء به ، أو بغضه ، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه ، أو المسرة بانخفاض دينه ، أو المساءة بظهور دينه ، ونحو ذلك مما لا يمكن صاحبه الا عدواً لله ورسوله »[104] .

وأما الردة : فهي الكفر بعد الايمان فمن (قال الكفر أو فعله أو رضي به مختاراً كفر ، وان كان مع ذلك يبغض بقلبه ، وبهذا قال علماء السنّة والحديث ، وذكروا ذلك في كتبهم فقالوا : إن المرتد هو الذي يكفر بعد اسلامه اما نطقاً ، واما فعلاً واما اعتقاداً . وقرروا أن من قال الكفر كفر وان لم يعتقده ولم يعمل به اذا لم يكن مكرهاً .

وكذلك اذا فعل الكفر كفر وان لم يعتقده ولا نطق به ، وكذلك اذا شرح

---

(١٠٢) اخرجه الترمذي في كتاب التفسير ج ٢٤٨/٨ ح ٣٠٩٤ تحقيق الدعاس قال الترمذي هذا حديث غريب . وأورده ابن كثير في تفسير هذه الآية ج ٧٧/٤ وعزاه للامام احمد وابن جرير . وقال الالباني حديث حسن . انظر غاية المرام في تخريج الحلال والحرام ص٢٠ .

(١٠٣) مجموعة التوحيد ص ٣ .

(١٠٤) الفتاوى ج ٤٣٤/٢٨ .

بالكفر صدره أي فتحه ووسعه وان لم ينطق بذلك ولم يعمل به . وهذا معلوم قطعاً من كتبهم ومن له ممارسة في العلم فلا بد أن يكون قد بلغ طائفة من ذلك[١٠٥] .

ومن باب التفصيل والتوضيح وذكر التفصيل بعد الاجمال : اليك نواقض الاسلام العشرة كما قررها أهل العلم .

---

(١٠٥) الدفاع للشيخ حمد بن عتيق ص ٢٨ وانظر التشريع الجنائي ٧٠٨/٢ وكتاب الردة بين الأمس واليوم ص ٣٣ .

نواقض الاسلام

ذكر أهل العلم أن هناك عشرة نواقض هامة هي :

(١) الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له ، قال تعالىٰ :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ

١١٦ النساء .

(٢) من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة . كفر إجماعاً .

(٣) من لم يكفر المشركين ، أوشك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم . كفر اجماعاً .

(٤) من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه فهو كافر .

(٥) من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر اجماعاً . والدليل قوله تعالىٰ :

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ

٩ محمد .

(٦) من استهزأ بشيء من دين الله ، أو ثوابه ، أو عقابه ، كفر والدليل قوله تعالىٰ :

قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ

لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

٦٥ ، ٦٦ التوبة .

(٧) السحر ، ومنه الصرف ، والعطف فمن فعله أو رضي به كفر والدليل قوله تعالى :

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ

حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ

١٠٢ البقرة .

(٨) مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالىٰ :

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

ٱلظَّٰلِمِينَ المائدة : ٥١ .

(٩) من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي ﷺ وانه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام ، فهو كافر .

(١٠) الاعراض عن دين الله لا يتعلمه ، ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن

ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ

مُنتَقِمُونَ السجدة : ٢٢ .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف الا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطراً ، ومن أكثر ما يكون وقوعاً ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه (١٠٦) .

---

(١٠٦) الدرر السنية ٨/٨٩ ـ ٩٠ وانظر مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب ج ٥/٢١٢ ـ ٢١٤ .

ويجدر بنا ونحن نستعرض هذه النواقض أن نقف عند اثنين منها ، نظراً لاهيمتها وخطورتها على حياة المسلمين وليتضح سبب الاسهاب في قضية الحاكيمة وعلاقة الولاء والبراء بذلك .

الأول : (من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه فهو كافر) .

إن تنحية شريعة الله عن مجرى الحياة ، واستيراد قوانين البشر القاصرة : ردة جديدة برزت في القرون الأخيرة من حياة المسلمين ، ذلك أن المجتمع الاسلامي عاش قروناً طوالاً يستظل بشرع الله وتهيمن الشريعة على حياة أفراده حكاماً ومحكومين - مع وجود بعض المعاصي سواء كانت كبائر أم صغائر - ولكن نظام حياة الناس ، والتشريع المنفذ في أمورهم هو شرع الله وحكمه ، وكذلك جهاد الكفار ونشر كلمة الاسلام في الأرض كانت كل هذه الأمور في ازدياد وتوسع . أما رمي الشريعة الاسلامية بالقصور والرجعية وعدم مسايرة تطورات العصر فهذا شيء لم يحدث الا بعد أن مكن المسلمون الإستعمار العالمي من ذلك وبعد أن نسوا الله فأنساهم أنفسهم .

ولقد جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بنصوص كثيرة صريحة واضحة حول قضية الحكم وأنها من عقيدة المسلم ، ومن أهم أمور الدين قال تعالىٰ :

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ٤٤ المائدة .

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥ المائدة .

وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٤٧ المائدة .

وقال

أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ

٥٠ المائدة .

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا

٦٥ النساء .

أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ

٢١ الشورى

وقال تعالى : وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ‎ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ‎ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ‎ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ‎ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

٤٧ - ٥١ النور .

ويقول سبحانه :

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا

١١٥ النساء .

ثم يبيّن سبحانه وتعالىٰ زيف زعم من يدعي الايمان ويريد التحاكم إلى الطاغوت فيقول :

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا

٦٠ - ٦١ النساء .

ولقد أحسن أحد العلماء في وصف من طمست بصيرته فاستبدل بالشريعة القانون حيث قال : ان مثل هذا مثل « الجعل يتأذى من رائحة المسك والورد الفواح ، ويحيا بالعذرة والغائط في المستراح »[١٠٧] . ولقد قال تعالىٰ

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ

٢٠ المجادلة .

ومن أعظم المحادة لله ورسوله التولي عن حكم الله وشرعه وسنة نبيه ﷺ وما هذه الذلة التي يعيشها المسلمون اليوم في الأرض إلا نتيجة طبيعية لترك شرع الله

(١٠٧) الرسائل المنيرية ج ١/١٣٩ .

فهاهم أولاء اليوم كثير ولكنهم غثاء كغثاء السيل ، طمعت فيهم أحقر الأمم وسيطرت عليهم أراذل الناس ، ولقد صدقت فيهم نبوة محمد ﷺ حين قال : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها » فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بل انتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن » فقال قائل : يا رسول الله : وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت »(١٠٨) .

وان جزءاً كبيراً من هذا الانحراف الذي سيطر اليوم على حياة المسلمين يتحمله الذين يتزيون بزي العلماء ويحسنون للناس أن يستبدلوا بشرع الله أهواء البشر ، إن هؤلاء ليحملون أوزارهم كاملة ومن أوزار الذين يضلونهم الى يوم القيامة والاسلام بريء من هؤلاء . ويرحم الله علماء السلف الذين كانوا حماة على ثغور الاسلام حتى لا يؤتى الاسلام من قبل أحدهم .

فهذا الامام الجليل الحافظ ابن كثير رحمه الله يذكر في كتابه « تفسير القرآن العظيم » ما حل بالأمة الاسلامية أيام التتار ، وذلك عند قوله تعالىٰ

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾

٥٠ المائدة .

قال : ينكر الله تعالىٰ على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان ، الذي وضع لهم الياسق

---

(١٠٨) سنن أبي داود كتاب الملاحم ج ٤/٤٨٤ ح ٤٢٩٧ . وقال في مشكاة المصابيح ورواه البيهقي في دلائل النبوة . ثم قال الشيخ الالباني وهو حديث صحيح . انظر مشكاة المصابيح ١٤٧٥/٣ .

«وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى ، من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً ، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله ، حتى يرجع الى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير»(١٠٩) .

ويوضح الشيخ محمد بن ابراهيم(١١٠) رحمه الله الحالات التي ان فعلها الحاكم دخلت في الكفر المخرج من الملة وهي :

(١) اذا جحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله . وهو معنى ما روي عن ابن عباس ، واختاره ابن جرير ، وجحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي لا نزاع فيه بين أهل العلم ، فان الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم ، ان من جحد أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجمعاً عليه ، أو انكر حرفاً مما جاء به الرسول ﷺ قطعياً فانه كافر كفراً ينقل عن الملة(١١١) .

(٢) إن لم يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله ان حكم الله ورسوله حق ، ولكنه اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه ، وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس وما استجد لهم من حوادث نشأت عن تطور الزمان ، وتغير الأحوال فهذا أيضاً لا ريب في كفره لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي زبالة الأذهان وحثالة الأفكار على حكم الحكيم الخبير . فانه ما من قضية كائنة ما كانت الا وحكمها في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ نصاً أو ظاهراً أو استنباطاً أو غير ذلك ، علم ذلك من علمه وجهله من جهله .

(٣) ان لا يعتقد كونه احسن من حكم الله ورسوله ، لكن اعتقد أنه مثله ، فهذا

---

(١٠٩) تفسير ابن كثير ج ١٢٣/٣ .

(١١٠) هو الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ولد سنة ١٣١١ هـ ونشأ في بيت علم وفضل . وحفظ القرآن وهو في الحادية عشرة من عمره ، وكف بصره وهو في الرابعة عشرة من عمره فصبر واحتسب . وتتلمذ على الشيخ سعد بن عتيق . وتوفي في رمضان سنة ١٣٨٩ هـ عن عمر يناهز الثمانين عاماً . انظر ترجمته في كتاب علماء نجد للبسام ٨٨/١ .

(١١١) تحكيم القوانين ص ٥ .

كالنوعين السابقين كافر كفراً ينقل عن الملة لما في ذلك من تسوية المخلوق بالخالق .

(٤) من اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهو كالذي قبله .

(٥) من أعظم ذلك وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ، ومشاقة لله ولرسوله : ايجاد المحاكم الوضعية التي مراجعها القانون الوضعي ، كالقانون الفرنسي أو الامريكي أو البريطاني أو غيرها من مذاهب الكفار ، وأي كفر فوق هذا الكفر ؟ ! وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة ؟ ![112] .

(٦) ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم واجدادهم وعاداتهم التي يسمونها « سلومهم » يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به رغبة واعراضاً عن حكم الله .

(أما الكفر الذي لا ينقل عن الملة : والذي ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما بأنه كفر دون كفر وقوله أيضاً : « ليس بالكفر الذي تذهبون اليه » فذلك مثل ، ان تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق ، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى . وهذا وان لم يخرجه كفره عن الملة فانه معصية عظمى أكبر من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقة وغيرها فان معصية سماها الله في كتابه كفراً أعظم من معصية لم يسمها الله كفراً)[113] .

وان الذي جعلنا نسهب في ذكر شؤون الحاكمية وتفصيل أحوالها هو خطورتها وعظمها . فإن موالاة الحاكم بغير ما أنزل الله واقرار تشريعه للناس من عند نفسه وتحليله وتحريمه ما لم يأذن به الله ، مناقضة للشهادة بأن الله هو الإله الذي تألهه القلوب بالحب والتعظيم والطاعة والانقياد ، ومناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله فهو المطاع فيما أمر ونهى عنه وزجر ولو فهم الناس هذا لما بقي لطاغية في

---

(١١٢) المصدر السابق ص ٧ .

(١١٣) المصدر السابق ص ٨ .

الأرض حق الوجود والتشريع . واقرار الكفر وتنحية شرع الله المحكم .

الثاني : من الأمور التي يجب أن نتدبرها بروية - من نواقض الاسلام - مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالىٰ :

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ

٥١ المائدة .

وهذا من أعظم النواقض التي وقع فيها سواد الناس اليوم في الأرض ، وهم بعد ذلك يحسبون على الاسلام ويتسمون بأسماء اسلامية . فلقد صرنا في عصر يستحي فيه أن يقال للكافر : يا كافر !! بل زاد الأمر عتواً بنظرة الاعجاب والاكبار والتعظيم والمهابة لاعداء الله ، وأصبحوا موضع القدوة والاسوة لضعاف الايمان ، ينظرون إلى اعداء الله نظرة انبهار ملؤها التمني أن يكونوا مثلهم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه .

مظاهرة أخذت صوراً شتى فمن الميل القلبي إلى انتحال مذاهبهم الالحادية الى مجاراتهم في تشريعاتهم ، إلى كشف عورات المسلمين لهم ، الى كل صغير وكبير في حياتهم . وسيأتي تفصيل الحديث في هذا الأمر - إن شاء الله - في فصل صور الموالاة .

من هنا فان ادراك حقيقة هذه العقيدة ونواقضها ، أمر كفيل بأن يجعل المسلم على بصيرة من أمره في عقيدة الولاء والبراء . حسب المقياس الشرعي الصحيح ، وليس حسب مقياس أهواء البشر . إنه لا ولاء إلا لله ولرسوله ودينه والمؤمنين . والبراء من كل متبوع أو مرغوب أو مرهوب يحاد الله ورسوله .

البابُ الأوّل

الباب الأول

مفهوم الولاء والبــراء

الفصل الأول : تعريفه وأهميته في الكتاب والسنّة

الولاء في اللغة : جاء في لسان العرب : الموالاة ـ كما قال ابن الأعرابي ـ : ان يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح ، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه . ووالى فلان فلاناً : إذا أحبه .

والمولى : اسم يقع على جماعة كثيرة ، فهو : الرب ، والمالك ، والسيد والمنعم ، والمعتق ، والناصر ، والمحب ، والتابع ، والجار ، وابن العم ، والحليف ، والعقيد ، والصهر ، والعبد ، والمعتق ، والمنعم عليه . ويلاحظ في هذه المعاني أنها تقوم على النصرة والمحبة[1] .

والوَلاية ـ بالفتح ـ في النسب والنصرة والعتق .

والموالاة ـ بالضم ـ من والى القوم . قال الشافعي في قوله ﷺ « من كنت مولاه فعلي مولاه »[2] يعني بذلك ولاء الاسلام ، كقوله تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ

١١ محمد .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٩٨٥/٣ ـ ٩٨٦ وانظر القاموس المحيط ٢٩٤/٤ ط ٣ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند عن البراء ٢٨١/٤ وأيضاً عن زيد بن ارقم ٣٦٨/٤ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ والترمذي في المناقب ج ٣٠٠/٩ ح ٣٧١٤ وقال حديث حسن صحيح غريب . وقال الالباني صحيح . انظر صحيح الجامع الصغير ٣٥٣/٦ ح ٦٣٩٩ .

والموالاة ضد المعاداة ، والولي ضد العدو ، قال تعالىٰ :

يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا

٤٥ مريم .

قال ثعلب : كل من عبد شيئاً من دون الله فقد اتخذه ولياً . وقوله تعالىٰ :

ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

٢٥٧ البقرة .

وليهم في نصرهم على عدوهم ، واظهار دينهم على دين مخالفيهم
وقيل : وليهم أي : يتولى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم .

والوَلْيُ : القرب والدنو[٣] . والموالاة : المتابعة .

والتولي : يكون بمعنى الاعراض ، ويكون بمعنى الاتباع . قال تعالىٰ :

وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ

٣٨ محمد .

أي : إن تعرضوا عن الاسلام .

وقوله تعالىٰ :

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ

٥١ المائدة .

معناه ـ من يتبعهم وينصرهم[٤] .

(٣) لسان العرب ٩٨٦/٣ .
(٤) لسان العرب ؟/٩٨٨ .

وقال صاحب « المصباح المنير » الولي : فعيل بمعنى فاعل ، من وليه اذا قام به ، ومنه قوله تعالىٰ :

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

٢٥٧ البقرة .

ويكون الولي : بمعنى مفعول ، في حق المطيع ، فيقال : المؤمن ولي الله . ووالاه موالاة وولاء : من باب « قاتل » أي تابعه(٥) .

* * *

تعريف البراء في اللغة : قال ابن الاعرابي : بريء اذا تخلص ، وبريء ، اذا تنزه وتباعد ، وبريء : اذا اعذر وانذر ، ومنه قوله تعالى

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ

١ التوبة : أي اعذار وانذار .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما دعاه عمر إلى العمل فأبى قال عمر : ان يوسف قد سأل العمل ، فقال أبو هريرة : إن يوسف مني بريء وأنا منه براء(٦) . أي بريء عن مساواته في الحكم وان أقاس به ، ولم يرد براءة الولاية والمحبة لأنه مأمور بالايمان به ، انتهى من النهاية .

والبراء والبريء سواء .

وليلة البراء : ليلة يتبرأ القمر من الشمس ، وهي أول ليلة من الشهر(٧) .

---

(٥) المصباح المنير للفيومي ٨٤١/٢ .

(٦) هذا الأثر ذكره ابن الأثير في كتابه « النهاية في غريب الحديث ١١٢/١ تحقيق الزاوي والطناحي .

(٧) لسان العرب ١٨٣/١ والقاموس المحيط ٨/١

تعريف الولاء بالمعنى الاصطلاحي : الولاية هي النصرة والمحبة والاكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً . قال تعالىٰ :

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ ﴾ (8) ٢٥٧ البقرة .

فموالاة الكفار تعني التقرب اليهم واظهار الود لهم ، بالأقوال والأفعال والنوايا(9) .

تعريف البراء بالمعنى الاصطلاحي : هو البعد والخلاص والعداوة بعد الاعذار والانذار .

شرح تعريف الولاء والبراء : قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الولاية : ضد العداوة . وأصل الولاية : المحبة والقرب ، وأصل العداوة : البغض والبعد » . . والولي : القريب يقال : هذا يلي هذا : أي يقرب منه ، ومنه قوله ﷺ « الحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولي رجل ذكر »(10) أي لأقرب رجل إلى الميت .

فاذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه ، كان المعادي لوليه معادياً له . كما قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾

١ الممتحنة .

---

(8) شرح الطحاوية ص ٤٠٣ وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٤٢٢ .

(9) كتاب الايمان لنعيم ياسين ص ١٤٥ .

(10) هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الفرائض ١١/١٢ ح ٦٧٣٢ ومسلم في الفرائض ١٢٣٣/٣ ح ١٦١٥ .

فمن عادى أولياء الله فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ولهذا جاء في الحديث « ومن عادى لـي ولياً فقد بارزني بالمحاربة »(١١) .

ومسمي الموالاة (لأعداء الله) : يقع على شعب متفاوتة منها ما يوجب الردة وذهاب الاسلام بالكلية ، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات(١٢) . ولما عقد الله الاخوة والمحبة والموالاة والنصرة بين المؤمنين ، ونهى عن موالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى وملحدين ومشركين وغيرهم كان من الأصول المتفق عليها بين المسلمين : أن كل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية تجب محبته وموالاته ونصرته ، وكل من كان بخلاف ذلك وجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته ، وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة والإمكان .

وحيث أن الولاء والبراء تابعان للحب والبغض ، فان أصل الايمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم ، وتبغض في الله اعداءه وأعداء رسله(١٣) .

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله « من أحب في الله ، وأبغض في الله ووالـى في الله ، وعادى في الله ، فانما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً »(١٤) .

واذا كان حبر هذه الأمة يذكر أن مؤاخاة الناس في زمانه قد أصبحت على أمر الدنيا وأن ذلك لا يجدي على أهله شيئاً ، وهذا في القرن الذي هو خير القرون : فجدير بالمؤمن أن يعي ويعرف من يحب ومن يبغض ، ومن يوالي ومن يعادي ثم يزن نفسه بميزان الكتاب والسنّة ليرى أواقف هو في صف الشيطان وحزبه أم في صف عباد الرحمن وحزب الله الذين هم المفلحون ، وما عداهم فأولئك هم الذين خسروا الدنيا والآخرة !

---

(١١) الفرقان لابن تيمية ص ٧ أما الحديث فقد رواه البخاري في كتاب الرقائق باب التواضع ١١/٣٤١ ج ٦٥٠٢ .

(١٢) انظر الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٤٣ .

(١٣) انظر الفتاوى السعدية للشيخ عبد الرحمن بن سعدى ١/٩٨ .

(١٤) سبق تخريجه ص ٣٣ .

وإذا أصبحت المؤاخاة والمحبة على أمر الدنيا ـ كما قال الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ـ فان تلك المحبة والمؤاخاة ولا تلبث أن تزول بزوال العرض الزائل وحينئذ لا يكون للأمة شوكة ومنعة أمام أعدائها .

وفي عصرنا الحاضر عصر المادة والدنيا قد أصبحت محبة الناس في الأغلب على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً .

ولن تقوم للأمة الاسلامية قائمة الا بالرجوع الى الله والاجتماع على الحب فيه والبغض فيه والولاء له والبراء ممن أمرنا الله بالبراء منه ، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

أهمية هذا الموضوع في الكتاب والسنّة ونصيبه من الدراسة والتأليف

إنه من الجدير بالذكر أن هذا الموضوع - الولاء والبراء - رغم أهميته ووضوحه في الكتاب والسنّة إلا أن نصيبه من الدراسة والتأليف في الكتب العقدية القديمة قليل جداً . وذلك راجع في نظري إلى ثلاثة أمور :

(١) إن هذا المفهوم العقدي كان من الوضوح والنصاعة عند المسلمين الأولين بمكان ، حيث إنهم - من خلال سيرتهم وتاريخهم الوضيء - كانوا على درجة عالية جداً من الصفاء العقيدي ، والتميز الواضح ، وقيامهم أيضاً - بالجهاد في سبيل الله . كل ذلك جعل هذا الأمر واضحاً وجلياً في حسهم وأيضاً رجوعهم للكتاب والسنّة في كل شيء وهذا الأمر فيهما واضح جداً .

(٢) إن طبيعة المجتمع الاسلامي الأول خاصة بعد الخلافة الراشدة لم تبرز فيه مشاكل عقدية حول هذا الموضوع وانما نشأت حول صفات الله جلّ جلاله ، وقامت الفرق المختلفة بالخوض فيها . فكان لا بد أن يتصدى أهل السنّة والجماعة لمعالجة ذلك الانحراف بأن يبينوا للناس أن لله صفات تليق بجلاله وعظمته . نثبتها له كما جاءت في الكتاب والسنّة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل .

من هنا زخرت مؤلفاتهم رحمهم الله بالحديث في هذا الشأن ، ولا تجد لهم ذكراً لقضية الولاء والبراء إلا في كلمات موجزة صغير كقولهم « ونحن أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من احد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم »[١٥] .

(٣) وبعد دخول علم الكلام في مؤلفات المسلمين العقائدية ، وتعكير صفوها بما ليس منها : لم يعد لهذا الموضوع ذكر البتة : وليس هو المنفرد بهذا الاقصاء ، بل انه تابع لاقصاء موضوع « لا إله إلا الله وما تقتضيه من توحيد الألوهية وما

---

(١٥) الطحاوية مع شرحها ص ٥٢٨ ط ٤ .

يضاد ذلك من نواقض الاسلام ، التي لو شغل المسلمون أنفسهم ببيانها وعرضها للناس عرضاً صحيحاً سليماً بدلاً من تحويلها إلى قضايا ذهنية تجريدية لا علاقة لها بالسلوك الواقعي ولا بمعاني الاسلام الحقيقية لكان ذلك اجدى وأنفع للناس ، وأقوم للقيام بما أراده الله منهم . ولو أن الأمة الاسلامية تقيدت بقول رسولها ﷺ « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك »[١٦] . وعضت على ذلك بالنواجذ ما طمع فيها شرق ولا غرب ، ولا تخبطت في متاهات التبعية العمياء للالحاد والفكر الجاهلي سواء كان شرقياً أم غربياً على حد سواء .

وحين اقتصر المسلمون الأوائل على الوحيين العزيزين خرج منهم جيل فريد ليس له مثال لا سابق ولا لاحق ، جيل اعتز بانتمائه لدينه الخالص ، ففتح الدنيا ومزق ظلام الكفر والشرك وصدع باسم الله في الأرض من مشارف فرنسا غرباً إلى حدود الصين شرقاً .

ولعله من المناسب هنا أن نتحدث ـ ولو قليلاً ـ عن طريقة القرآن والسنّة في عرض العقيدة بصفة عامة وجناية علم الكلام على المسلمين لنقف من خلال هذه النبذة على مدى الهوة بين صفاء النبع العقيدي الرباني وبين جهالات علم الكلام .

لقد أدرك سلف هذه الأمة رحمهم الله أن كتاب الله العزيز هو : كتاب هداية وليس كتاب فلسفة ونظريات فارغة لا تمس الواقع . وأيقن ذلك الجيل أن الله هو خالق النفس البشرية وأنه هو العليم وحده بما يصلحها ، فلما أنزل كتابه على رسوله ﷺ كان هو النور الهادي للنفوس ، ومصدر كل خير لها ، وهو أيضاً النذير لها من كل ما يوردها موارد الهلاك والخسران . وميزة الخطاب القرآني : أنه يخاطب « الانسان » كوحدة متصلة فيها الروح والجسد وفيها العقل والعاطفة ، وفيها حب

---

(١٦) مسند أحمد ١٢٦/٤ وجامع بيان العلم لابن عبد البر ٢٢٢/٢ وسنن ابن ماجة : المقدمة ١٦/١ ح ٤٣ وفي سنده عبد الرحمن بن عمرو السلمي لم يوثقه غير ابن حبان . وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٤٦/١ عن أبي عاصم في كتاب السنّة وقال اسناده حسن . انظر جامع الأصول ٢٩٣/١ « حاشية » .

الخير وكره الشر ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ ٧ ـ ١٠ الشمس .

هكذا هي الطريقة القرآنية في عرضها للعقيدة أنها (طريقة لا تخاطب الذهن المجرد ولكنها تخاطب « الانسان » كله ، وتخاطبه ـ أول ما تخاطبه ـ عن طريق الوجدان ولا يمنع هذا أن تدعو عقله للمشاركة في الأمر ، ولكنها لا تخاطبه منفرداً انما تخاطبه دائماً والوجدان مستجاش ، فيأخذ دوره في التلقي منفعلاً بالقضية ، متحركاً للايمان بها ، لا مجرد مُسَاجِلٍ فيها بالمنطق والبرهان : والقرآن حين يصنع ذلك فهو يستجيب للفطرة البشرية كما خلقها الله فالله الذي خلق هذه الفطـرة هو الـذي أنزّل هذا القرآن مفصلاً على قدها ، مستجيباً لها ، ومحيياً لها ، وباعثاً ومقوماً في آن . والعقل جزء من هذه الفطرة ولا شك ، وله دوره في قضية الايمان . . ولكن الله يعلم الشروط اللازمة لهذا العقل حين يتناول قضية من قضايا « الحياة » انه يمكن أن يعمل وحده حين يكون دوره هو التعرف على سنة من سنن الكون لا مجال فيها للوجدان ، أما في قضية الايمان فانه لا يستقل بهذا الأمر وحده ، بل تشاركه العاطفة والوجدان »[17] .

واذا تصفحنا التاريخ الاسلامي لنبحث عن تاريخ الانحراف في الدراسات العقدية لوجدنا أن ذلك قد وقع في العهد الأموي بشكل بسيط ولكنه بلغ قمته في العهد العباسي إبّان ترجمة العلوم اليونانية والهندية والفارسية إلى اللغة العربية . فبعد أن اتسعت الفتوحات وامتدت رقعة الدولة الاسلامية ودخل في الاسلام أناس أظهروا الاسلام وأبطنوا النفاق والزندقة حصل خلط في المترجمات ، فلم يفرق بين الغث والسمين من تلك العلوم الأجنبية .

ولما أصبح شغل أكثر الناس هو الترف العقلي : رأوا أن يستوردوا غثاء الجاهلية الاغريقية وسمي ذلك عند المخدوعين به « فلسفة » !! وانبهروا بهذا

---

(١٧) دراسات قرآنية للاستاذ محمد قطب ص ١٤٩ بقليل من التصرف .

المستورد الدخيل وما فيه من عجمة وتعقيد ولعب بالالفاظ ودلالتها . وقادهم هذا الانبهار إلى إلباس التصور الاسلامي قناعاً غريباً عليه . غريباً عليه في ذاته ، وغريباً عليه في عرضه ، وغريباً ايضاً على أهله . وسر ذلك : ان (هناك جفوة أصيلة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة ، وبين الحقائق الايمانية الاسلامية وتلك المحاولات الصغيرة المضطربة المفتعلة التي تتضمنها الفلسفات والمباحث اللاهوتية البشرية)(١٨) .

وحريّ بنا أن نسأل : ما هو سر محاولة التوفيق بين الفلسفة البشرية الجاهلية التي نمت، وترعرعت في جو وثني كافر ، وبين المورد العذب دين الله « الاسلام » .

هل كان ذلك نتيجة للتقليد الأعمى والسعي وراء كل ناعق ؟

أم أنه كان نتيجة للقعود عن الجهاد ونشر العقيدة في ربوع الأرض ؟

أم هو الترف العقلي ومجابهة أصحاب الجدل بنفس أسلوبهم ؟

أم أن وراء ذلك كيداً من أعداء الاسلام في محاولة تشويه صفاء هذه العقيدة وخلطها بالشوائب الغريبة عنها ؟ !

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن هذه الأسباب مجتمعة لها دورها كل بحسب أهميته الا أنه من خلال تتبع قصة الترجمة في عهدها الأول يظهر لي : أن كيد أعداء الدين وافق هوى عند بعض المسلمين خاصة بعض الحكام في العهد العباسي ـ كالمأمون مثلاً ـ فحدث ما حدث من ترجمة لكتب المباحث السوفسطائية اليونانية وغيرها .

ويصدق ذلك : أن المأمون بعث إلى حاكم صقلية المسيحي يطلب منه أن يبادر بارسال مكتبة صقلية الشهيرة الغنية بكتب الفلسفة !!

وتردد الحاكم في ارسالها ، وجمع رجالات دولته واستشارهم حول هذا الطلب فأشار عليه المطران الأكبر بقوله : (ارسلها اليه ، فوالله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها) فأذعن الحاكم لمشورته وعمل بها . ثم أحضر المأمون حنين بن

(١٨) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته للاستاذ سيد قطب ص ١٠ ـ ١١ دار الشروق .

اسحاق[19] ـ وكان فتى لسناً ـ وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب حكماء اليونان إلى العربية ، فامتثل لأمره . وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية مثلا بمثل . مما جعل حنيناً يكتب على ورق غليظ ويباعد بين الأسطر ويكتب بالحروف الكبيرة[20] !!؟ وصدقَ ـ والله ـ المطران القبرصي : إن هذه الكتب ما دخلت أمة الا أفسدتها ترى من أين جاءت محنة الامام أحمد بن حنبل رحمه الله في مسألة خلق القرآن ؟ ومن أين جاء اضطهاد علماء السنّة ومحاربتهم وظهور المبتدعة أيام المأمون وغيره ؟ ومن أين جاءت المصطلحات المبتدعة كالجوهر والعرض والواجب والممكن وغيرها ؟ انه لم يأت كل ذلك إلا من ترجمة علم الكلام الجاهلي وخلطه بالعقيدة الاسلامية ليصنع من ذلك كله ما سمي بـ « الفلسفة الاسلامية » !!

واذا علمنا : أن المترجمين كان جلهم نصارى[21] . وقد كتبوا في الترجمة العربية ما يعتقدونه ويديونون . فكيف يوثق بنصراني يعتقد التثليث وهو يترجم للمسلمين كتباً يتعلمونها ويعلمونها أبناءهم ويستفيدون منها في مؤلفاتهم ؟ لقد صدق الشاعر حين قال :

ومن جعل الغراب له دليلا   يمر به على جيف الكلاب

ولمزيد من ايضاح وبيان البون الشاسع بين طريقة القرآن والسنة في عرض العقيدة وبين علم الكلام نذكر الأمور التالية في المباينة بينهما ، لا من باب المقارنة فلا وجه للمقارنة في الحقيقة ، اذ الأمر كما يقول الشاعر :

---

(19) هو حنين بن اسحاق ، طبيب ، مؤرخ ، مترجم ، كان أبوه صيدلانياً من أهل الحيرة ، أخذ العربية عن الخليل بن أحمد ، وأخذ الطب عن يوحنا بن ماسويه وغيره ، وتمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية فانتهت اليه رئاسة المترجمين في عهد المأمون الذي عينه رئيساً لديوان الترجمة وبذل له الأموال والعطايا .
لخص كثيراً من كتب أبقراط وجالينوس ، وكان يحفظ الياذة هوميروس ومترجماته تزيد على المائة .
انظر الاعلام للزركلي ج ٢٨٧/٢ ط ٤ .

(20) انظر كتاب « عصر المأمون » ص ٣٧٥ ـ ٣٧٧ للدكتور أحمد مزيد رفاعي ط ١٣٤٦/٢ هـ الناشر دار الكتب المصرية .

(21) انظر في هذا كتاب الجانب الإلهي للاستاذ محمد البهي ص ١٧٧ .

ألم تــر أن السيف ينـقص قــدره　　اذا قيل ان السيف أمضى من العصا

وانما من باب التنبيه والتذكير[٢٢] .

(١) في المصدر : فمصدر العقيدة القرآنية : الله رب العالمين . أما مصدر « علم الكلام » فعقول البشر القاصرة الهزيلة .

(٢) في المنهج والسبيل : فغاية علم الكلام : اثبات وحدانية الخالق ، وانه لا شريك له ويظن المتكلمون أن هذا هو المراد بـ « لا إله إلا الله » بينما المراد منها ما سبق أن شرحناه في التمهيد ثم ان علم الكلام يسعى لتحقيق « المعرفة » في الوقت الذي نجد فيه الطريقة القرآنية تهدف إلى « الحركة » من وراء المعرفة ، فتحول تلك المعرفة الى قوة دافعة لتحقق مدلولها في عالم الواقع وتستجيش الضمير الانساني ليحقق وجوده في الأرض حسب الخطة التي رسمها له التصور الرباني ، وحينئذ ترجع البشرية إلى ربها ، وتحيا حياة كريمة رفيعة تتفق مع الكرامة التي كتبها الله للانسان[٢٣] .

ثم ان المنهج القرآني يدعو إلى (عبادة الله وحده) قال تعالىٰ :

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ

إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ

الأنبياء : ٢٥ .

وأوصى المصطفى ﷺ معاذاً حين بعثه إلى اليمن : أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، فاذا عرفوا ذلك دعاهم للفرائض[٢٤] ولم يأمره أن يدعوهم أولاً إلى « الشك » أو « النظر » كما هي طريقة المتكلمين !!

---

(٢٢) ينظر في هذا الموضوع كتاب « العقيدة في الله » للاستاذ عمر سليمان الأشقر ص ٢٧ إلى ص ٣٨ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ الناشر مكتبة الفلاح بالكويت .

(٢٣) انظر : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ص ١٠ ـ ١١ .

(٢٤) الحديث موجود في : البخاري كتاب الزكاة ج ٣٢٢/٣ ح ١٤٥٨ ومسلم في كتاب الايمان ج ٥٠/١ ح ١٩ .

(والله سبحانه عندما يبعث الناس لا يسألهم عن العلوم الحسية والبدهية ، والمنطق ، والطبيعي ، والجوهر والعرض - بل يسألهم عن استجابتهم للرسل أو عدمها

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ

٨-١١ الملك [٢٥] .

ووحدانية الخالق التي هي غاية علم الكلام : لم تنفع المشركين الذين حاربهم رسول الله ﷺ فانهم كانوا يقرون بها كما أخبر الله عنهم

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

٢٥ لقمان .

(٣) قوة التأثير : الذي هو طابع العقيدة الربانية : مما يجعل لها سلطاناً قوياً على نفوس معتنقيها . بعكس الفلسفة والكلام اللذين يدلان على جهل أصحابها كما قال أحدهم - وهو سقراط - (الشيء الذي لا أزال أعلمه جيداً هو أنني لست أعلم شيئاً)[٢٦] .

(٤) الاسلوب : فالعقيدة الربانية تخاطب الكينونة الانسانية بأسلوبها الخاص ، وهو أسلوب يمتاز بالحيويـة والايقاع . واللمسة المباشرة والايحاء بالحقائق الكبيرة ، مع بساطة في العرض ووضوح في البيان واعجاز في اللفظ والمعنى .

(٢٥) « العقيدة في الله » للأشقر ص ٣١ .

(٢٦) المصدر السابق ص ٣٢ .

مما يجعل ادراك هذه العقيدة سهلاً لكافة المستويات البشرية . وهذا كله بخلاف الفلسفة والكلام ، وبخلاف تلك المصطلحات المعقدة التي لا تزيد الشك الا شكاً وحيرة وضلالاً[٢٧] .

وأسلوب المتكلمين يسير على نمط واحد في كل قضية يتحدث عنها فهو لا يخرج عن قوله : (فان قيل لنا كذا : قلنا لهم كذا) .

أما الأسلوب القرآني فانه يعرض العقيدة على نمطين :

الأول : توحيد في الاثبات والمعرفة . أي اثبات حقيقة الرب وصفاته وأفعاله وأسمائه كما أخبر به عن نفسه وكما أخبر رسوله الكريم ، وهذا موجود في أول سورة الحديد وطه ، وآخر الحشر ، وأول السجدة ، وأول آل عمران ، وسورة الاخلاص بكاملها[٢٨] .

الثاني : توحيد في الطلب والقصد : وهذا ما تضمنته سورة

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ

و

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

٦٤ آل عمران وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها وأول سورة يونس وأوسطها وآخرها وأول سورة الأعراف وآخرها وجملة سورة الأنعام .

---

(٢٧) انظر خصائص التصور الاسلامي والعقيدة للاشقر ص ٣٥ .

(٢٨) شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٨ طبع المكتب الاسلامي .

ويعرّف الأول : بأنه توحيد علمي خبري ، والثاني بأنه : توحيد ارادي طلبي[٢٩] .

ونظرة واحدة إلى سيرة المصطفى ﷺ في عرضه هذه العقيدة وتربيته الفذة لصحابته كافية في الدلالة على أن من سلك طريقا غير طريق القرآن والسنّة في عرض العقيدة فقد سلك « سبلاً » لا تلتقي مع صراط الله المستقيم .

روى الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن[٣٠]

وقال أبو عبد الرحمن السلمي :[٣١] حدثنا الذين كانوا يقرؤننا : انهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً[٣٢] .

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله : لقد كان تلقي صحابة رسول الله ﷺ لهذه العقيدة أشبه ما يكون بتلقي الجندي في الميدان « الأمر اليومي » ليعمل به فور تلقيه ، ولذلك لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة لأنه كان يحس أنه انما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه ، فكان يكتفي بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها كما جاء في حديث ابن مسعود[٣٣] .

هكذا كان صدر هذه الأمة مقتصراً على كتاب الله وسنّة رسوله في عقيدته . ولكن الانحراف الذي طرأ على المسائل العقدية في العصور المتأخرة سببه حركة الترجمة والانبهار بفلسفة اليونان وعلومهم . ولو كان هناك وعي وتفكير في الاشياء المترجمة لأقتصر على ترجمة العلوم البحتة كالهندسة والكيمياء والطب وغيرها من العلوم النافعة وبشرط أن تكون صياغة ترجمتها متفقة مع عقيدة المسلمين . ولكن

---

(٢٩) المصدر السابق ص ٨٨ .

(٣٠) مقدمة الحفاظ ابن كثير لتفسيره ج ١٣/١ .

(٣١) هو عبد الله بن حبيب السلمي القارىء . لأبيه صحبة . روي عن مجموعة من كبار الصحابة . وهو تابعي ثقة توفي سنة ٧٢ هـ وقيل ٨٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٨٣/٥ .

(٣٢) المصدر السابق ١٣/١ .

(٣٣) معالم في الطريق ص ١٥ .

الخطأ الذي حصل كان ترجمة جميع العلوم ومنها «الالهيات» عند أرسطو وافلاطون وغيرهم!

إنه خطأ فاحش وقع فيه من وقع والا فما هو الدافع لاستيراد ما عند الوثنيين واستخدام أهل الكتاب في ذلك؟

وصدق حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حين قال محذرا (.. أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل اليكم)[34].

والذي حصل كما يقول الشيخ محمد الغزالي: ان صفو هذه العقيدة قد تعكر بالفكر الأجنبي الذي أقحم على الحياة الاسلامية وبضروب الجدل التي زجى بها المتبطلون أوقات فراغهم[35].

ولكن رحمة الله بعباده وتكفله جل جلاله بحفظ هذا الدين تجلت في ايجاد علماء أعلام، في كل عصر ومصر، قاموا بواجب الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وتبصير الأمة بما شردت عنه، وزهدت فيه.

لذلك حين رأى كثير من الأئمة رحمهم الله هذا الداء الدخيل يحل على المسلمين في تصورهم وعقيدتهم قاموا بواجبهم الجهادي نحوه.

فهذا الامام الجليل الشافعي رحمه الله يقول: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام»[36].

ويقول أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رحمها الله: «العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم»[37].

ثم عقب شارح الطحاوية على ذلك بقوله: «كيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير اتباع ما جاء به الرسول»[38].

---

(٣٤) صحيح البخاري كتاب التوحيد ٤٩٦/١٣ ح ٧٥٢٣.

(٣٥) الاسلام والطاقات المعطلة ص ١١٢ ط ٢.

(٣٦) شرح الطحاوية ص ٧٢.

(٣٧) (٣٨) المصدر السابق ص ٧٣.

وذكر ابن الجوزي رحمه الله : ان أصل الدخل في العلم والاعتقاد : من الفلسفة وذلك أن خلقاً من العلماء في ديننا لم يقنعوا بما قنع به رسول الله ﷺ من الانعكاف على الكتاب والسنّة ، بل أوغلوا في النظر في مذاهب أهل الفلسفة وخاضوا في الكلام الذي حملهم على مذاهب ردية أفسدوا بها العقائد[٣٩] .

أما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول :

(هؤلاء أهل الكلام المخالفون للكتاب والسنّة الذين ذمهم السلف والأئمة ، انهم لم يقوموا بكمال الايمان ولا بكمال الجهاد ، بل أخذوا يناظرون أقواماً من الكفار وأهل البدع الذين هم أبعد عن السنّة منهم ، بطريق لا يتم الا برد بعض ما جاء به الرسول ، وهذا لا يقطع أولئك الكفار بالعقول فلا آمنوا بما جاء به الرسول حق الايمان ، ولا جاهدوا الكفار حق الجهاد . وأخذوا يقولون : انه لا يمكن الايمان بالرسول ولا جهاد الكفار ، والرد على أهل الالحاد والبدع الا بما سلكناه من المعقولات !! ، وان ما عارض هذه المعقولات من السمعيات يجب رده تكذيباً ، أو تأويلاً ، أو تفويضاً . لأنها أصل السمعيات ، واذا حقق الأمر عليهم وجد الأمر بالعكس)[٤٠] .

وكلمة أخيرة نذكرها للعبرة والعظة ، وهي كلمة لأحد أولئك الذين خاضوا في بحر الكلام اللجى ثم خرجوا منه يطلبون النجاة . انها كلمةأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي حيث قال : « لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ، ولا تروي غليلاً . ورأيت أقرب الطرق . طريقة القرآن . . ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[٤١] . هذا وانه لحري بالأمة ، بعد أن عاشت قروناً من الضياع والتخبط أن تعود إلى المشكاة الربانية كتاب الله وسنّة رسوله ، فتتدبر معانيها ، وتعمل بما فيها ففي ذلك النجاح

---

(٣٩) صيد الخاطر : تحقيق الطنطاوي ص ٢٠٥ الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ .

(٤٠) موافقة صحيح المنقول الصريح المعقول ٢٣٨/١ تحقيق محي الدين عبد الحميد ومحمد حامد الفقي .

(٤١) شرح الطحاوية ص ٢٢٧ .

والفلاح وطمأنينة القلب

أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ

٢٨ الرعد .

وعلى الرغم من أنه سيتضح للقارىء ـ إن شاء الله ـ من خلال قراءة هذا البحث : طريقة القرآن والسنّة في غرسْ عقيدة « الولاء والبراء في النفوس » وذلك من خلال سيرة رسول الله ﷺ في العهدين المكي والمدني ومن خلال الأمثلة والصور الكثيرة في هذا الشأن الا انني أرى أنه لا بأس بأن أورد هنا طرفاً من هذا الموضوع خاصة وانني قد تكملت حول عقم علم الكلام وجنايته على الأمة الاسلامية .

إن من أولى البدهيات في هذا الشأن أن الاسلام قد حرص على أن يكون انتماء المسلم لدينه فقط منذ أول لحظة يعلن فيها ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ . والبراءة من كل معبود أو متبوع أو مطاع سوى الله تعالىٰ .

والأدلة على ذلك كثيرة جداً في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ .

قال تعالىٰ :

فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ
ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ

٢٥٦ البقرة .

وقال وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ
وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

١٠٣ آل عمران

ويقول سبحانه ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ٧١ الأنعام .

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ ٢٢ لقمان .

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ ٨٥ آل عمران .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ٣٣ فصلت .

فهذه النصوص الكريمة تثبت مدى منة الله سبحانه وتعالىٰ بانعامه على المسلمين بهذا الدين ، فالولاء له مصدر القوة والعزة .

فمن استمسك بهذا الولاء ، وحققه فقد استمسك بالعروة الوثقى . أما الحديث ـ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله قد أذهب عنكم عُبيَّة الجاهلية [٤٢] ، وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي ، أو فاجر شقي ، أنتم بنو آدام وآدم من تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها

(٤٢) العبية ـ كما قال الخطابي ـ الكبر والنخوة . انظر سنن أبي داود ٣٤٠/٥ .

النتن »[٤٣] . وحرص المصطفى ﷺ على تربية أمته والبعد بها عن مفاخر الاساب والأحساب التي لا تستمد قوتها وحيويتها من هذا الدين القيم ، فنجده عليه الصلاة والسلام يحثهم على أن يكون انتمائهم للصف الاسلامي وحسب . ففي الحديث عن أبي عقبة ـ وكان مولى من أهل فارس ـ قال : شهدت مع رسول الله ﷺ أحداً ، فضربت رجلاً من المشركين ، فقلت : خذها مني وأنا الغلام الفارسي ! فألتفت إليّ رسول الله ﷺ وقال « فهلا قلت خذها مني وأنا الغلام الانصاري »[٤٤] .

ولقد كان ديدن العقيدة الاسلامية هو : افراد الله تعالىٰ بالتعلق والحب والتعظيم والطاعة والانابة والخشوع والخوف والرجاء ، وتجريد النفس من كل محبوب أو مرهوب أو مرغوب سوى الله تعالىٰ ، قال جل شأنه

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ

يونس .

وقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما « . . . وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك »[٤٥] .

(فاذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله ، بل يفرد الله بالمخافة . . ويتجرد لله محبة وخشية وانابة وتوكلاً ، واشتغالاً به عن غيره ، فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه ،

---

(٤٣) سنن أبي داود كتاب الأدب ج ٥/٣٤٠ ح ٥١١٦ وأخرجه الترمذي في المناقب ٩/٤٣٠ ح ٣٩٥٠ وقال حديث حسن .

(٤٤) سنن أبي داود كتاب الأدب ٥/٣٤٣ ح ٥١٢٣ قال الالباني في المشكاة في اسناده عنعنة محمد بن اسحاق ٣/١٣٧٤ وأخرجه ابن ماجة في الجهاد ٢/٩٣١ ح ٢٧٨٤ .

(٤٥) سنن الترمذي في أبواب صفة القيامة ٧/٢٠٤ ح ٢٥١٨ وقال حديث حسن صحيح .

واشتغاله به من نقص توحيده[٤٦] والا فلو جرد توحيده لكان له فيه شغل شاغل ، والله يتولى حفظه والدفع عنه ، فان الله يدافع عن الذين آمنوا . . ومعلوم أن التوحيد حصن الله الأعظم من دخله كان من الآمنين . قال بعض السلف : من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء)[٤٧] .

هذا طريق من طرق منهج العقيدة في غرسها للولاء والبراء في النفوس . وطريق آخر : وهو استخدام مشاهد يوم القيامة ، لتصوير الخصومة والعداء بين الاتباع والمتبوعين - الذين سلكوا غير منهج الله في الدنيا ووالوا وعادوا حسب العادات ودين الآباء - وتبرؤ كل فريق من صاحبه .

قال تعالىٰ : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ ١٦٦ - ١٦٧ البقرة .

ولا شك أن هذه حال من اتخذ من دون الله ورسوله وليجة وأولياء ، يوالي لهم ويعادي لهم ، ويرضي لهم ، ويغضب لهم ، فان أعماله كلها باطلة ، يراها يوم القيامة حسرات عليه مع كثرتها ، وشدة تعبه فيها ونصبه ، اذ لم يخلص موالاته ومعاداته ، ومحبته وبغضه ، وانتصاره وايثاره لله ورسوله .

ويوم القيامة ينقطع كل سبب ووسيلة وموالاة كانت لغير الله ، ولا يبقى الا من كان له سبب يصل بينه وبين ربه وهو حظه من الهجرة إلى الله ورسوله وعبادة الله وحده وما يلزم ذلك من الحب والبغض ، العطاء والمنع والولاء والعداء والقرب

(٤٦) يشترط في هذا عدم ترك الاسباب لأن فعل السبب من باب التوكل « اعقلها وتوكل » .

(٤٧) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/٢٤٥ / بتصرف .

والبعد وتجريد متابعة رسول الله ﷺ والاعـراض والترك لما خالف سنته وهديه »[48] .

ومن منهج القرآن أيضاً في موضوع الولاء والبراء ضرب المثل ، وهذا كثير في القرآن الكريم وأبرز مثال في هذه القضية هو ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن وأبو الأنبياء . فانه هو القدوة الأولى في الولاء والبراء . ونظراً لأهمية ذلك أترك الحديث عنه إلى فصل مستقل في هذا الباب إن شاء الله .

واذا وجدت محبة الله في القلب ، تحمل المؤمن حينئذ وتقبل تكاليف هذه المحبة ولوازم عبادته لله تعالى ومن ذلك جهاد أعداء الله وبغضهم وهجرهم والصبر على الأذى في سبيل الله .

ثم يمضي القرآن الكريم في اسلوب عرض هذه العقيدة مستخدماً التهديد والوعيد بعد البيان والإيضاح واقامة الحجة على الناس فيقول عزّ وجلّ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ
يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ

٥٤ المائدة .

أما المستجيبون لأمر الله فان الله يحبهم وهو ناصرهم ومولاهم

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ
صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ

٤ الصف .

(٤٨) انظر الرسالة التبوكية لابن القيم ص ٥١ .

﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾

١٥٠ آل عمران .

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾

٧٨ الحج .

ومن لوازم محبة الله اتباع رسول الله ﷺ

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴾

٣١ آل عمران .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : فاتباع سنّة رسوله ﷺ واتباع شريعته باطناً وظاهراً هو موجب محبة الله ، كما أن الجهاد في سبيل الله ، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها[٤٩] .

ويقول الحسن البصري رحمه الله : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾[٥٠] لقد ربى الكتاب والسنة الأمة على الحب في الله والبغض في الله ، والولاء في الله والبراء في الله ، حتى وصلت إلى حد أن لو قذفت في النار لكان أحب اليها من أن تعود في الكفر بعد اذ أنقذها الله منه .

ولئن كان الولاء والبراء قد غاب اليوم في واقع حياة المسلمين ـ الا من رحم ربك ـ فان هذا الغياب لا يغير من الحقيقة الناصعة الجلية شيئاً لأن هذا الأمر العظيم كما يقول الشيخ حمد بن عتيق[٥١] « ليس في كتاب الله تعالىٰ حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده »[٥٢] . وما

---

(٤٩) التحفة العراقية ص ٧٦ .

(٥٠) تفسير ابن كثير ج ٢/٢٥ .

(٥١) ستأتي ترجمته قريباً .

سر استيراد مذاهب البشر الالحادية وأفكارهم القاصرة الا نتيجة حتمية لغياب ولائهم لله ورسوله وعدم براءتهم من الطواغيت المقنعة ببهرج الباطل وزيف الحقيقة .

(٥٢) النجاة والفكاك ص ١٤ .

الفصل الثاني

أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان وطبيعة العداوة بينهما

إن وجود أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أمر قديم نشأ منذ خلق آدم عليه السلام وأمر الله للملائكة بالسجود له فسجدت الا ابليس أبى واستكبر .

وقد تحدث القرآن الكريم عن قصة هذه العداوة بين آدم وابليس في سور شتى من أبرزها سورة البقرة وسورة الاعراف وسورة طه وغيرها .

قال تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟
إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا
رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ
فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

٣٤ - ٣٨ البقرة .

وفي سورة الأعراف يأتي بيان عدم سجود ابليس

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ

١٢ الأعراف .

لقد كان أمر الله لابليس ان يسجد فكان رده لعنه الله الامتناع والاستكبار مستخدماً في ذلك قياسه الفاسد : إن النار أشرف من الطين ! وهو بهذا ينصب نفسه نداً لله سبحانه وتعالىٰ : الله يقول كذا . فيقول ابليس أنا أرى كذا . ولذلك استحق اللعنة والطرد من رحمة الله .

وانقسام الناس إلى فريق الهدى وفريق الضلال بدأ بهذه البداية كما ذكر ذلك المولى سبحانه

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

٢ التغابن ..

فأما الفريق الذي أجاب دعوة الرسل وآمن بكتب الله المنزّلة ورسله المبعوثين رحمة للناس فهؤلاء أولياء الرحمن .

وأما الفريق الذي أعرض واستكبر فهم أولياء الشيطان .

وقبل الحديث عن الفريقين لا بد أن نعلم أن الله سبحانه وتعالىٰ قد أقام الحجة على عباده فبين لهم عداوة الشيطان ـ حتى بعد قصته مع آدم ـ

فهو سبحانه لم يذكر قصة آدم وعداوة ابليس له عدة مرات في القرآن فحسب ، بل زاد الأمر بياناً فحذر بني آدم في مواضع كثيرة من القرآن أن يستمعوا لغواية الشيطان ويعرضوا عن طريق الله المستقيم قال تعالىٰ :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ
وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ

٢٠٨ البقرة.

ثم يأتي التذكير مع التحذير في قوله تعالى :

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ
ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ
هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ
أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ

٢٧ الأعراف .

ولم يقتصر البيان القرآني الكريم على هذا بل قد كشف للناس المخطط الشيطاني ، حتى يبصر كل ذى عينين ويتفكر أولوا الألباب فقال تعالىٰ عن ابليس : لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ
نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ

فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ
وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا
مُّبِينٗا يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
إِلَّا غُرُورًا

١١٨ - ١٢٠ النساء .

ثم يذكر الله للناس مشهداً من مشاهد يوم القيامة حين يندم أولياء الشيطان ولات ساعة مندم فيقول سبحانه

وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا
ٱلۡمُجۡرِمُونَ * أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ
أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ وَأَنِ
ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ

٥٩ - ٦١ يس

ومشهداً آخر لإبلس حين يتبرأ من اتباعه

وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ
وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم
مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي
وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي
كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ
أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾

٢٢ ابراهيم .

انه ليس بعد بيان الله بيان . والاشياء لأصلها تعود كما يقولون فما دام أن ابليس عدو لآدم فلا شك أن اتباع ابليس وحزبه أعداء لأولياء الرحمن وأتباع المرسلين . ومن ثم فلا التقاء بين الفريقين ولا هوادة بينهما .

إنها الحرب والعداوة والحسد والاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة وكل ما يوحي به ابليس لاتباعه ذلك سلاح حزب الشيطان .

وحزب الشيطان أناس يتربصون بالمؤمنين يحاولون ما استطاعوا أن يصدوهم عن ذكر الله ، ولقد أخبرنا الله جلّ جلاله بذلك في مواضع عدة من كتابه الكريم فقال سبحانه عن سخرية أعداء الله بحزب الله

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

٢١٢ البقرة .

قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا
لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ

٦٦ الأعراف .

إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ وَإِذَا
مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ
ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ
لَضَآلُّونَ

٢٩ - ٣٢ المطففين .

وانظر إلى تصوير القرآن لعداوة حزب الشيطان ، وما تنطوي عليه نفوسهم ضد المؤمنين في قوله تعالى

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

٧٢ الحج .

وها هنا حقيقة هامة وهي : ان العداوة التي وقعت بين آدم عليه السلام وبين ابليس هي عداوة قائمة بين ابليس وبني آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وتاريخ البشرية كله ما هو إلا مصداق لحقيقة انقسام الناس إلى فريق الهدي والرشاد وفريق الهوى والشهوة والشيطان .

خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ

٢ التغابن .

وعلى ذلك فانه لا التقاء بين الفريقين في الدنيا ولا في الآخرة ولذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله « ومن سنّة الله : انه اذا أراد اظهار دينه ، أقام من يعارضه فيحق الحق بكلماته ، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق »[٥٣].

(٥٣) مجموع الفتاوى ٥٧/٢٨ .

وأنظر إلى عداوة قوم نوح عليه السلام له وقوم عاد وقوم صالح وشعيب وابراهيم وموسى وعيسى ثم محمد ﷺ ، ثم العداوة التي تقابل بها الجاهلية أهل الايمان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

واذا كان أولياء الرحمن مصرين على اتباع هدي ربهم فان أولياء الشيطان يصرون أيضاً على التردي في حمأة الجهل والضلال ، عابدين للطاغوت سواء كان هذا الطاغوت نداً يعبد أو شهوة يراد اشباعها أو جنساً أو لغة أو سلطة أو أرضاً أو دين الآباء الأولين . وصدق الله العظيم اذ يقول

ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ

٢٥٧ البقرة .

أما حزب الرحمن فهم « الذين ينتمون اليه سبحانه ، ويستظلون برايته ، ويتولونه ولا يتولون أحداً غيره ، وهم أسرة واحدة وأمة واحدة من وراء الأجيال والقرون ، ومن وراء المكان والأوطان ومن وراء القوميات والأجناس ، ومن وراء الأرومات والبيوت »[٥٤] .

وقد جاء الدين الاسلامي بفيصل التفرقة بين الحق والباطل ، وبين الاسلام والجاهلية فلم يجعل التقاء الناس على أساس العرق أو اللون أو الجنس أو التراب - كما تفعل ذلك الجاهليات القديمة والحديثة على السواء - بل جعل التقاء الناس على العقيدة في الله ، وجعل المفاضلة بينهم بالعمل الصالح قال تعالى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا

---

(٥٤) في ظلال القرآن ١/٤١٣ .

وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ

١٣ الحجرات .

وقال ﷺ « لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى . كلكم لآدم وآدم من تراب »(٥٥) .

وقال أيضاً ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي أو فاجر شقي »(٥٦) . ولقد تبرأ المصطفى ﷺ من أقرباء له ليسوا على دينه ، ليضع من نفسه قدوة للمؤمنين فقال فيما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول جهاراً من غير سر« ان آل فلان ـ أناس من أقاربه ـ ليسوا لي بأولياء ، انما وليي الله وصالح المؤمنين » متفق عليه »(٥٧) .

وقال ﷺ « ان أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا »(٥٨) وهذا موافق لقوله تعالى :

فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ

٤ التحريم .

من هنا : كان المؤمنون هم أولياء الله لأنهم استجابوا لما أراد الله فتلقوا منه وحده ، وعبدوه وحده ، وخافوه وحده . بعكس الفريق الثاني فانهم كلما دعاهم رسول من رسل الله قالوا

بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ

(٥٥) مسند الامام أحمد عن أبي نضرة : ٤١١/٥ واسناده صحيح الا أنه مرسل لان أبا نضرة ليس صحابياً .

(٥٦) سبق تخرجه ص ٩٣ .

(٥٧) صحيح البخاري كتاب الأدب ٤١٩/١٠ ح ٥٩٩٠ ومسلم في الايمان ١٩٧/١ ح ٢١٥ .

(٥٨) مسند أحمد : ٢٣٥/٥ وهو حديث صحيح . انظر تخريج كتاب فقه السيرة للغزالي ص ٤٨٥ وصحيح الجامع الصغير ١٨١/٢ ح ٢٠٠٨ .

كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ .

١٧٠ البقرة .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ
أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ

١٠٤ المائدة .

ومن صفات أولياء الرحمن : الاستجابة والانقياد لحكم الله وشرعه واتباع أمره قال تعالىٰ :

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا
دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

٥١ النور .

أما أولياء الشيطان : فمن سماتهم الاعراض عن حكم الله وشرعه ، واتباع الهوى والشيطان قال تعالىٰ :

وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا
فِى ٱلدِّينِ ۚ

٤٦ النساء

وقال

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ
مُنتَقِمُونَ

٢٢ السجدة .

يقول العلامة ابن القيم : « كل من كذب رسول الله ﷺ ، وأعرض عن متابعته ، وحاد عن شريعته ، ورغب عن ملته ، واتبع غير سنته ، ولم يتمسك بعهده ، ومكن الجهل من نفسه ، والهوى والفساد من قلبه ، والجحود والكفر من صدره ، والعصيان والمخالفة من جوارحه فهو ولي الشيطان »(٥٩) .

ومن سمات أولياء الشيطان أنهم (اذا جاء الحق معارضاً في طريق رياستهم طحنوه ، وداسوه بأرجلهم ، فان عجزوا عن ذلك دفعوه دفع الصائل ، فان عجزوا عن ذلك حبسوه في الطريق ، وحادوا عنه الى طريق أخرى ، وهم مستعدون لدفعه بحسب الامكان ، فاذا لم يجدوا منه بدأ أعطوه السكة والخطبة ، وعزلوه عن التصرف والحكم والتنفيذ ، وان جاء الحق ناصراً لهم ، وكان لهم صالوا به وجالوا ، وأتوا اليه مذعنين لا لأنه حق بل لموافقته غرضهم وأهوائهم ،

وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِن يَكُن لَّهُمُ
ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ
ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ
أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٦٠)

٤٨ ـ ٥٠ النور .

---

(٥٩) هداية الحيارى : ٧ .

(٦٠) مدارج السالكين ١/٥٣ .

طبيعة العداوة بين الفريقين

بعد أن بيّنا سمات الفريقين ، نتحدث الآن عن العداوة بينهما ، ومعرفة هذه العداوة أمر لا بد منه لتمييز الخبيث من الطيب

مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ

۱۷۹ آل عمران .

ومعرفة العداوة بين الفريقين أمر هام يكشف ألعوبة بعض المتسمين بأسماء اسلامية وهم يسعون لتذويب المسلم في خضم الجو الجاهلي المعاصر وتمييع ولائه لربّه ودينه واخوانه المسلمين ، وأمانة براءته وعداوته لكل عدو لهذا الدين .

هذه الحقيقة الهامة الناصعة يحاول أعداؤنا تزييفها : بأن الكفار أصدقاء أوفياء شرفاء يجب أن يكون لهم الحب والتقدير ، والاجلال والاكبار والتعظيم ، يقولون اننا متأخرون وهؤلاء القوم متقدمون يجب أن نسلك مسلكهم ، وننهج نهجهم نقتفي آثارهم في كل وضع وحال ، نأخذ حضارتهم بكاملها حلوها ومرها ، حقها وباطلها ، بل انه لا بطال فيها[٦١] .

ولكن هيهات خسئوا وخابوا ، ان حزب الله هم الأعلون عند الله قدراً ، وهم الأعلون ولو كانوا أقل عدداً ، وحزب الشيطان هم الخاسرون ولو كانوا عدد الحصى .

ولا بد أن يسبق حديث العداوة بين الفريقين ، نبذة بسيطة عن عداوة أبليس للانسان حتى نعلم مداخل الشيطان لهذه النفس البشرية ، ومدى تلبيسه الحق بالباطل على أوليائه فيبينّ الحق للمؤمن فيأخذ الحذر على نفسه ومن معه ، ويعبد الله على بصيرة منه ونور من شرعه .

(٦١) ممن تزعم هذا الاتجاه ط حسين واضرابه .

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن عداوة الشيطان للانسان تتمثل في ست مراتب اذكرها هنا بالاختصار .

(١) الكفر والشرك ، ومعاداة الله ورسوله ، فاذا ظفر الشيطان بذلك من ابن آدم برد أنينه ، واستراح من تعبه معه ، وهو أول ما يريد من العبد ، فان ظفر به صبره من عسكره ونوابه ، فصار من دعاة ابليس ، فان يئس من ذلك نقله للمرتبة الثانية من الشر وهي .

(٢) البدعة : لأنها أحب اليه من : الفسوق والعصيان ، وذلك أن ضررها في نفس الذين وهو ضرر متعد ، وهي مخالفة لدعوة الرسل ، فان كان الشخص ممن يعادي أهل البدع والضلال نقله الى المرتبة الثالثة وهي :

(٣) الكبائر على اختلاف أنواعها ، فيحرص أن يوقعه فيها ، خاصة اذا كان عالماً متبوعاً لينفر الناس عنه . ومن المعلوم أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آنوا لهم عذاب أليم . هذا اذا احبوا اشاعتها ، فكيف اذا تولوا هم اذاعتها؟ فان عجز عن هذه نقله للتي بعدها وهي :

(٤) الصغائر التي اذا اجتمعت ربما اهلكت صاحبها ، كما قال النبي ﷺ « إيّاكم ومحقرات الذنوب ، فان مثل ذلك قوم نزلوا بغلاة من الأرض »(٦٢) . وذكر حديثاً معناه أن كل واحد منهم جاء بعود حطب حتى أوقدوا نارا عظيمة فطبخوا واشتووا . ولا يزال يسهل عليه أمر الصغائر حتى يستهين بها ، فيكون صاحب الكبيرة الخائف أحسن حالا منه ، فان أعجزه العبد عن هذه نقله للخامسة .

(٥) إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب ، بل عاقبتها فوت الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها ، فان أعجزه العبد عن هذه بأن كان حافظا لوقته شحيحاً به ، يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب نقله للتي بعدها .

---

(٦٢) الحديث في مسند أحمد ٥/٣٣١ وهو حديث صحيح أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ح ٣٨٩ وصحيح الجامع ٢/٣٨٦ ح ٢٦٨٣ و ٢٦٨٤ .

(٦) اشغاله بالعمل المفضول عن الفاضل ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل ، ويفتح له أبواب خير كثيرة ، كما ورد أنه يأمر بسبعين باباً من أبواب الخير إما ليتوصل الى باب واحد من الشر وإما ليفوت بها خيراً أعظم من تلك السبعين وأجل وأفضل . وهذا أمر لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور الله يقذفه في قلب العبد ، يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله ، وأحبها اليه ، وأرضاها له ، وهذا لا يعرفه الا من كان من ورثة الرسول ﷺ ونوابه في الأمة ، وخلفائه في الأرض والله يمن بفضله على من يشاء من عباده (٦٣) .

وما دام أن هذا هو كيد الشيطان للانسان فما هو سبب العداوة ومثيرها بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ؟

والجواب على ذلك أحد أمور أربعة أو الأربعة مجتمعة .

(١) الكبر : فأولياء الشيطان استكبروا على الحق وعلى الرسول وعلى الرسالة . قال الله تعالىٰ فيهم

إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ
إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡبَصِيرُ

٥٦ غافر .

أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ

٧ ، البقرة

(٦٣) بدائع الفوائد ٢/٢٦٠ - ٢٦٢ بتصرف .

وقال تعالى :

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

٧ لقمان .

(٢) استحباب الحياة الدنيا على الآخرة ، واللصوق بالشهوات واللذائذ قال تعالىٰ :

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ

١٠٧ النحل .

ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ

٣ ابراهيم .

وإذا وجد الكبر وحب الدنيا على الآخرة أو أحدهما : فان أرباب ذلك ينزعجون من وجود عباد الله المخلصين ، حتى ولو لم يظهر لهم منهم أي احتكاك فان وجودهم بهذا النقاء وبهذه الطهارة وبذلك الاستعلاء أمر يغيظ أعداء الله قال تعالى

وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً

٨٩ النساء

ذلك أن وجود الفريق الطاهر يشعر الفريق الدنس بخبث طويته وقبيح فعله ، فمن هنا يبدأ كيد أعداء الله لأولياء الله بكل ما تعني كلمة « كيد » سواء كان ذلك بالسخرية أو الاستهزاء ، أو العذاب والاضطهاد ، أو التربص للمؤمنين بكل ما يسوء .

(٣) الحسد : فثائرة أولياء الشيطان لا تهدأ ، ولذلك يكنون للمؤمنين الحسد والحقد ، وقد بين الله ذلك في كتابه العزيز بقوله تعالىٰ

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ
لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ
بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

١٠٩ البقرة .

أجل هذه هي أمنيتهم أن يكفر عباد الله ليتساووا معهم في الكفر والضلال ، وقد بيّن الله عظيم حقدهم وحسدهم لو ظهروا على المؤمنين فقال تعالىٰ

كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً

٨ التوبة .

(٤) سلب الهيمنة والولاء : وهذا أمر يختص بـ « الملأ » أي السادة والطواغيت الذين يستعبدون الناس ، حيث يتقدم الناس لهم بالاجلال والتعظيم والرغبة والرهبة ، والخوف والرجاء . فاذا جاء دين الله وشرعه الذي يحرر الناس من عبودية العبيد إلى عبادة الواحد القهّار فان « الملأ » يثورون ويعادون دعاة الخير ، لأنهم يشعرون حينئذ أن سلطانهم قد سلب وان شرفهم قد زال ، وان الناس لم يعودوا يخشونهم أو يرهبونهم ، لأن دين الله قد حررهم وأعزهم

وعبّدهم لله فخوفهم من الله ، وحبهم لله ، وولاؤهم لله ، وبغضهم في الله .

ودليل هذا فعل كسرى حين جاءه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الدخول في الاسلام فاستكبر في نفسه وكأنه يقول : أمر عجيب الاعراب الذين كانوا رعاة لنا يأتون إليّ لأدخل في دينهم الجديد ! وأظن أن ملكه سيزول إذا دخل في الدين الجديد ، فما كان منه لا أن مزق الكتاب . قد استجاب الله دعوة نبيّه ﷺ فمزق الله ملك كسرى شر ممزق ، فهكذا الطواغيت التي لا تدين لله بالولاء والسلطة والحاكمية تعادي أولياء الرحمن وتصب عليهم أشد أنواع العذاب كما قال تعالى:

وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ
إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ

٨ البروج .

(والجاهلية لا تكره الاسلام لأنها - في دخيلة نفسها - لا تعرف ما فيه من الحق والخير ، أو لأنها - بينها وبين نفسها - تعتقد حقاً أن باطلها الذي تعيش فيه أصوب وأقوم من الاسلام ! كلا ! فهي تكرهه وهي عالمة بما فيه من الحق والخير وبأنه هو الذي يقوّم ما اعوج من شؤون الحياة ، وانما تكرهه لأنها حريصة على هذا العوج لا تريد تقويمه ، وتود أن تبق الأمور على اعوجاجها ولا تستقيم ، ! تكرهه لأنها هي الجاهلية . . وهو الاسلام !

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ (٦٤)

١٧ فصلت .

---

(٦٤) جاهلية القرن العشرين للاستاذ محمد قطب ص ٣٢٢ .

أما طبيعة عداوة أولياء الرحمن لأعدائهم : فهي جزء من عقيدتهم وأحسب أني فصلت القول في هذا في التمهيد حين تكلمت عن لوازم لا إله إلا الله ـ انهم يبغضون في الله من حاد الله ورسوله قال تعالىٰ

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٢٢ المجادلة .

إنهم لا يلتقون مع أعدائهم في منتصف الطريق بل يقولون كما قال إمامهم ابراهيم عليه السلام إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ٤ الممتحنة .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : « انه لا يستقيم للانسان اسلام ـ ولو وحد الله وترك الشرك ـ الا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالىٰ :

لَّا تَجِدُ قَوْمًا ٢٢ المجادلة[٦٥]

(٦٥) مجموعة التوحيد ص ١٩ (ستة مواضع من السيرة) ط دار الكفر .

وما دمنا قد عرفنا منطلق العداوة وحقيقتها فيجب أن نعلم أن هذا هو (القاسم المشترك) بين أعداء الاسلام بشتى أصنافهم كفار ومشركين ومنافقين وكل من كره الاسلام وعاداه .

إن طبيعة المنهج الاسلامي التي يعرفها جيداً أصحاب المناهج الأخرى طبيعة الاصرار على اقامة مملكة الله في الأرض ، واخراج الناس كافة من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وتحطيم الحواجز المادية التي تحول بين الناس كافة وبين حرية الاختيار الحقيقة . . ثم إنها طبيعة التعارض بين منهجين للحياة ، لا التقاء بينهما في صغيرة ولا كبيرة وحرص أصحاب المناهج الأرضية على سحق المنهج الربّاني الذي يهدد وجودهم ومناهجهم وأوضاعهم قبل أن يسحقهم ، فهي حتمية لا اختيار فيها في الحقيقة لهؤلاء ولا لهؤلاء . . . وهذه الظاهرة يقررها القرآن بقوله ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾[166] .

ونذكر بعض عداوات هذه الأصناف حسبما نص عليه القرآن الكريم **فأما الكفار** فقد قال الله تعالىٰ عنهم

يُرِيدُونَ
لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْكَـٰفِرُونَ

٨ الصف .

وقال في شأن « المشركين :

مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن
رَّبِّكُمْ

١٠٥ البقرة .

(٦٦) انظر طريق الدعوة : ١/ ٨٠ .

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ

٩ الصف .

وأما عداوة أهل الكتاب فالله يقول عنهم

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ
تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ

١٢٠ البقرة .

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ

٨٢ المائدة .

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ
ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ

٤٤ النساء .

وَإِذَا لَقُوكُمْ
قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ
قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ

١١٩ آل عمران .

أما عداوة المنافقين : فقد نبّه القرآن الكريم على ذلك في مواضع كثيرة ومن ذلك ما ورد في أول سورة البقرة حيث ذكرهم في ثلاث عشرة آية من آية ٨ ـ ٢٠ « وذلك لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم ، وشدة فتنتهم على الاسلام وأهله ، فان بلية الاسلام بهم شديدة جداً ، لأنهم منسوبون اليه ، وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة ، يخرجون عداوته في كل قالب ، يظن الجاهل أنه علم واصلاح وهو غاية الجهل والافساد .

« فلله كم معقل للاسلام قد هدموه ! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه ، وكم من لواء مرفوع قد وضعوه . . اتفقوا على مفارقة الوحي فهم على ترك الاهتداء به مجتمعون :

فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ
زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ

٥٣ المؤمنون .

« رأس مالهم الخديعة والمكر ، وبضاعتهم الكذب والختر ، وعندهم العقل المعيشي : إن الفريقين عنهم راضون وهم بينهم آمنون .

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ
وَمَا يَشۡعُرُونَ

٩ البقرة .

« من علقت مخالب شكوكهم بأديم إيمانه مزقته كل تمزيق ، ومن تعلق شرر فتنتهم بقلبه ألقاه في عذاب الحريق ، خرجوا في طلب التجارة البائرة في بحار الظلمات فركبوا مراكب الشبه والشكوك ، تجري بهم في موج الخيالات ، فلعبت

بسفنهم الريح العاصف ، فألقتها بين سفن الهالكين .

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ . [67]

١٦ البقرة .

وقد نزل بخصوصهم سورة كاملة في القرآن هي سورة ﴿ المنافقون ﴾ وقد ورد فيها صريح عداوتهم للمؤمنين في قوله تعالىٰ عنهم

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ

٧ ـ ٨ المنافقون .

وما دمنا قد عرفنا عداوات هذه الاصناف للاسلام ، فانه لجدير بنا أن نؤكد خطورة عداوة اليهود والنصارى لأنهم هم المسيطرون اليوم على معظم بقاع الأرض ، وهم الذين يبثون غزوهم بشتى الأساليب ، وهم رمز « البهرج

(٦٧) مدارج السالكين ١/٣٤٧ ـ ٣٤٩ بتصرف .

والانبهار » أمام المخدوعين من أبناء المسلمين .

يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله : إن حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة هي من أجل العقيدة . وهم قد يختصمون فيما بينهم ولكنهم يلتقون دائماً في المعركة ضد الاسلام والمسلمين .

وقد يرفعون لهذه المعركة أعلاماً شتى - في خبث ومكر وتورية - لأنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة ، فخوفاً من حماس العقيدة الاسلامية وجيشانها : أعلنوا الحرب باسم الأرض والاقتصاد والسياسة والمراكز العسكرية ، وألقوا في روع المخدوعين منا : إن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها ! ولا يجوز رفع رايتها ، وخوض المعركة باسمها ، فهذه سمة المتخلفين المتعصبين ! وذلك ليأمنوا جيشان االعقيدة من جديد ، بينما هم في قرارة نفوسهم جميعاً : يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلاً فأدمتهم جميعاً !

فاذا نحن خدعنا بخديعتهم فلا نلومن الا أنفسنا ، ونحن نبتعد عن توجيه الله لنبيه ﷺ ولأمته وهو سبحانه أصدق القائلين

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ
تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ

١٢٠ البقرة .

هذا هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه وما سواه فمرفوض ومردود . ولكن الأمر الحازم والتوجيه الصادق «« قل إن هدي الله هو الهدي » على سبيل القصر والحصر هدي الله هو الهدي وما عداه فليس بهدي[٦٨] .

---

(٦٨) بتصرف : في ظلال القرآن ١٠٨/١ .

وخلاصة القول :

إن حقيقة العداوة وطبيعتها هو اختلاف الدينين ، وافتراق المنهجين . فأما دين الله واتباع شرعه وموالاة عباده المؤمنين .

وإما دين الباطل واتباع الهوى والشهوات والشيطان والانضمام الى حزب الشيطان . فعلى أولياء الله أن يعتزوا بدينهم ، وأن يستعلوا فوق وطأة الباطل فانهم هم المنصورون ، وإذا كان أعداء الله يتباهون بقوتهم وكثرة عددهم وعدتهم فإن المؤمين يفخرون بنصر الله وكريم معيته وعونه لهم .

فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : قال « يقول الله تعالىٰ « من عاى ولي ولياً فقد آنذته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أبحه فاذا أحببه كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التـي يمشـي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه »(٦٩) .

ويقول الله تبارك وتعالىٰ

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ

١٢٨ النحل

إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ

١٢ الانفال

(٦٩) سبق تخريجه ص ٩١ .

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ

الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

٣٥ محمد .

واذا قلبنا صفحات التاريخ وجدنا مصداق ذلك ، ففي غزوة بدر نصر الله القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، وأعزّ دينه ونصر حزبه ، وفتوحات المسلمين شرقاً وغرباً وتحطيم عروش كسرى وقيصر ليست بغائبة عن الأذهان .

ونصر الله وتأييده للمؤمنين في معركتهم مع التتار ومع الصليبيين الحاقدين . وغيرها من مئات الحوادث سواء كانت على مستوى الفرد أم الجماعة خير شاهد على ما نقول .

وسيبقى النصر والعون والمدد لأولياء الله إن شاء الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما على المؤمنين إلا الصدق مع الله والاخلاص في العمل ابتغاء مرضاته هو وحده ، والعمل وفق كتابه وسنة نبيّه ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً .

الفصل الثالث

عقيدة أهل السنّة والجماعة في الولاء والبراء

لا بد أن نذكر معتقد أهل السنة والجماعة في الولاء والبراء حتى يخرج بذلك أرباب البدع والأهواء التي لا تستند إلى دليل قوي من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : على المؤمن أن يعادي في الله ، ويوالي في الله ، فان كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه ـ وان ظلمه ـ فان الظلم لا يقطع الموالاة الايمانية ،

قال تعالىٰ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾

٩ الحجرات .

فجعلهم اخوة مع وجود القتال والبغي ، وأمر بالاصلاح بينهم ، فليتدبر المؤمن : ان المؤمن تجب موالاته وان ظلمك واعتدى عليك ، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن اليك . فان الله سبحانه بعث الرسل ، وانزل الكتب ليكون الدين كله لله ، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه ، والاكرام والثواب لأوليائه والاهانة والعقاب لأعدائه .

واذا اجتمع في الرجل الواحد : خير وشر ، وفجور وطاعة ، ومعصية وسنّة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير ، واستحق من المعاداة

والعقاب بحسب ما فيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الاكرام والاهانة كاللص تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته . هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنّة والجماعة ، وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم[٧٠] .

ولما كان الولاء والبراء مبنيين على قاعدة الحب والبغض كما أسلفنا فيما سبق فان الناس في نظر أهل السنة والجماعة ـ بحسب الحب والبغض والولاء والبراء ـ ثلاثة أصناف :

الأول : من يحب جملة . وهو من آمن بالله ورسوله ، وقام بوظائف الاسلام ومبانيه العظام علماً وعملاً واعتقاداً . وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله ، وانقاد لأوامره وانتهى عمّا نهى الله عنه ورسوله ، وأحب في الله ، ووالى في الله وأبغض في الله ، وعادى في الله ، وقدم قول رسول الله ﷺ على قول كل أحد كائناً من كان[٧١] .

الثاني : من يحب وجه ويبغض من وجه ، فهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فيحب ويوالي على قدر ما معه من الخير ، ويبغض أكثر مما يصلح . . واذا أردت الدليل على ذلك فهذا عبد الله بن حمار[٧٢] . وهو رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ـ كان يشرب الخمر ، فأتي به إلى رسول الله ﷺ فلعنه رجل وقال : ما أكثر ما يؤتى به ، فقال النبي ﷺ « لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله »[٧٣] مع أنه ﷺ لعن الخمر وشاربها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه[٧٤] .

---

(٧٠) انظر مجموع الفتاوى ٢٨/٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

(٧١) ارشاد الطالب لابن سحمان ص ١٣ .

(٧٢) عبد الله بن حمار . هكذا أورده ابن سحمان والموجود في صحيح البخاري ١٢/٧٥ انه عبد الله ، كان يلقب حماراً وقال ابن حجر : كان يهدي إلى النبي ﷺ ويضحكه في كلامه . انظر الاصابة ذ/٢٧٥ تحقيق البجاوي .

(٧٣) صحيح البخاري كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وانه ليس بخارج من الملة ١٢/٧٥ ح ٦٧٨٠ .

(٧٤) سنن أبي داود كتاب الاشربة ٤/٨٢ ح ٣٦٧٤ وابن ماجة في الاشربة ٢/١٢٢ ح ٣٣٨٠ قال الالباني : صحيح . انظر صحيح الجامع الصغير ٥/١٩ ح ٤٩٦٧ .

الثالث : من يبغض جملة وهو من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ولم يؤمن بالقدر خيره وشره ، وأنه كله بقضاء الله وقدره وانكر البعث بعد الموت ، أو ترك احد اركان الاسلام الخمسة ، أو أشرك بالله في عبادته أحداً من الأنبياء والأولياء والصالحين ، وصرف لهم نوعاً من أنواع العبادة كالحب والدعاء ، والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل ، والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر والانابة والذل والخضوع والخشية والرغبة والرهبة والتعلق . أو ألحد في أسمائه وصفاته واتبع غير سبيل المؤمنين ، وانتحل ما كان عليه أهل البدع والأهواء المضلة ، وكذلك كل من قامت به نواقض الاسلام العشرة أو أحدها[٧٥] .

فأهل السنّة والجماعة ـ اذن ـ يوالون المؤمن المستقيم على دينه ولاء كاملاً ويحبونه وينصرونه نصرة كاملة ، ويتبرأون من الكفرة والملحدين والمشركين والمرتدين ويعادونهم عداوة وبغضاً كاملين . أما من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيوالونه بحسب ما عنده من الايمان ، ويعادونه بحسب ما هو عليه من الشر .

وأهل السنّة والجماعة يتبرأون ممن حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ

كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ٢٢ المجادلة .

ويمتثلون لله تعالى في قوله

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ

وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن

كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ

(٧٥) ارشاد الطالب ص ١٩ .

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٣ - ٢٤ التوبة .

ويلخص الإمام ابن تيمية مذهب أهل السنّة والجماعة فيقول :

الحمد والذم والحب والبغض والموالاة والمعاداة إنما تكون بالأشياء التي أنزل الله بها سلطانه ، وسلطانه كتابه ، فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أي صنف كان ، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أي صنف كان .

قال تعالى

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ

٥٥ - ٥٦ المائدة .

وقال :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ٥١ المائدة .

وقال :

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ

٧١ التوبة .

ومن كان فيه ايمان وفيه فجور أعطي من الموالاة بحسب ايمانه ، ومن البغض بحسب فجوره ، ولا يخرج من الايمان بالكلية بمجرد الذنوب والمعاصي كما يقول الخوارج والمعتزلة .

ولا يُجعل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون بمنزلة الفساق في الايمان والدين والحب والبغض والموالاة والمعاداة .

قال تعالىٰ

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا

إلى قوله :

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

٩ ـ ١٠ الحجرات .

فجعلهم اخوة مع وجود اللاقتتال والبغي .

. . . ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضاً موالاة الدين لا يعادون كمعاداة الكفار ، فيقبل بعضهم بشهادة بعض ، ويأخذ بعضهم العلم من بعض ، ويتوارثون وتناكحون ، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضه مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك[٧٦] .

الولاء والبراء القلبي :

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الموضوع أن الولاء القلبي وكذلك العداوة يجب أن تكون كاملة .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : فأما حب القلب وبغضه ، وارادته وكراهته ، فينبغي أن تكون كاملة جازمة ، لا توجب نقص ذلك الا بنقص الايمان ، وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته ، ومتى كانت ارادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فان يعطي ثواب الفاعل الكامل .

ذلك أن من الناس من يكون حبه وبغضه وارادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها ، لا بحسب محبة الله ورسوله ، وبغض الله ورسوله وهذا نوع من الهوى ، فان اتبعه الانسان فقد اتبع هواه « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدي من

(٧٦) مجموع لابن تيمية ص ١٠٨ ـ ٢٠١ الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ مطبعة المنار بمصر .

الله » ٥٠ القصص[٧٧] .

موقف أهل السنة والجماعة من أصحاب البدع والأهواء :

يدخل في معتقد أهل السنّة والجماعة البراءة من أرباب البدع والأهواء .

والبدعة : مأخوذة من الابتداع وهو الاختراع ، وهو الشيء يحدث من غير أصل سبق ولا مثال احتذي ولا ألف مثل ومنه قولهم : ابتدع الله الخلق أي خلقهم ابتداء ومنه قوله تعالىٰ

بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

١١٧ البقرة .

وقوله

قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ

٩ الاحقاف .

أي لم أكن أول رسول الى أهل الأرض .

وهذا الاسم يدخل فيها تخترعه القلوب ، وفيها تنطق به الألسنة وفيها تفعله الجوارح[٧٨] .

قال ابن الجوزي : « البدعة عبارة عن فعل لم يكن فابتدع . والأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان »[٧٩] .

---

(٧٧) شذرات البلاتين ٣٥٤/١ « الأمر المعروف لابن تيمية » .

(٧٨) كتاب الحوادث والبدع للطرطوشي ٣٨ ـ ٣٩ تحقيق محمد الطالبي .

(٧٩) تلبيس ابليس ص ٢٦ .

ولقائل أن يقول : ما شأننا الآن وأصحاب البدع لا سيما وأنت تتكلم عن ولاء الكفار والبراء منهم وموالاة المؤمنين ونصرتهم ؟؟

والجواب على ذلك : **أولاً** : أن البدعة خطرها عظيم وكبير ، والدليل على ذلك أنها تنقسم إلى رتب متفاوتة ما بين الكفر الصريح إلى الكبيرة والصغيرة ، وفي هذا يقول الامام الشاطبي :

« البدعة تنقسم إلى رتب متفاوتة منها ما هو كفر صراح ، كبدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن بقوله

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا

١٣٦ الأنعام .

وقوله تعالى

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ

١٣٩ الأنعام .

وقوله

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ

١٠٣ المائدة .

ـ وكذلك بدعة المنافقين حين اتخذوا الدين ذريعة بحفظ النفس والمال وما أشبه ذلك مما لا يشك انه كفر صراح »[٨٠] ـ

وقضية التحليل والتحريم خصوصية لله عزّ وجلّ ، فمن أدعى التحليل والتحريم فقد شرّع ومن شرع فقد ألّه نفسه . وكما أن الله سبحانه وتعالى هو

(٨٠) الاعتصام ٢/٣٧ .

الخالق فهو أيضاً صاحب الأمر والسلطان ، قال تعالىٰ

أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ

٥٤ الأعراف .

وقال سبحانه

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ

١١٦ النحل .

فهذه البدعة الكفرية وأمثالها لأصحابها منا العداء والبغض والكره والجهاد بعد الاعذار والانذار ، . والبراءة منهم لا تختلف عن البراءة من الكافر الأصلي ، فقد قال ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد »[٨١] .

قال البغوي « وقد اتفق علماء السنّة على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم [٨٢] . ونعود لرتب البدع كما ذكرها الشاطبي فقال : « ومن البدع ما هو من المعاصي التي ليست بكفر أو يُختلف فيها هل هي كفر أم لا ؟ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة ومن أشبههم من الفرق الضالة .

ومنها ما هو معصية ويتفق على أنها ليست بكفر ، كبدعة التبتل[٨٣] والصيام قائماً في الشمس والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع .

ومنها : ما هو مكروه كالاجتماع للدعاء عشية عرفة ، وذكر السلاطين في

---

(٨١) رواه البخاري في الصلح ٣٠١/٥ ح ٢٦٩٧ ومسلم كتاب الاقضية ١٣٤٣/٣ ح ١٧١٨ .

(٨٢) شرح السنة ٢٢٧/١ .

(٨٣) التبتل : هو الانقطاع عن الدنيا إلى الله . انظر مختار الصحاح ص ٥٣ .

خطبة الجمعة على ما قاله ابن عبد السلام الشافعي[٨٤] وما أشبه ذلك »[٨٥] .

فأرباب هذه البدع يتبرأ منهم أهل السنّة والجماعة .

ثانياً : لخطورة البدع على الدين أورد هنا نماذج من أقوال سلف الأمة في التحذير من البدع وأصحابها . ومن ذلك ما قاله الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث يقول :

« من كان مستناً فليستن بمن قد مات : أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة ، أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم كانوا على الهدي المستقيم »[٨٦] . وقال سفيان الثوري رحمه الله : البدعة أحب إلى ابليس من المعصية ، المعصية يتاب منها ، والبدعة لا يتاب منها[٨٧] .

وقال الامام مالك رحمه الله : من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين ، لأن الله تعالىٰ يقول :

ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

٣ المائدة .

فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً[٨٨] .

---

(٨٤) هو سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ولد سنة ٥٧٧ هـ وتوفي سنة ٦٦٠ هـ من مؤلفاته التفسير الكبير ، والالمام في أدلة الاحكام ، وقواعد الشريعة وقواعد الاحكام والفتاوى . انظر الاعلام للزركلي ٤/ ٢١ ط ٤ وفيه أن له ترجمة في فوات الوفيات ١/ ٢٨٧ وطبقات السبكي ٥/ ٨٠ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨ وذيل الروضتين ٢١٦ ـ ومفتاح السعادة ٢/ ٢١٢ .

(٨٥) الاعتصام ٢/ ٣٧ .

(٨٦) شرح السنة للبغوي ١/ ٢١٤ .

(٨٧) شرح السنة ١/ ٢١٦ .

(٨٨) الاعتصام ٢/ ٥٣ .

وذكر الشاطبي رحمه الله أن مفاسد البدع تنحصر في أمرين :

(١) انها مضادة للشارع ، ومراغمة له ، حيث نصب المبتدع نفسه منصب المستدرك على الشريعة لا منصب المكتفي بما حد له .

(٢) ان كل بدعة ـ وان قلت ـ تشريع زائد أو ناقص ، أو تغيير للأصل الصحيح ، وكل ذلك قد يكون على الانفراد ، وقد يكون ملحقاً بما هو مشروع فيكون قادحاً في المشروع ، ولو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامداً ، لكفر ، اذ الزيادة والنقصان فيها أو التغيير ـ قل أو كثر ـ كفر[٨٩] .

ويعضد هذا النظر عموم الأدلة في ذم البدع ومنها : قوله ﷺ « كل بدعة ضلالة »[٩٠] وقوله ﷺ « من دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً »[٩١] .

وقال أحد علماء السلف « لا تجالسوا أصحاب الأهواء ، أو قال أصحاب الخصومات فاني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون »[٩٢] .

فالخلاصة : انه من معتقد أهل السنّة والجماعة البراء من البدعين خاصة أصحاب البدع الكفرية ولذلك سيرد مزيد من تفصيل هذا في الباب الثاني إن شاء الله .

---

(٨٩) الاعتصام ٦١/٢ بتصرف بسيط .

(٩٠) صحيح مسلم كتاب الجمعة ٥٩٢/٢ ح ٨٦٧ .

(٩١) صحيح مسلم كتاب العلم ٢٠٦٠/٤ ح ٢٦٧٤ .

(٩٢) شرح السنة ٢٢٧/١ .

الفصل الرابع

أسوة حسنة في الولاء والبراء من الأمم الماضية

أ ـ ابراهيم الخليل عليه السلام :

لقد كان نبي الله ابراهيم عليه السلام : أسوة حسنة وقدوة طيبة في ولائه لربّه ودينه وعباد الله المؤمنين ، وبرائه ومعاداته لأعداء الله ومنهم أبوه .

لقد كانت سيرة نبي الله ابراهيم عليه السلام مع قومه كأي نبي رسول ، حيث دعاهم بالتي هي أحسن إلى عبادة الله وتوحيده ، وافراده بالعبادة ، والكفر بكل طاغوت يعبد من دون الله .

قال تعالىٰ : ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ

وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ
إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾
فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا

٤١ ـ ٤٩ مريم .

تلك هي نقطة البدء في دعوة خليل الرحمن ، دعوة بالحسنى ، مبتدئاً بأقرب الناس اليه ، فان لم يكن هناك تجاوب مع هذه الدعوة فالاعتزال لهذا الباطل وأصحابه عل في ذلك ردعاً وزجراً وتفكراً في هذا الأمر الجديد ، ونجاة للداعي من مشاركة أهل الباطل في باطلهم اذا كان لا بد له من مخالطتهم ومعاشرتهم وعدم تمكنه من الهجرة من أرضهم .

ثم يمضي القرآن في بيان دعوة ابراهيم عليه السلام ، مبيناً أنه استخدم مع قومه كل حجة ودليل :

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا
عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾
أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا
كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ
ٱلْعَٰلَمِينَ

٧٠ ـ ٧٨ الشعراء .

ولما لم يجدوا حجة وانما هو التقليد الأعمى لفعل الآباء والأجداد قال لهم ابراهيم عليه السلام أنا عدو آلهتكم هذه ، وهذا كما قال نوح عليه السلام فيما اخبر الله عنه بقوله

فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ
وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ
إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ

يونس ٧١ .

وقال هود عليه السلام

إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾
مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي
تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ
بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

هود ٥٤ ـ ٥٦ .

وقال تعالى :

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ
مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ
وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ [٩٣]

٤ الممتحنة .

---

(٩٣) انظر تفسير الآيات السابقة في ابن كثير ج ٦ /١٥٦ .

وعقيدة ابراهيم عليه السلام هذه هي التي عبر عنها علماؤنا الأجلاء علماء سلف هذه الأمة بقولهم : لا موالاة الا بالمعاداة . كما قال العلّامة ابن القيم رحمه الله : « لا تصح الموالاة الا بالمعاداة كما قال تعالىٰ عن امام الحنفاء المحبين ، انه قال لقومه : « أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين » فلم تصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة الا بتحقيق هذه المعاداة . فانه لا ولاء إلا لله ، ولا ولاء إلا بالبراءة من كل معبود سواه قال تعالىٰ :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

٢٦ ـ ٢٨ الزخرف .

« أي جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض ، وهي كلمة لا إله إلا الله ، وهي التي ورثها امام الحنفاء ولأتباعه إلى يوم القيامة[٩٤] .

ويقول الامام الطبري : قد كانت لكم يا أمة محمد أسوة حسنة في فعل ابراهيم والذين معه في هذه الأمور من مباينة الكفار ، ومعاداتهم ، وترك موالاتهم الا في قول ابراهيم

لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ

٤ الممتحنة .

فانه لا أسوة لكم فيه في ذلك لأن ذلك كان من ابراهيم عن موعدة وعدها إيّاه ، قبل أن يتبينّ له أنه عدو لله فلما تبينّ له أنه عدو لله تبرأ منه ، فتبرأوا من

(٩٤) الجواب الكافي ص ٢١٣ وانظر تفسير ابن كثير ج ٢١٢/٧ ومجموعة التوحيد ص ١٣٣ .

أعداء الله ، ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويتبرؤا من عبادة ما سواه ، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء[٩٥] .

وقد كان من نتيجة هذه المعاداة وهذا البراء القوي أن أجمع الطغاة على قتل ابراهيم ـ كما هو حال كل طاغية على مر عصور التاريخ في ابادة الدعاة الى الله ، لا لشيء إلا لأنهم يدعونهم إلى عبادة الله وحده

وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ

٨ البروج .

ـ وجمعوا له ناراً عظيمة فكانت رعاية الله وحفظه تحوطان خليله الصادق عليه الصلاة والسلام فصارت النار برداً وسلاماً عليه

قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ

٩٧ ـ ٩٨ الصافات .

« لقد عدلوا عن الجدال والمناظرة لما انقطعوا وغلبوا ، ولم تبق لهم حجة ولا شبهة إلى استعمال قوتهم وسلطانهم لينصروا ما هم عليه من سفههم وطغيانهم فكادهم الرب جلّ جلاله ، وأعلى كلمته ودينه وبرهانه كما قال تعالى

قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ [٩٦]

٦٨ ـ ٧٠ الأنبياء .

---

(٩٥) تفسير الطبري ٦٢/٢٨ .

(٩٦) قصص الأنبياء ، للحافظ ابن كثير ١٨١/١ وانظر تفاصيل القصة في نفس المصدر .

وتأتي التوجيهات الربانية لخاتم الأنبياء محمد ﷺ باتباع ملة ابيه ابراهيم عليه السلام

ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ
ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

١٢٣ النحل .

قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

٩٥ آل عمران .

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ
مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

١٣٥ البقرة .

إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ
بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ
وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ

٦٨ آل عمران .

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ
وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا

١٢٥ النساء .

وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ

﴿عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾

٧٨ الحج .

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾

١٣٠ البقرة .

فهذا الاخبار من الله لأمة محمد ﷺ عن فعل ابراهيم عليه السلام من أجل الاقتداء به في الاخلاص ، والتوكل على الله وحده ، وعبادة الله وحده والبراءة من الشرك وأهله ومعاداة الباطل وحزبه .

ب : أمثلة أخرى على طريق الحق والهدى

كما سبق أن ذكرنا أن دعوة الأنبياء واحدة . دعوة لعبادة الله وحده وافراده بالدينوية والتأله والحب والرضى بحكمه وشرعه ، والبراءة من كل طاغوت معبود من دون الله سواء بالرغبة أو الرهبة

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

٣٦ النحل .

فاننا نجد أمثلة مشرقة ونماذج ايمانية رفيعة على طريق العقيدة الغرّاء .

انهم المؤمنون ، أينما وحيثما كانوا وحلوا وفي أي عصر ومصر عاشوا . يوردها ربنا تبارك وتعالىٰ في محكم تنزيله ، حتى تكون لنا أسوة حسنة . وتسلية لرسوله الكريم ﷺ عمّا كان يلاقيه هو وصحابته الأخيار .

وما أحوج الداعية المسلم ـ وهو الحريص على حب الخير لكل الناس ـ أن يتدبر هذه الأمثلة والنماذج الايمانية فسيجد فيها العزاء والتسلية فيما يلاقيه من

مشقة وعنت . وإذا كانت هذه سنة الله في أنبيائه وعباده الصالحين أن يتعرضوا للأذى والعنت ـ وهم أكرم خلق الله على الله ـ فمن باب أولى أن يلاقي دعاة الهدى والخير صنوفاً شتى من الأذى والسخرية والاستهزاء والعذاب. وسيجدون معية الله تصحبهم وترعاهم وحفظه وقدره يحوطهم . وكل ما يلقونه انما هو ابتلاء واختيار كما قال تعالى :

مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ

١٧٩ آل عمران .

وحين يثبت المؤمنون على الحق ، ويتوكلون على الله حق توكله ، ويخافونه وحده ، ولا يخافون إلا الله ، فسيكون هذا دافعاً عظيماً لدخول الناس في دين الله ، والاهتداء بهديه ، والاقتداء بهؤلاء الصادقين الذين ضحوا بكل غال ونفيس ، وزهدوا فيما عند الناس راغبين ومؤملين فيما عند الله .

ومن هذه الأمثلة التي نريد الحديث عنها باختصار ، نوح عليه الصلاة والسلام فقد دعا قومه ألف سنة الا خمسين عاماً فلم يؤمن معه إلا القليل ، والموقف الذي نريد أن نتحدث عنه من مواقفه عليه السلام هو موقفه مع ابنه الذي عصاه وأبى أن يستجيب لدعوة أبيه . قال تعالى :

وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ

عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ

٤٢ ـ ٤٧ نوح .

« إن الوشيجة التي يتجمع عليها الناس في هذا الدين ليست وشيجة الدم والنسب ، وليست وشيجة الأرض والوطن ، وليست وشيجة القوم والعشيرة . وليست وشيجة اللون واللغة . ولا الجنس والعنصر ، ولا الحرفة والطريقة انها وشيجة العقيدة .

« أما الوشائج الأخرى فقد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد .

ويبيّن الله لنوح لماذا لا يكون ابنه من أهله ؟ « انه عمل غير صالح فوشيجة الايمان قد انقطعت بينكما « فلا تسألن ما ليس لك به علم » انه ليس من أهلك ولو كان هو ابنك من صلبك »[٩٧] .

وهنا يأتي الاذعان الكامل والخوف من الله سبحانه وطلب مرضاته ورحمته فيقول عبده الصالح نوح « رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين » .

---

(٩٧) في ظلال القرآن ٤/١٨٨٧ .

لقد استعلى نبي الله على العاطفة ورضي بحكم الله ، فلا لجاجة ولا التواء ، ولا معذرة ولا تأويل ، بل تسليم مطلق ، واتباع لما يحب الله ويرضى ، واعراض عما يكره ويبغض وولاء لمن يحب الله وبراء وعداء لمن حاد الله ولو كان أقرب قريب .

ولم يكن شأن نبي الله نوح عليه السلام هذا مقصوراً على هذا الابن الكافر ، بل أيضاً مع زوجته ، ويا له من امتحان عظيم في الزوجة والابن ! .

هذه الزوجة تحدث عنها القرآن وعن نظيرة لها وشبيهة بفعلها وهي زوجة لوط عليه السلام ، فقد ابتلى هذان النبيان بزوجتين فاسدتين ضربهما الله لنا مثلاً في كتابه العزيز فقال :

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ
كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا
عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ

١٠ التحريم .

على أن مما يجب التنويه عنه هنا ـ استطراداً ـ أن هذه الخيانة في الدين ، وليست في الفاحشة ، فان نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء عليهم السلام .

أما امرأة نوح فكانت تفشي سره ، اذا آمن معه أحد أخبرت الجبابرة من قومها ، وامرأة لوط تخبر قومها بضيوف زوجها من أجل فعل السوء القبيح »[٩٨] .

وعلى النقيض من هذا الفعل المشين من هاتين المرأتين يضرب لنا القرآن مثلاً عالياً في الايمان والاستعلاء على الكفار من قبل امرأة مؤمنة هي زوجة فرعون اللعين قال تعالىٰ :

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ

(٩٨) انظر تفسير ابن كثير ١٩٨/٨ .

رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ
وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

١١ التحريم .

(إن هذه المرأة لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه ، في قصر فرعون عن طلب النجاة وحدها ، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربّها بيتاً في الجنة وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربّها النجاة منه ، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به . « ونجني من فرعون وعمله » وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم « ونجني من القوم الظالمين » انه مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره ، فقد كانت امرأة فرعون ، أعظم ملوك الأرض يومئذ !! في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهي ! لقد استعلت على هذا بالايمان ولم تعرض عنه فحسب ، بل اعتبرته شراً ودنساً وبلاء تستعيذ بالله منه .

إنها امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية . وقفت وحدها في وسط ضغط المجتمع وضغط القصر ، وضغط الملك ، وضغط الحاشية ، ورفعت رأسها للسماء ! انه التجرد الكامل من كل هذه المؤثرات والأواصر)[٩٩] .

إن وقوف هذه المرأة أمام ذلك الجبار من الأهمية بمكان ، علّ في ذلك ما يدفع تثبيط الشيطان وحزبه لبعض دعاة الاسلام وهم يخافون أن يمسهم الناس بشيء لم يكتبه الله عليهم .

ألا فلنأخذ من قرآننا عبرة وعظة ، وشحنة عمل ، ومنهاج دنيا وآخرة حتى نقوم بما كلفنا الله به وشرفنا بالانتساب اليه وهي الدعوة إلى الله .

يقول قتادة : كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده ، فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربّها لتعلموا أن الله حكم عدل ، لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه[١٠٠] .

---

(٩٩) بتصرف : في ظلال القرآن ٣٦٢٢/٦ .

(١٠٠) تفسير ابن كثير ١٩٩/٨ .

وهناك أيضاً نموذج آخر ، وعَلَم من أعلام دعاة صراط الله المستقيم . انه مثلٌ رفيع في الولاء لله ودينه وعباده الصالحين في النصرة والجهاد بقدر الطاقة لاعلاء كلمة الله ، والبراءة من الكفار بعد إقامة الحجة والبرهان عليهم ، انه مؤمن آل فرعون .

لننظر في موقفه وفي ولائه حين عزم الطاغية فرعون على قتل رسول الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . لقد قال مؤمن آل فرعون كما حكاه القرآن عنه ـ

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ

٢٨ غافر .

واسم هذا الرجل حبيب النجار والمشهور أنه كان قبطياً من آل فرعون . وكان يكتم ايمانه عن قومه القبط ، ولم يظهره الا هذا اليوم حين قال فرعون

ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ

٢٦ غافر .

فأخذت الرجل غضبة لله عزّ وجلّ و « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر »[١٠١] .

ولا أعظم من هذه الكلمة وهي قوله أتقتلون رجلاً إن يقول ربيّ الله »[١٠٢] .

---

(١٠١) اخرجه أبو داود في كتاب الملاحم ٥١٤/٤ ح ٤٣٤٤ والترمذي في كتاب الفتن ٣٣٨/٦ ح ٢١٧٥ وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وابن ماجه في الفتن ١٣٢٩/٢ ح ٤٠١١ ومسند أحمد ١٩/٣ والنسائي في البيعة ١٦١/٧ وقال الالباني صحيح : انظر المشكاة ١٠٩٤/٢ .

(١٠٢) انظر تفسير ابن كثير ١٣٠/٧ .

فانظر إلى ولاء هذا الرجل المؤمن لنبي الله موسى ونصرته له ، وتدبر براءه من الطاغية حتى وهو يصب عليه العذاب .

وأخيراً نقف مع الفتية الصلحاء « أصحاب الكهف » الذين تركوا الأهل والولد والوطن والعشيرة حين علموا أنه لا طاقة لهم بمواجهة ومجابهة قومهم فنجوا بأنفسهم إلى ذلك الكهف الذي تجلت فيه معجزة عظيمة يسوقها الله لنا عبرة وعظة في حفظه لعباده الصالحين .

قال تعالى:

إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا

١٣ - ١٦ الكهف .

لقد كان موقف هؤلاء الفتية صريحاً وواضحاً وحاسماً . وحين تتباين الطريقان ويختلف المنهجان لا يعود هناك سبيل إلى الالتقاء ولا للمشاركة في الحياة . بل لا بد من القرار بالعقيدة .

انهم ليسوا رسلاً إلى قومهم فيواجهوهم بالعقيدة الصحيحة ويدعوهم اليها ، ويتلقوا ما يتلقاه الرسل ، انما هم فتية تبين لهم الهدى في وسط ظالم كافر ، ولا حياة لهم في هذا الوسط ان هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها . وهم أيضاً لا

يطيقون صداراة قومهم ، وعبادة آلهتهم على سبيل التقية واخفاء عبادتهم لله .

على أن الأرجح أن أمرهم قد كشف فلا بد من الفرار بدينهم إلى الله ، وقد فروا إلى كهف خشن ضيق ، مؤثرين له على كل زينة من زينة الحياة الدنيا .

انهم يستروحون رحمة الله ويحسونها ظليلة فسيحة ممتدة « ينشر » تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح فاذا الكهف فضاء فسيح رحيب ، تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها .

انه الايمان ! وما قيمة الظواهر ؟ وما قيمة القيم والأوضاع والمدلولات التي تعارف عليها الناس في حياتهم الأرضية ؟

إن هنالك عالماً آخر في جنبات القلب المغمور بالايمان ، المأنوس بالرحمن . عالماً تظلله الرحمة والرفق والاطمئنان والرضوان(١٠٣) .

وهكذا تتعد الأمثال في جميع الوشائج والروابط ، وشيجة الابوة في قصة نوح ووشيجة البنوة والوطن في قصة ابراهيم ، ووشيجة الأهل والعشيرة والوطن جميعاً في قصة أصحاب الكهف ، ورابطة الزوجية في قصص امرأتي نوح ولوط وامرأة فرعون .

هكذا يمضي الموكب الكريم حتى تجيء الأمة الوسط ، فتجد هذا الرصيد من الأمثال والنماذج والتجارب ، فتمضي على النهج الربّاني للأمة المؤمنة .

وتفترق العشيرة الواحدة والبيت الواحد حيث تفترق العقيدة

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ
كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ .

٢٢ المجادلة

---

(١٠٣) الظلال ٤/٢٢٦٢ بتصرف بسيط .

لقد جمعت هذه العقيدة صهيباً الرومي وبلالاً الحبشي ، وسلمان الفارسي وأبا بكر العربي القرشي تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله « وتوارت عصبية القبيلة والجنس والأرض وقال لهم ﷺ « دعوها فانها منتنة »(١٠٤) . وقال « ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية »(١٠٥) فانتهى أمر هذا النتن ، وماتت نعرة الجنس . واختفت لوثة القوم ، واستروح البشر أرج الآفاق العليا ، ومنذ ذلك اليوم لم يعد وطن المسلم هو الأرض وانما وطنه هو « دار الاسلام » ، تلك الدار التي تسيطر عليها عقيدته ، وتحكم فيها شريعة الله وحدها(١٠٦) .

وتبقى سيرة المصطفى ﷺ وسيرة صحابته الاخيار منار هدي واصلاح لمن سلك ذلك السبيل ، ورضي بذلك النهج القويم .

أما من حاد عن ذلك وابتعد فالله ليس بوليه ، وانما وليه « الطاغوت »

وَالَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ

٢٥٧ البقرة .

---

(١٠٤) صحيح البخاري كتاب التفسير ٦٤٨/٨ ح ٤٩٠٥ وصحيح مسلم كتاب البر والصلة ١٨٨٨/٤ ح ٢٥٨٤ .

(١٠٥) صحيح مسلم كتاب الامارة ج ١٤٧٦/٣ ح ١٨٤٨ و ح ١٨٥٠ وأبي داود كتاب الادب ٣٤٢/٥ ح ٥١٢١ .

(١٠٦) انظر معالم في الطريق ص ١٤٣ .

الفصل الخامس

الولاء والبراء في العهد المكّي

كان الحديث في الفصل السابق عن أمثلة مشرقة ، وصور مضيئة من ولاء وبراء الأنبياء والرسل ، والصالحين عبر تاريخ البشرية الطويل .

ونتحدث هنا عن الولاء والبراء من خلال سيرة نبينا محمد ﷺ ، مستمدين ذلك من الوحيين كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وكتب السير والمغازي .

وقد اعتمدنا في تقسيم الآيات إلى مكّي ومدني ، على ما ذكره علماء التفسير وعلوم القرآن من أن المكّي : ـ على الاشهر ـ هو ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعدها(١٠٧) .

وسبق أن قلنا في التمهيد : أن المسلم منذ أن يعلن شهادة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فان ذلك يعني إفراد الله سبحانه وتعالىٰ بالوحدانية والألوهية والربوبية وخلع كل ولاء وعبودية وطاعة وخضوع وخوف ورجاء لأي معبود أو متبوع أو مطاع من دون الله . وقصر هذا الولاء والحب والتعظيم لله سبحانه وتعالىٰ .

وقد نزل الوحي الآلهي أول ما نزل على المصطفى ﷺ في غار حراء بقوله سبحانه

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ

---

(١٠٧) انظر : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣٧/١ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

١ ـ ٥ العلق .

ثم بعد ذلك نزل قوله تعالىٰ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ

١ ـ ٢ المدثر .

وبدأ المصطفى ﷺ يدعو الناس سراً إلى الاسلام وأسلم معه نفر قليل ، منهم أبو بكر الصديق ، وعليّ بن أبي طالب وخديجة بنت خويلد زوجته رضي الله عنهم جميعاً . وبدأ رسول الله ﷺ يغرس في نفوس أصحابه محبة الله ومحبة رسوله والاجتماع على ذلك واخلاص الحب والولاء والنصرة للمؤمنين وبغض الكفر والشرك وأهله وهذا هو لازم كلمة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وهنا نشأت الوشيجة الجديدة وشيجة العقيدة في نفوس المؤمنين وبدأ يقر في نفوسهم أن هذه هي الرابطة الحقيقية ، هي الرابطة التي تطمئن لها نفس المؤمن ومع نمو هذه الغرسة الجديدة بدأت تذبل شجرة العصبية الجاهلية ، والروابط الجاهلية ، وبدأت نظرة الريب والاحتقار لتلك الروابط تكبر يوماً فيوماً في نفس كل من آمن بالله ورسوله .

الملتقى الأول وأولى خطوات الطريق

اختار المصطفى ﷺ دار الأرقم لتلقين من آمن معه أمور هذا الدين . ولقد كانت هذه الدار هي الملتقى الأول لأولئك القادة العظام ، كانت هي الدار التي بدأ يشع منها ذكر الله وتوحيده في الأرض .

ترى ما هو حال المسلمين آنذاك ؟ وماذا بعد النطق بالشهادتين ؟

يجيب على ذلك الاستاذ سيد قطب رحمه الله فيقول : انه لم يكن للاسلام والمسلمين في مكةشريعة ولا دولة ، ولكن الذين كانوا ينطقون بالشهاديتن كانوا يسلمون قيادهم من فورهم للقيادة المحمدية ، ويمنحون ولاءهم من فورهم للعصبة المسلمة . وكان الرجل حين يدخل في الاسلام يخلع على عتبته كل ماضيه في الجاهلية ، ويبدأ عهداً جديداً ، منفصلاً كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية . انه يقف من كل ما عهده في جاهليته موقف المستريب الشاك الحذر المتخوف .

« لقد كانت هناك **عزلة شعورية** كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في اسلامه ، ونشأت عن هذه العزلة ، عزلة في صلاته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية أيضاً .

« انه قد انفصل نهائياً من بيئة الجاهلية ، واتصل نهائياً ببيئته الاسلامية ، حتى لو كان يأخذ من بعض المشركين ويعطي في عالم التجارة والتعامل اليومي .

فالعزلة الشعورية شيء ، والتعامل اليومي شيء آخر .

« وحين انخلع المسلم من عقيدة الشرك إلى عقيدة التوحيد ، ومن تصور الجاهلية إلى تصور الاسلام فانه أيضاً كان ينسلخ من القيادة الجاهلية ، وينزع ولاءه من الاسرة والعشيرة والقبيلة ، ويترجم ذلك إلى واقع وحقيقة يقوم عليها الاسلام . وهذا هو الذي أزعج « الملأ » من قريش !

« أزعجهم زحف الاسلام ، وأزعجهم القرآن ، ولم يزعجهم من قبل أن (الحنفاء) اعتزلوا معتقدات المشركين وعباداتهم ، واعتقدوا بالوهية الله وحده ، وقدموا له الشعائر وحده فهذا لا يهم الطاغوت ، كما يفهم بعض الطيبين الخيرين اليوم الذين لا يدركون ولا يعرفون حقيقة الاسلام .

« انما الاسلام هو تلك الحركةالمصاحبة للنطق بالشهادتين ثم الانخلاع من المجتمع الجاهلي وتصوراته وقيمه وقيادته وسلطانه وشرائعه . والولاء لقيادة الدعوة الاسلامية التي تريد أن تحقق الاسلام في عالم الواقع ، ولذلك قاوم « الملأ » من

قريش هذه الدعوة بشتى الأساليب»[١٠٨] والتقى المؤمنون على حب الله ورسوله ، فكان لقاء عميقاً لأن كلا منهم جاء إلى الله ورسوله يتلقى منه ، ويهتدي بهديه ، ويتوجه اليه ، وأحس كل منهم نحو أخيه برباط من نوع جديد ، يربطه بأخوته في الله ، انه يحبه كنفسه مع أنه ليس من قبيلته ولا بينهما آصرة دم[١٠٩] .

وأخذ القرآن الكريم ينزل حسب النوازل والحوادث على ما يشاء الله سبحانه وتعالى لتربية الأمة على أسس العقيدة فكان الولاء والبراء يزيد كلما ازدادت التكاليف وكان من الطرق التي سلكها القرآن في عرض هذه العقيدة ضرب المثل ، لأنه كما يقال : بالمثال يتضح المقال . ومعلوم أن كلام الله واضح ولكن سياق المثل يستثير في الانسان نوعاً من التفكر وتدبر العبرة والعظة لتغيير المسار الخاطىء والاتجاه في الطريق الصحيح .

ومن هذه الأمثلة في موضوعنا قوله تعالىٰ

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ
كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ
ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ

٤١ العنكبوت .

وبتقرير هذه الحقيقة الضخمة في النفوس ، كان المؤمنون أقوى من جميع القوى التي وقفت في طريقهم ، وداسوا بها على كبرياء الجبابرة في الأرض ، ودكوا بها المعاقل والحصون . . ان قوة الله وحدها هي القوة ، وولاية الله وحدها هي الولاية وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل ، مهما علا واستطال ، ومهما تجبر وطغى ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتنكيل[١١٠] .

---

(١٠٨) بتصرف : في ظلال القرآن ١٥٠٣/٣ ومعالم في الطريق ص ١٧ ، ٥٠

(١٠٩) انظر منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ٣٨/٢ - ٤٠ .

(١١٠) انظر في ظلال القرآن ٢٧٣٧/٥ .

ومكث المصطفى ﷺ في دعوته للناس بالسر ثلاث سنوات ، كما قال ذلك علماء السير والمغازي[111] .

وبعد أن فشا ذكر الاسلام في مكّة ، وتحدث الناس به أمر اللهّ عزّ وجلّ رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه ، وان يبادىء الناس بأمره ، وان يدعو اليه ونزل قوله تعالىٰ

فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ

٩٤ الحجر

وقال الله له

وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ [112]

٢١٤ ـ ٢١٥ الشعراء .

وهنا بدأ الابتلاء للمسلمين ، وهذا الابتلاء الذي ظاهره الشدة هو في حقيقته نعمة ، لأنه يتضح من خلاله : الصادق من الكاذب ، والخبيث من الطيب . قال تعالىٰ :

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ

١ ـ ٣ العنكبوت .

---

(١١١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٨٠ .

(١١٢) السيرة لابن هشام ١/٢٨٠ .

وحدث لاصحاب رسول الله ﷺ من الابتلاء والشدة الشيء الكثير ، حتى انهم كانوا يذهبون للشعاب يستخفون بصلاتهم عن قومهم(١١٣) .

ردود الفعـل

ماذا فعل المؤمنون تجاه العذاب الذي صبه عليهم أعداء الله ؟ ما هو رد فعل المسلمين تجاه ما فعل بهم عامة وما فعل ببلال وآل ياسر وغيرهم من المستضعفين خاصة ؟

انه الصبر على الأذى والهجر الجميل . قال تعالى

وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا

١٠ ـ ١١ المزمل .

وصبر المصطفى ﷺ وكانت تربيته الربانية كفيلة بتطهير نفوس المؤمنين معه فكانوا كل يوم يزدادون من سمو الروح ونقاء القلب ونظافة الخلق والتحرر من سلطان الماديات والشهوات شيئاً كثيراً .

(كان ﷺ يأخذهم بالصبر على الأذى والصفح الجميل ، وقهر النفس مع أنهم قوم قد رضعوا حب الحرب ، وكأنهم ولدوا مع السيف ، وهم أمة من أيامها حرب البسوس وداحس والغبراء . وما يوم الفجار ببعيد !!

ولكن رسول الله ﷺ قهر طبيعتهم الحربية ، وكبح نخوتهم العربية فانقهروا لأمره ، وكفوا أيديهم وتحملوا من قريش ما تسيل منه النفوس ، في غير جبن وفي غير عجز)(١١٤) . هذا بالنسبة لموقف المسلمين من أعدائهم .

---

(١١٣) المصدر السابق ١ / ٢٨٢ .

(١١٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي ص ٩٧ بتصرف .

أما ولاؤهم فيما بينهم ، فنقول : ان المصطفى ﷺ قد حرص على غرس ركيزتين اسايتين في نفوسهم هما :

(١) الايمان بالله ، ذلك الايمان المنبثق من معرفته سبحانه ، وتمثل صفاته في الضمائر ، وتقواه ، ومراقبته ، مع اليقظة والحساسية التي بلغت في نفوسهم حداً غير معهود إلا في النادر من الأحوال .

(٢) الحب الفياض ، والتكافل الجاد العميق ، حيث بلغت فيه الجماعة المسلمة مبلغاً لولا أنه وقع بالفعل لعد من أحلام الحالمين[١١٥] .

إن نقطة الحب في الله التي التقى عليها هؤلاء المؤمنون ، كانت أيضاً لقاء على ما يتبع هذه الدعوة من جهد أو غرم ، وما يستتبع ذلك من ألم أو سرور وجعل العاطفة الانسانية تحب وتبغض تبعاً لما يصيب الاسلام من خير أو شر[١١٦] .

ولكي يكون لهذا الكلام ما يدعمه من دليل ، وحتى نعلم ما هي نتائج تربية « دار الأرقم » أذكر موقفاً واحداً لصديق هذه الأمة ، أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وطىء أبو بكر رضي الله عنه في مكّة يوماً بعد ما أسلم ، وضرب ضرباً شديداً ، ودنا منه عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ، ويحر فهما لوجهه ، ثم نزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ، ولا يشكون في موته ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا ، وقالوا لأمه أم الخير : انظري ان تطعميه شيئاً أو تسقيه إيّاه ، فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله ما لي علم بصاحبك فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فأسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : ان أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله قالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وان كنت تحبين أن أذهب معك الى ابنك ذهبت قالت : نعم

---

(١١٥) انظر طريق الدعوة في ظلال القرآن ١٨٨/١ .

(١١٦) انظر هذا ديننا للشيخ محمد الغزالي ص ١٧٨ .

فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً ، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله أن قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق وكفر ، واني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم ، قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أمك تسمع !! قال : فلا شيء عليك منها ، قالت : سالم صالح ، قال : أين هو؟ قالت : في دار ابن الأرقم ، قال : فان لله علي أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب أو آتي رسول الله ﷺ فأمهلها حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكىء عليهما حتى أدخلناه على رسول الله ﷺ(117)

يا لله ! رجل مضروب ، مثخن بالجراح لا يتناول حتى شربة الماء وهو أشد ما يكون حاجة اليها حتى يرى رسول الله ﷺ ؟ !

حقاً إنها تربية دونها كل تربية . وحقاً نقول إن ذلك الجيل الذي ربّاه المصطفى ﷺ جيل فريد على غير مثال ، ابق ولا لاحق .

سمات العلاقة بين المسلمين وأعدائهم في العهد المكّي

إن المرحلة المكّية كانت تقتضي أن تكون العلاقة بين المسلمين والمشركين علاقة غير قتالية ، علاقة بيان للحق ، وصبر على الأذى فيه ، واحتساب لكل ما عرفته رباع مكّة ورمضاؤ ها والطائف وفجاجها من أذى للمصطفى ﷺ وعذاب واضطهاد لبلال وعمار وخباب وآل ياسر وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين .

ذلك أن ظروف تلك المرحلة كانت تقتضي اتخاذ الاساليب السلمية ، وعرض الحقائق الايمانيةعرضاً مؤثراً ، عله يكون في هذا وفيما ابداه المؤمنون الصابرون من تحمل وصبر ، ما يرجع لأهل اللب صوابهم ، وما أجدر ذلك باستجابة القوم لولا اتباع الهوى وسلطان المصالح الزائلة من زعامة ووجاهة ومكاسب مادية ، وما إلى ذلك(118) .

---

(117) البداية والنهاية لابن كثير ٣/٣٠ وانظر ماذا خسر العالم للندوي ص ١١٣ .

(118) انظر : علاقة الأمة المسلمة بالأمم الأخرى للاستاذ أحمد محمود الأحمد ٨ - ٩ .

والتربية النبوية في هذا العهد ذات شأن عظيم ذلك أنها كانت تربية تقوم على ضبط النفس ، والصبر على الأذى ، واعداد العدة مع حبس دواعي الانطلاق ، وكف حدة الاقدام ، واحتمال جهل الجاهلين وبغي الطاغين . وكل ذلك من غير ذل ولا استخذاء ، ولا يأس ولا وهن ، بل أن عيونهم قريرة وقلوبهم مطمئنة إلى نصر الله ونفوسهم مستعليةعلى شرك المشركين وضلالهم وفتنتهم[١١٩] .

ومن المهم في هذا الموضوع أن نلاحظ الحكمة الربّانية في عدم فرضية القتال في مكّة فانه انما شرع في العهد المدني أما (حين كان المسلمون في مكّة فقد كان المشركون أكثر عدداً ، فلو أمر المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقين لشق عليهم ، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفاً وثمانين قالوا : يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي ـ يعنون أهل منى ـ ليالي منى فنقتلهم ؟ فقال رسول الله ﷺ « اني لم أؤ ومر بهذا »[١٢٠] .

ونحن حين نلتمس الحكمة في هذه الحالة وفي غيرها من التكاليف الشرعية ـ كما يقول الاستاذ سيد قطب رحمه الله ـ لا نجزم بما نتوصل اليه ، لأننا حينئذ تتألى على الله ما لم يبيّن لنا من حكمة . ونفرض أسباباً وعللاً قد لا تكون هي الأسباب والعلل الحقيقية ، أو قد تكون .

ذلك أن شأن المؤمن أمام أي تكليف ، أو أي حكم من أحكام الشريعة هو التسليم المطلق لأن الله سبحانه هو العليم الخبير ، وانما نقول هذه الحكمة والاسباب من باب الاجتهاد وعلى أنه مجرد احتمال لأنه لا يعلم الحقيقة إلا الله ، ولم يحددها هو لنا ويطلعنا عليها بنص صريح »[١٢١] .

وهذه الاسباب والعلل ذكرها الاستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابيه القيمين : « **في ظلال القرآن** » عند تفسير سورة النساء ، وفي « **معالم في الطريق** »[١٢٢] .

(١١٩) سبيل الدعوة الاسلامية . د . محمد أمين المصري ص ١١١ ، ١١٣ بتصرف .

(١٢٠) تفسير ابن كثير : ٤٣١/٥ والحديث في مسند أحمد ٤٦٢/٣ في سنده « معبد بن كعب بن مالك ، قال عنه ابن حجر في التقريب مقبول ، وذكر في التهذيب أن له حديثاً واحداً في صحيح البخاري وأخرج له مسلم . ووثقه ابن حبان .

(١٢١) انظر الظلال ٧١٤/٢ .

(١٢٢) الظلال ٧١٤/٢ ـ ٧١٥ وفي المعالم ص ٦٩ ـ ٧١ .

فصل الجهاد في سبيل الله وسأوجزها فيما يلي :

(١) إن الكف عن القتال في مكّة ربما كان لأن الفترة المكية كانت فترة تربية واعداد ، في بيئة معينة ، لقوم معينين ، وسط ظروف معينة ، ومن أهداف التربية في مثل هذه البيئة : تربية الفرد العربي على الصبر على ما لا يصبر عليه عادة من الضيم حين يقع عليه أو على من يلوذون به : ليخلص من شخصه ، ويتجرد من ذاته ، فلا يندفع لأول مؤثر ، ولا يهتاج لأول مهيج ومن ثم يتم الاعتدال في طبيعته وحركته . ثم تربيته على أن يتبع نظام المجتمع الجديد والتقيد بأوامر القيادة الجديدة ، حيث لا يتصرف الا وفق ما تأمره - مهما يكن مخالفاً لمألوفه وعادته - وقد كان هذا هو حجر الاساس في اعداد شخصية العربي المسلم لانشاء « المجتمع المسلم » .

(٢) وربما كان ذلك أيضاً لأن الدعوة السلمية أشد أثراً وأنفذ في مثل بيئة قريش ذات العنجهية والشرف ، والتي قد يدفعها القتال معها - في مثل هذه الفترة - إلى زيادة العناد ونشأة ثارات دموية جديدة كثارات العرب المعروفة أمثال داحس والغبراء وحرب البسوس ، وحينئذ يتحول الاسلام من دعوة إلى ثارات تنسى معها فكرته الاساسية .

(٣) وربما كان ذلك أيضاً اجتناباً لانشاء معركة ومقتلة داخل كل بيت ، فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة هي التي تعذب المؤمنين ، وانما كان ذلك موكولاً إلى أولياء كل فرد ومعنى الاذن بالقتال - في مثل هذه البيئة - أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت ثم يقال : هذا هو الاسلام !! ولقد قيلت حتى والاسلام يأمر بالكف عن القتال ! فقد كانت دعاية قريش في المواسم ، ان محمداً يفرق بين الوالد وولده فوق تفريقه لقومه وعشيرته ! فكيف لو كان كذلك يأمر الولد بقتل الوالد ، والمولى بقتل الولي ؟

(٤) وربما كان ذلك أيضاً لما يعلمه الله من أن كثيرين من المعاندين الذين يفتنون المسلمين عن دينهم ويعذبونهم هم بأنفسهم سيكونون من جند الاسلام المخلص ، بل من قادته . ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء ؟

(٥) وربما كان ذلك أيضاً لأن النخوة العربية في بيئة قبلية من عادتها أن تثور للمظلوم الذي يحتمل الأذى ، ولا يتراجع وبخاصة اذا كان الأذى واقعاً على كرام الناس فيهم . وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة في هذه البيئة - فابن الدغنة[١٢٣] لم يرض أن يترك أبا بكر - وهو رجل كريم - يهاجر ويخرج من مكّة ، ورأى في ذلك عاراً على العرب ! وعرض عليه جواره وحمايته . . وآخر هذه الظواهر نقض صحيفة الحصار لبني هاشم في شعب أبي طالب .

(٦) وربما كان ذلك أيضاً لقلة عدد المسلمين حينذاك وانحصارهم في مكّة حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة ، أو بلغت ولكن بصورة متناثرة ، حيث كانت القبائل تقف على الحياد من معركة داخلية بين قريش وبعض ابنائها ، لترى ماذا يكون مصير الموقف . ففي مثل هذ الحالة قد تنتهي المعركة المحدودة إلى قتل المجموعة المسلمة القليلة - حتى ولو قتلوا هم أضعاف من سيقتل منهم - ويبقى الشرك ، ولا يقوم للاسلام في الأرض نظام ، ولا يوجد له كيان واقعي ، وهو دين جاء ليكون منهج حياة ونظام دنيا وآخرة .

(٧) انه لم تكن هناك ضرورة قاهرة ملحة ، لتجاوز هذه الاعتبارت كلها ، والامر بالقتال ، ودفع الأذى ، لأن الأمر الاساسي في هذه الدعوة كان قائماً ومحققاً وهو « وجود الدعوة » ووجودها في شخص الداعية محمد ﷺ ، وشخصه في حماية سيوف بني هاشم ، فلا تمتد إليه يد الا وهي مهددة بالقطع . ولذلك لا يجرؤ احد على منعه من ابلاغ الدعوة واعلانها في ندوات قريش حول الكعبة ، ومن فوق جبل الصفا ، وفي الاجتماعات العامة ولا يجرؤ احد على سجنه أو قتله ، أو أن يفرض عليه كلاماً بعينه يقوله ، بل انهم حين طلبوا اليه أن يكف عن سب آلهتهم وعيبها لم يكف ، وحين طلبوا اليه أن يسكت عن سب دين آبائهم وأجدادهم لم يسكت ، وحين طلبوا اليه أن يدهن فيدهنوا ، أي يجاملهم فيجاملوه ، بأن يتبع بعض تقاليدهم ليتبعوا بعض عبادته لم يدهن .

---

(١٢٣) ابن الدغنة رجل جاهلي اجار ابا بكر عندما أخرجه قومه وأراد الهجرة للحبشة . انظر الاصابة ٣٤٤/٢ .

إن هذه الاعتبارات كلها ـ فيما نحسب ـ كانت بعض ما اقتضت حكمة الله ـ معه ـ أن يأمر المسلمين بكف أيديهم واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، لتتم تربيتهم ، واعدادهم ، وليقف المسلمون في انتظار أمر القيادة ، في الوقت المناسب ، وليخرجوا أنفسهم من المسألة كلها ، فلا يكون لذواتهم فيها حظ .. لتكون خالصة لله ، وفي سبيل الله ـ (انتهى ملخصاً من الظلال) .

والناظر في الفترة المكّية والتي كانت ثلاثة عشر عاماً كلها تربية واعداد وغرس لمفاهيم لا إله إلا الله يدرك ما لأهمية هذه العقيدة من شأن في عدم الاستعجال واستباق الزمن فالعقيدة بحاجة الى غرس يتعهد بالرعاية والعناية والمداومة بحيث لا يكون للعجلة والفوضى فيها نصيب . وما أجدر الدعاة الى الله أن يقفوا أمام تربية المصطفى ﷺ لأصحابه على هذه العقيدة وقفة طويلة ، فيأخذوا منها العبرة والأسوة ، لأنه لا يقف في وجه الجاهلية ـ أياً كانت قديمة أم حديثة أم مستقبلة ـ الا رجال اختلطت قلوبهم ببشاشة العقيدة الربّانية ، وعمقت جذور شجرة لا إله إلا الله في نفوسهم ، فيصدق عليهم حينئذ انهم

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

٢٣ الأحزاب .

لا تهمهم قوة عدو ، ولا تنقصهم عزيمة باسل لأن الله هو وليهم وناصرهم ،

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

٤٠ الحج .

قال ابن اسحاق (لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ثم من عمه أبي طالب ، وانه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فان بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما انتم

فيه » ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ الى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الاسلام(١٢٤) .

ثم ان لطف الله ورحمته غمرت المؤمنين المستضعفين وذلك باسلام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، حيث أعز الله به الاسلام ، ولذلك قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « ان إسلام عمر كان فتحاً ، وان هجرته كانت نصراً ، وان هجرته كانت نصراً ، وإن امارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة وصلينا معه »(١٢٥) إنها نعمة كبرى تجلت في اسلام عمر ، الذي منح ولاءه ونصرته للمسلمين ، وصبر بغضه وعداوته وبراءة للكافرين ، كيف لا وهو الذي اشتبك مع القوم بعد اسلامه ثم قال : « افعلوا ما بدا لكم فوالله لو أن قد كنا ثلاث مئة رجل لقد تركناها ـ أي مكّة ـ لكم أو تركتموها لنا »(١٢٦) .

وسمع المؤمنون باسلام عمر رضي الله عنه وهم في الحبشة ففرحوا بذلك ورجع منهم من رجع إلى مكّة ـ ولكن قريشاً صبت عليهم ألواناً من العذاب والاضطهاد فلم يزدهم ذلك الا صلابة في العود وثباتاً على الحق وأملاً في فرج من الله قريب .

ثم تعرض رسول الله ﷺ ومن معه لدرس آخر من دروس الابتلاء التي هي من سنن الدعوة إلى الله : ذلك الدرس هو موت أبي طالب عم رسول الله الذي كان مناصراً له وحامياً . وموت زوجة رسول الله خديجة رضي الله عنها أول امرأة أسلمت وكانت مثالاً للمرأة المسلمة الصالحة وهنا يطمع أعداء الله في رسول الله ﷺ ، ولكن الله أكبر من كل شيء ثم رأى المصطفى ﷺ أن يتجه إلى غير قريش عسى أن يجد مجيباً وناصراً فخرج إلى الطائف ، ولكن ثقيفاً خيبت أمله وآذته وسخرت منه ، فاتجه إلى ربّه قائلاً « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي

---

(١٢٤) السيرة لابن هشام ٣٤٤/١ .

(١٢٥) السيرة لابن هشام ٣٦٧/١ .

(١٢٦) السيرة لابن هشام ٣٧٤/١ .

إلى من تكلني ، الى بعيد يتجهمني ؟ أو الى عدو ملكته أمري ، ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، ان يحل عليّ غضبك أو ان ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك(١٢٧) . ثم رجع إلى مكة .

وعلى الدعاة أن يقفوا طويلاً عند قول المصطفى ﷺ ، « ان لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي » فان هم الداعية المسلم هو رضاء الله وكفى . ثم بعد ذلك ليكن ما يكون من أمر الناس فان ذلك ليس له كبير حسبان طالما أن الغاية هي رضاء الله .

بر الأقارب المشركين

ومن خلال تتبع القرآن المكي نجد أنه رغم قطع الولاء سواء في الحب أو النصرة بين المسلم وأقاربه الكفار فان القرآن أمر بعدم قطع صلتهم وبرهم والاحسان اليهم ومع ذلك فلا ولاء بينهم .

قال تعالى

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

٨ العنكبوت .

---

(١٢٧) ابن هشام ٢/٦٠ والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٣٥ ونسبه للطبراني وقال : (فيه ابن اسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات) وحكم عليه الالباني في تخريج فقه السيرة للغزالي ص ١٣٢ بالضعف . ولكن الفاظ الحديث ينقدح منها نور مشكاة النبوة .

قال البغوي : إن هذه الآية وآية ١٥ من سورة لقمان وهي قوله تعالىٰ

وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ
بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا
مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأمه حمنة بنت أبي سفيان ، فقد كان سعد من السابقين الأولين للاسلام ، وكان باراً بأمه .

قالت له أمه : ما هذا الدين الذي أحدثت ؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه ، أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر ، يقال : يا قاتل أمه ! ثم انها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل ، فأصبحت قد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب ، فجاء سعد اليها وقال : يا أماه : لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني ، فكلي وان شئت فلا تأكلي ، فلما أيست منه أكلت وشربت ، فأنزل الله هذه الآية وأمره بالبر بوالديه ، والاحسان اليهما ، وعدم طاعتهما في الشرك لأنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[128] .

لذلك فالولاء لله ودينه والمؤمنين شيء لا طاعة لمخلوق في مخالفته ، وبر القريب المشرك شيء . قد يكون من باب تأليفه وترغيبه في الاسلام .

---

(١٢٨) تفسير البغوي ١٨٨/٥ وانظر اسباب النزول للواحدي ، ص ١٩٥ فقد ذكر نحو هذا والحديث : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » حديث صحيح انظر مشكالة المصابيح ١٠٩٢/٢ ح ٣٦٩٦ .

كيف كانت صورة البراء في العهد المكي

(١) إن المسلم من حين أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهو يحس بأنه قد دخل في دين جديد غير دين آبائه وأجداده ، انه (يشعر في اللحظة التي يجيء فيها الى الاسلام أنه يبدأ عهداً جديداً منفصلاً كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية . وكان يقف من كل ما عهده في جاهليته موقف المستريب الشاك الحذر المتخوف الذي يحس أن كل هذا رجس لا يصلح للاسلام . وبهذا الاحساس كان يتلقى هدي الاسلام الجديد . . ويمكننا أن نسمي هذا بـ « العزلة الشعورية » فالمسلم قد انخلع من البيئة الجاهلية ، وعرفها وتصورها وعاداتها وروابطها . وانخلع من عقيدة الشرك الى عقيدة التوحيد ، ومن تصور الجاهلية إلى تصور الاسلام عن الحياة والوجود ، وانضم إلى التجمع الاسلامي الجديد بقيادته الجديدة . ومنح هذا التجمع وهذه القيادة كل ولائه وطاعته وحبه وتبعيته)[١٢٩] .

(٢) بعد ذلك جاء الأمر بالاعراض عن الكفار

فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ

النجم ٢٩ - ٣٠ .

(٣) وجاء الأمر أيضاً بالصبر والهجر الجميل قال تعالىٰ

وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا

١٠ المزمل .

---

(١٢٩) معالم في الطريق ١٦ - ١٧ بتصرف بسيط .

فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ
وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ

٦٠ الروم .

ثم يذكّر الله سبحانه المؤمنين بفعل أبيهم ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ليأخذوا منه أسوة وقدوة فيقول سبحانه

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي
فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

٢٦ ـ ٢٨ الزخرف .

وإلى جانب هذا التذكير الربّاني ، يضرب أيضاً المثل المحسوس والملموس في حياة الناس لمن يوزع ولاءه بين أرباب متفرقة ، ومن يكون ولاؤه لرب واحد ، واتجاه واحد .

قال تعالى : ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ
وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

٢٩ الزمر .

فقد وضح الله في هذا المثال القرآني حال المشرك الذي لا يؤمن بالله ولا يكون ولاؤه وحبه لله وفي الله بحال العبد الذي تملكه جماعة مشتركين في خدمته لهم لا يمكنه ارضاؤهم أجمعين وحال الموحد الذي يعبد الله وحده ويوالي في الله وحده مثله كمثل عبد لمالك واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه بل هو سالم لمالكه من غير منازع فيه ، مع رأفة

مالكه به ورحمته له وشفقته عليه واحسانه اليه وتوليته بمصالحه ، فهل يستوي هذا العبدان ؟ لا . انهما لا يستويان « الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون »[130] .

وعلى طريقة القرآن في اهتمامه بقضية اليوم الآخر لما لها من أثر عظيم في قضية الايمان : نجد القرآن الكريم يسوق مشهداً من مشاهد يوم القيامة لمن يكون ولاؤه لغير الله ، وكيف انقلب هذا الولاءِ الى عداء وبغضاء . ثم كيف أصبحت الخلة عداوة وشحناء .

قال تعالىٰ : وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ٢٩ فصلت .

وقال ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ

٦٧ الزخرف .

وقال وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا

٢٧ ـ ٢٩ الفرقان .

(١٣٠) أمثال القرآن لابن القيم ص ٥٣ بتصرف بسيط . ط ١/١٤٠٠ هـ تحقيق الدكتور ناصر الرشيد . الناشر دار مكة .

(٤) ثم جاء التصريح الكامل لاعداء الله بأن دينكم باطل لا ندخل فيه ، وديننا هو الحق الذي ندين الله به ، فلا نعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما نعبد .

لكم دينكم ولي دين

ولما رأى المشركون صلابة المسلمين واستعلائهم بدينهم ، ورفعة نفوسهم فوق كل باطل ولما بدأت خطوط اليأس في نفوسهم من أن المسلمين يستحيل رجوعهم عن دينهم سلكوا مهزلة أخرى من مهازلهم الدالة على طيش أحلامهم ورعونتهم الحمقاء .

فقد دعوا رسول الله ﷺ الى عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله سورة الكافرون :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ

١ ـ ٦ الكافرون[١٣١] .

ومثل هذه السورة آيات أخرى تشابهها في اعلان البراء من الكفر وأهله مثل قوله تعالىٰ :

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيٓـُٔونَ
مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ

٤١ يونس .

---

(١٣١) انظر تفسير ابن كثير ٥٢٧/٨ .

وقوله تعالى :

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ

٥٦ ـ ٥٧ الأنعام .

وقوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

١٠٤ ـ ١٠٥ يونس .

بهذه النصاعة وهذا الوضوح جاءت هذه الآيات الكريمات لترسم معالم الطريق بين الصف الاسلامي والصف الكافر المشرك الذي لا يؤمن بالله ورسوله . ومع هذا الوضوح القرآني نجد أن بعض المنتسبين للعلم قد فهم من

هذه الآيات ـ وخاصة سورة الكافرون ـ انها اقرار من رسول الله ﷺ للكفار على دينهم الباطل وهذا زعم باطل . مخالف لحقيقة الاسلام ، ودعوة رسول الاسلام . ومضاد لدعوة الرسل جميعاً . يقول العلاّمة ابن القيم رحمه الله : « إن هذه السورة ـ سورة الكافرون ـ تشتمل على النفي المحض وهذه خاصية هذه السورة ، فانها سورة براءة من الشرك كما جاء في وصفها »[١٣٢] .

« ومقصودها الأعظم البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين ، ولهذا أتى بالنفي في الجانبين تحقيقاً للبراءة المطلوبة . مع تضمنها للاثبات بأن له معبوداً يعبده وانتم بريئون من عبادته ، وهذا يطابق قول امام الحنفاء انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني ٢٦ ـ ٢٧ الزخرف فانتظمت حقيقة لا إله إلا الله .

« ولهذا كان النبي ﷺ يقرنها بسوره الاخلاص في سنة الفجر[١٣٣] وسنة المغرب[١٣٤] وحين أخبر الله أن لهم دينهم وله دينه : هل هو اقرار فيكون منسوخاً أو مخصوصاً ؟ أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص ؟

« هذه مسألة شريفة من أهم المسائل ، وقد غلط في السورة خلائق ، وظنوا انها منسوخة بآية السيف لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم ! ، وظن آخرون : انها مخصوصة بمن يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب !

وكلا القولين غلط محض ، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص ، بل هي محكمة وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها ، فان أحكام التوحيد التي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه .

« وهذه السورة أخلصت التوحيد ، ولهذا تسمى أيضاً سورة الاخلاص . ومنشأ الغلط : ظنهم أن الآية اقتضت اقرارهم على دينهم . ثم رأوا أن هذا الاقرار زال بالسيف فقالوا : منسوخة !!

---

(١٣٢) سنن أبي داود / الأدب / ٣٠٣/٥ ح ٥٠٥٥ والترمذي في الدعوات ج ١١٠/٩ ح ٣٤٠٠ ومسند الامام احمد ٤٥٦/٥ والدارمي في فضائل القرآن ٤٥٨/٢ قال الالباني : حديث حسن . انظر صحيح الجامع الصغير ١٤٠/١ ح ٢٨٩ .

(١٣٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٦ والمسند طبع الساعاتي ٢٢٥/٤ .

(١٣٤) مشكاة المصابيح ٢٦٨/١ ، وانظر بدائع الفوائد ١٣٨/١ .

وقالت طائفة : زال عن بعض الكفار وهم من لا كتاب لهم فقالوا: هذا مخصوص ! ومعاذ الله أن تكون الآية اقتضت تقريراً لهم أو اقراراً على دينهم أبداً . بل لم يزل رسول الله ﷺ في أول الأمر وأشده عليه وعلى أصحاب أشد على الانكار عليهم ، وعيب دينهم وتقبيحه ، والنهي عنه ، والتهديد والتوعيد في كل وقت وفي كل ناد . فكيف يقال إن الآية ، اقتضت تقريراً لهم ؟ معاذ الله من هذا الزعم الباطل .

وانما الآية اقتضت البراءة المحضة كما تقدم ، وأن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبداً ، فانه دين باطل فهو مختص لا نشرككم فيه ، ولا أنتم تشركوننا في ديننا الحق .

« فهذه غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم ، فأين الاقرار حتى يدعي النسخ أو التخصيص ؟ !

أفترى اذاً جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح أن يقال : لكم دينكم ولي دين ؟

بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يطهر الله منهم عباده وبلاده . وكذلك حكم هذه البراءة بين اتباع الرسول ﷺ أهل سنته وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به ، الداعين إلى غير سنته اذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته لكم دينكم ولنا ديننا لا يقتضي هذا أقرارهم على بدعتهم ، بل يقولون لهم هذه براءة منها . وهم مع هذا منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الامكان[١٣٥] .

وزاد هذا الأمر ايضاحاً وبياناً : شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فقال : « قوله تعالىٰ ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ اللام في لغة العرب يدل على الاختصاص فأنتم مختصون بدينكم لا أشرككم فيه ، وأنا مختص بديني لا تشركونني فيه كما قال تعالىٰ : ﴿ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ ﴾

(١٣٥) بتصرف بسيط : بدائع الفوائد ١٣٨/١ - ١٤١ .

مِّمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ

٤١ يونس .

وليس في هذه الآية أنه رضي بدين المشركين ، ولا أهل الكتاب ، كما يظنه بعض الملحدين ، ولا أنه نهى عن جهادهم كما ظنه بعض الغالطين ، وجعلوها منسوخة . بل فيها براءته من دينهم ، وبراءتهم من دينه ، وأنه لا تضره أعمالهم ، ولا يجزون بعمله ولا ينفعهم . وهذا أمر محكم لا يقبل النسخ ، ولم يرض الرسول بدين المشركين ، ولا أهل الكتاب طرفة عين قط .

« ومن زعم أنه رضي بدين الكفار ، واحتج بقوله تعالى :

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝
وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝
وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ

١ ـ ٦ الكافرون .

فظن هذا الملحد أن قوله ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ معناه أنه رضي بدين الكفار ، ثم قال هذه الآية منسوخة فيكون قد رضي بدين الكفار ، فهذا من أبين الكذب والافتراء على محمد ﷺ ، فانه لم يرض قط الا بدين الله الذي أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه . . ونظير هذه الآية قوله تعالى

وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ

مِّمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ

٤١ يونس .

وقوله تعالىٰ

فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ
كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ

١٥ الشورى . .

واذا كان الله سبحانه قد قال :

وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا
تَعْمَلُونَ

٢١٥ ـ ٢١٦ الشعراء .

فبرأ من معصية من عصاه من أتباعه المؤمنين ، فكيف لا يبرئه من كفر الكافرين الذين هم أشد له معصية ومخالفة ؟ »[١٣٦] .

(١٣٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٢/ ٣٠ ـ ٣٢ .

ورحم الله عبد الله بن عباس حين قال في شأن هذه السورة « ليس في القرآن أشد غيظاً لأبليس منها ، لأنها توحيد وبراءة من الشرك »(١٣٧) وقال الأصمعي : كان يقال لـ « قل يا أيها الكافرون » و « قل هو الله أحد » المقشقشتان . أي أنهما تبرئان من النفاق(١٣٨) .

فرج من الله قريب

قال ابن اسحاق : « فلما أراد الله عزّ وجلّ اظهار دينه واعزاز نبيه ﷺ ، وانجاز موعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً ، فقال لهم ﷺ من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن . . فقال بعضهم لبعض : يا قوم تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه . فأجابوه فيما دعاهم اليه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام . وقالوا : انا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي اجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ، ثم انصرفوا الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا ، فلما قدموا المدينة ذكروا لقومهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الاسلام حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ »(١٣٩) .

أجل : بعد كل ذلك العناء وتلك المصابرة هيأ الله اللطيف الخبير من ينصر هذا الدين ويعلي كلمته ، وينشره في الأرض بعد أن آوى رسول الله وأصحابه الأوائل . انه لشرف دونه كل شرف أن يُسمّوا « الأنصار » أنصار الله ، أنصار

---

(١٣٧) ، (١٣٨) تفسير القرطبي ٢٠/٢٢٥ .

(١٣٩) السيرة لابن هشام ٢/٧٠ ـ ٧١ .

نبيه ، أنصار دينه ، أنصار عباده المؤمنين ، وليسوا أنصار الجاهلية وطواغيتها وجبابرتها الذين هم في أعين الناس كبار وهم في حقيقة الأمر صغار وأقزام !!

ولما كان العام المقبل وصل إلى مكّة من الانصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة الأولى فبايعوه ، وكانت البيعة على الاسلام وأرسل معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير(١٤٠) رضي الله عنه يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم في الدين ، ويؤمهم في الصلاة(١٤١) . .

وقدم مصعب رضي الله عنه ومعه وفد كريم من الانصار في موسم الحج فكانت بعية العقبة الكبرى « حيث تساءلوا وهم خارجون من المدينة : حتى متى نترك رسول الله يطوف ويطرد في جبال مكّة ويخاف ؟

« لقد بلغ الايمان أوجه في هذه القلوب الفتية ، وآن لها أن تنفس عن حماسها ، وأن تفك هذا الحصار الخانق المضروب حول الدعوة والداعية(١٤٢) .

صيغة البيعة

تكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الاسلام ثم قال : « أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم » ، فأخذ البراء

---

(١٤٠) هو مصعب بن عمير بن هاشم نشأ في بيت ثري ، مدللاً غاية الدلال ، كان يعرف بأنه أعطر أهل مكّة ثم أسلم فانقلبت تلك النعومة إلى خشونة ورجولة كان من السابقين للاسلام ومن المهاجرين للحبشة في الهجرة الأولى ، ثم هاجر للمدينة ، وشهد بدراً وحمل اللواء في أحد فاستشهد ، وفي الصحيح أن مصعباً لم يترك الا ثوباً فكان اذا غطوا رأسه خرجت رجلاه ، واذا غطوا رجليه خرج رأسه فقال رسول الله ﷺ « اجعلوا على رجليه شيئاً من الأذخر » ، انظر صحيح البخاري كتاب الجنائز ١٤٢/٣ ح ١٢٧٦ والاستيعاب لابن عبد البر ج ٤٦٨/٣ والاصابة لابن حجر ج ٤٢١/٣ ومصعب بن عمير للاستاذ محمد بريغش وغير ذلك من كتب السير .

(١٤١) ابن هشام ٧٦/٢ .

(١٤٢) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ١٥٧ .

بن معرور[١٤٣]بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا[١٤٤] فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة[١٤٥] ، ورثناها كابراً عن كابر . فاعترض أبو الهيثم بن التيهان[١٤٦] فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً وانا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : « بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وانتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم »[١٤٧] .

قال ابن هشام : الهدم الهدم : يعني الحرمة ، أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم[١٤٨] .

ثم قام : اسعد بن زرارة[١٤٩] فقال : رويداً يا أهل يثرب : فانا لم نضرب اليه أكباد الابل الا ونحن نعلم أن رسول الله ، وان اخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة ، وقتل خياركم وان تعضكم السيوف ، فاما انتم قوم تصبرون على ذلك

---

(١٤٣) هو البراء بن معرور الخزرجي الانصاري أول من بايع وأول من استقبل القبلة وأول من أوصى بثلث ماله ، وأحد النقباء من الاثني عشر . انظر الاصابة ج ١٤٤/١ والاعلام للزركلي ٤٧/١ ط ٤ . والحديث في المسند ٤٦١/٣ .

(١٤٤) أي نساءنا .

(١٤٥) أي السلاح .

(١٤٦) أبو الهيثم بن التيهان : مالك بن عتيك الانصاري الأوسي : احد النقباء . آخى النبي ﷺ وبينه وبين عثمان بن مظعون وشهد المشاهد كلها وهو القائل في رثاء رسول الله ﷺ « لقد جدعت آذاننا وأنوفنا غداة فجعنا بالنبي محمد » توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة سنة عشرين . انظر الاستيعاب ٢٠٠/٤ الاصابة ٢١٢/٤ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ تحقيق ثروت عكاشة والاعلام للزركلي ٢٥٨/٥ .

(١٤٧) ، (١٤٨) السيرة لابن هشام : ٢/ ٨٤ - ٨٥ والحديث في المسند ج ٢٧٤/٢ طبعة الساعاتي مع الفتح الرباني .

(١٤٩) اسعد بن زرارة . أبو امامة الانصاري الخزرجي النجاري ، شهد العقبتين وكان نقيباً على قبيلته . ذكر الواقدي أنه مات على رأس تسعة أشهر من الهجرة . وقال البغوي : بلغني أنه أول من مات من الصحابة بعد الهجرة وانه أول ميت ﷺ. قال ابن حجر : وقد اتفق أهل المغازي والتواريخ انه مات في حياة النبي ﷺ قبل بدر . الاصابة ٣٤/١ .

فخذوه واجركم على الله ، واما انتم قوم تخافون من أنفسكم جبنة فبينوا ذلك ، فهو أعذر لكم عند الله ، فقالوا يا أسعد : أمط عنا بيدك ، فوالله لانذر هذه البيعة ولا نستقيلها ، ثم قاموا اليه رجلاً رجلاً فبايعوه(١٥٠) .

أجل : (انه الايمان بالله والحب فيه ، والاخوة على دينه ، والتناصر باسمه ، ذلك كله كان يتدافع في النفوس المجتمعة في ظلام الليل بجوار مكة السادرة في غيها ، يتدافع ليعلن أن أنصار الله سوف يحمون رسوله كما يحمون أعراضهم ، وسوف يمنعونه بأرواحهم ، فلا يخلص اليه أذى وهم أحياء)(١٥١) .

ترى : أي صورة أعظم من هذه الصورة لهذا الولاء الصادق ؟ لقد كانت بيعة على دين الله ومرضاته . وانظر إلى رد المصطفى ﷺ « بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » هذه هي الصلة الحقيقية والوشيجة الصادقة لعلاقة المسلم بأخيه المسلم . لقد أصبح الدم واحداً . « أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » وهكذا تنقطع علائق الدم الجاهلي والتناصر الجاهلي والولاء الجاهلي ليحل محلها الولاء الاسلامي والوقوف في الصف الاسلامي والبراءة من الكفر وأهله واعتناق الاخوة الجديدة التي أمر الله بها . انها البديل الصالح لتلك الوشائج الجاهلية كما قال ﷺ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »(١٥٢) .

وهكذا نصل إلى معرفة ما فعل الله بنبيه ودعوته ومن معه ، وما هيأ لهم من النصرة والمنعة والدار التي يقام فيها حكم الله وشريعته ومنهاجه في الأرض . أرض الانصار . أرض الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

فالى صورة جديدة مشرقة للولاء في العهد المدني .

---

(١٥٠) مسند احمد ٣ /٣٢٢ ، ٣٣٩ ، ٣٩٤ والحاكم ٦٢٤/٢ - ٦٢٥ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٩ .

(١٥١) فقه السيرة للشيخ الغزالي ص ١٦١ .

(١٥٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب ٤٤٢/١٠ ح ٦٠٢٦ وصحيح مسلم كتاب البر والصلة ج ١٩٩٩/٤ ح ٢٥٨٥ .

الفصل السادس

الولاء والبراء في العهد المدنـي

لما أراد الله اظهار دينه ، واعزاز عبده ورسوله محمد ﷺ ومن معه ، أمره بالهجرة لتكون مبدأ فاصلاً بين الحق والباطل ، وبين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان(١٥٣) .

ولقد كانت الهجرة ايذاناً من المولى جلّ وعلا بقرب وعده الذي وعد به المؤمنين وهو وعد دائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالىٰ

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى
شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ

٥٥ النور .

ولقد وقع هذا التمكين الرباني بالفعل ولذلك نجد القرآن يذكّر المؤمنين بهذا

(١٥٣) انظر زاد المعاد ٣/٤٣ تحقيق الأرنؤوط .

التمكين والنصر فيقول

﴿وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

٢٦ الانفال .

وسيبقى هذا الوعد بالتمكين ما دام المسلمون ملتزمون بالشرط وهو عبادته وحده لا شريك له .

نبـذة تاريخية

لما أذن الله بالهجرة : خرج المسلمون الى المدينة زرافات ووحدانا ، ولم يبق بمكة منهم الا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعليّ حيث أقاما بأمر منه ﷺ والا من احتبسه المشركون كرهاً .

ولما رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ قد تجهزوا ، وخرجوا وساقوا الذرارى والأطفال والأموال الى المدينة ، وعرفوا أنها دار منعة ، وأن أهلها أهل حلقة وشوكة وبأس : خافوا خروج رسول الله ﷺ ولحقوه بهم حيث سيشتد أمره وتقوى شوكته ، فلذلك اجتمعوا في دار الندوة ولم يتخلف أحد من أهل الرأي والحجا منهم ليتشاوروا في أمره .

وخرجوا من ذلك الاجتماع برأي واحد : وهو أن يقوم من كل قبيلة شاب ثم يضربوه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه في القبائل .

ولكن حماية الله ونصرته لنبيه ﷺ أكبر من مكر أولئك المجرمين ، فقد نزل جبريل عليه السلام على المصطفى ﷺ يأمره أن لا ينام فى مضجعه تلك الليلة .

وخرج رسول الله ﷺ ومعه صاحبه الامين أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وبقي عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه ، حيث نام تلك الليلة في فراش المصطفى ﷺ . وينتهي الأمر بخسارة وذلة (الملأ) من قريش[١٥٤] .

ووصل المصطفى ﷺ إلى دار الهجرة ، دار النصرة والمنعة ، حيث وجد « أنصار الله » فكانت هذه الهجرة نصراً للمؤمنين المهاجرين الذين وجدوا من يؤويهم وينصرهم ويشاركهم الأموال والمساكن وحتى الأزواج !! وكانت نصراً أيضاً للأنصار حيث قُضي على الأحن والأحقاد الجاهلية بين أوسهم وخزرجهم ، وعلى كيد اليهود الذين كانوا يشيعون بينهم الفرقة والفتنة .

وكان أول عمل قام به رسول الله ﷺ في المدينة هو بناء المسجد . لينطلق منه النداء الرباني « الله أكبر الله أكبر » وليكون هذا المسجد الطاهر هو الملتقى التربوي للأمة المسلمة يتلقون فيه وحي الله عن رسول الله ، ويتعلمون أمور دينهم ، وهذا المسجد هو أيضاً مكان القيادة العسكرية الاسلامية التي انطلقت للجهاد في سبيل الله .

وبعد ذلك : « آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك ، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار آخى بينهم على المواساة ، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام الى حين وقعة بدر ، فلما أنزل الله عز وجلّ

وَأُولُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ

٦ الأحزاب ،

رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة »[١٥٥] .

إن هذه الاخوة الايمانية هي الوشيجة العظمى ، والرابطة الفريدة في علاقات البشر بعضهم مع بعض ، فلقد أحس كل مؤمن - كما يقول الاستاذ محمد قطب -

(١٥٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٢/١٢٤ - ١٢٧ وزاد المعاد ٣/٥٠ - ٥١ .
(١٥٥) زاد المعاد ٣/٦٣ .

سواء كان مهاجرياً أم انصارياً برباط جديد يربطه بأخوته في الله ، فكل واحد منهم يحب أخاه كحبه لنفسه ، مع أنه ليس من قبيلته ولا بينهما آصرة دم بل أن آصرة الدم ـ حين كانت في الجاهلية ـ لم تكن تنشىء في نفس أحدهم ذلك الحب الصافي العجيب الذي يحسه الآن لأخيه في العقيدة .

ترى ما الفرق بين لقاء الجاهلية ولقاء الاسلام ؟

لماذا لا توجد هذه المشاعر الا على العقيدة ؟

والجواب : أن الأمر ليس سراً ، ولا سحراً ، ولكنه الاسلام يلتقي فيه الناس على العقيدة في الله ، لأن كلا منهم يحب الله ورسوله ، فلا تكون ذواتهم بارزة ولا متوفرة لاقتناص المصلحة من الآخر كما هي الحال في العلاقات الجاهلية ، وانما الجانب البارز هو الحب في الله(١٥٦) .

وقفة عند المؤاخة بين المهاجرين والأنصار

إن هذه الاخوة جديرة بالدراسة والاعتبار . ذلك أنه نتج عنها أمور عظيمة في حياة المسلمين سواء في مستوى « الأمة والدولة » أم على مستوى الأفراد .

فأما ما يتعلق بهم أمة : فقد كانت هذه المؤاخاة هي الركيزة الاساسية في تكوين مفهوم « الأمة المسلمة » أمة التقت على العقيدة في الله ، وعاشت لأجل تلك العقيدة وليس لرابطة الدم أو الحسب والنسب ، أو الأرض أو اللون أو اللغة ، أو الجنس فيها أي حساب يذكر إذا تعارض ذلك مع العقيدة . والله سبحانه وتعالىٰ هو صاحب المنة والفضل في ذلك فهو القائل :

وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ
وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ

---

(١٥٦) بتصرف : منهج التربية الاسلامية : ٢/٤٠ ـ ٤١ .

قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

١٠٣ ـ ١٠٥ آل عمران .

لقد أصبح المؤمنون أولياء بعضهم البعض ، كل منهم يحب أخاه كحبه لنفسه ، ويناصره ويجاهد من أجله ، ويؤثر على كل قريب وحبيب من مال أو أهل أو عشيرة أو ولد

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ

٧١ التوبة .

واشتد كيانهم فكانوا كالجسد الواحد « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبّك ﷺ بين أصابعه »[(١٥٧)] وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمي »[(١٥٨)] .

---

(١٥٧) صحيح البخاري كتاب الأدب ج ١٠/٤٥٠ ح ٦٠٢٦ وصحيح مسلم كتاب البر ٤/١٩٩٩ = ٢٥/٥ .

(١٥٨) صحيح البخاري كتاب الأدب ١٠/٤٣٨ ح ٦٠١١ ومسلم كتاب البر ٤/١٩٩٩ ح ٢٥٨٦ واللفظ للبخاري .

ولقد اثنى الله سبحانه وتعالىٰ على المهاجرين والانصار . فقال سبحانه عن المهاجرين

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ

٨ الحشر .

ثم يثني سبحانه على الانصار بقوله :

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

٩ الحشر .

بل ان الأمر أصبح أكبر من ذلك . فهؤلاء الانصار الذين آووا رسول الله ﷺ ، ومن معه وآزروهم ونصروهم وبذلوا لهم النفس والنفيس ابتغاء رضوان الله قد أصبح حبهم من العقيدة التي يدين بها المسلم ربه ، وبغضهم وكراهيتهم نفاق ففي الحديث الصحيح « آية الايمان حب الانصار ، وآية النفاق بغض الأنصار »(١٥٩) .

(١٥٩) صحيح البخاري كتاب الايمان ٦٢/١ ح ١٧ وصحيح مسلم كتاب الايمان ٨٥/١ ح ٧٤ . واللفظ للبخاري .

وقال ﷺ « الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله »[١٦٠] .

وبهذه الأخوّة تكون « المجتمع الاسلام » ذلك المجتمع الذي تظلله راية لا إله إلا الله وتحكمه الشريعة الربّانية ، ويسوده الحب والتفاني ، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر ، الجهاد رهبانيته ، والدعوة الى الله سبيله ومنهاج حياته ، القوي فيه ضعيف حتى يؤخذ الحق منه ، والضعيف فيه قوي حتى يأخذ حقه ، ولاؤه لله ورسوله والمؤمنين وبغضه وكراهيته لأعداء الله ولو كانوا أقرب قريب ، وجدوا حلاوة الايمان وطعمه ، وعرفوا الكفر وأهله حتى أن أحدهم يحب أن يلقى في النار ولا يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما قال ﷺ - وهذا ما تحقق فيهم - « لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لا يحبه الا الله ، وحتى أن يقذف في النار أحب اليه من أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله وحتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما »[١٦١] .

وبهذه المؤاخاة الايمانية وجد « التكافل الاجتماعي » وبرزت فيه صور خالدة لم توجد قط إلا فيه وحده !!

ومنها ما رواه البخاري انهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، فقال سعد لعبد الرحمن : اني أكثر الانصار مالاً ، فأقسم مالي نصفين ! ولي امرأتان فانظر إلى عجبهما اليك فسمها لي أطلقها ، فاذا انقضت عدتها فتزوجها !! قال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، اين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ، ثم تابع الغدو حتى جاء يوماً وبه أثر صفرة ، فقال النبي ﷺ : « مهيم » ؟ قال : تزوجت . قال : « كم سقت اليها » ؟ قال : نواة من ذهب[١٦٢] (وان اعجاب المرء بسماحة سعد لا يعدله الا اعجابه بنبل عبد الرحمن

---

(١٦٠) صحيح البخاري كتاب المناقب ١١٣/٧ ح ٣٧٨٣, وصحيح مسلم كتاب الايمان ٨٥/١ ح ٧٥ . واللفظ للبخاري .

(١٦١) صحيح البخاري كتاب الأدب ٤٦٣/١٠ ح ٦٠٤١ وصحيح مسلم كتاب الايمان ٦٦/١ ح ٤٣ واللفظ للبخاري .

(١٦٢) صحيح البخاري كتاب مناقب الانصار ٧ك١١٢ ج ٣٧٨٠ .

الذي زاحم اليهود في سوقهم وبزهم في ميدانهم ، واستطاع بعد أيام أن يكسب ما يعف به نفسه ويحصن به فرجه ، ذلك أن علو الهمة من خلائق الايمان)[١٦٣] .

وخلاصة القول : إن هذه المؤاخاة (كات تدريباً عملياً على الاخوة الاسلامية التي تبعثها تلك العقيدة في نفوس المؤمنين بها « انما المؤمنون اخوة » ١٠ الحجرات ، وكان تدريباً ناجحاً فذاً في نجاحه ، فريداً في التاريخ .

وكانت كذلك تدريباً عملياً على « التكافل » وهو معنى من المعاني العميقة في بناء الجماعة الاسلامية . القادرون يكفلون غير القادرين على أساس الاخوة في الله من جانب وعلى أساس التصرف في مال الله بما يرضي الله من جانب آخر)[١٦٤] .

سمات الولاء والبراء في العهد المدنـــي

لئن كانت سمات العهد المكي - كما سبق القول في ذلك - هي : بيان الحجة واقامتها . والصبر على الأذى وكف الأيدي ، والهجر الجميل ، فان ذلك كان لحكمة ربّانية ، منها : أن ذلك كان لتربية الأمة على هذا الدين الحنيف ، وصقل النفوس على ضوء منهاجه ، والتقيد الكامل بأمر الله ورسوله في الفعل والترك على حد سواء .

ولكن الأمر أخذ صورة أخرى في العهد المدني ، فمن الهجرة إلى المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ، إلى قيام الدولة المسلمة إلى الجهاد في سبيل الله وهيمنة الشريعة الاسلامية .

وأول ما نذكره في هذا العهد : هو الوثيقة التي كتبها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والانصار ، ومن تبعهم ، حيث وادع فيها اليهود ، وعاهدهم ، وتركهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم . وقد أوردها ابن اسحاق

---

(١٦٣) فقه السيرة للشيخ الغزالي ص ١٩٣ .

(١٦٤) منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ٢/٦٩ .

دون سند[١٦٥] وأوردها الامام أحمد في مسنده[١٦٦] ، وأوردها أصحاب السير والمغازي .

على أنني سأقتصر على بعض فقراتها التي تخص موضوع الموالاة . جاء في أولها : « بسم الله الرحمٰن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم ، أنهم أمة واحدة من دون الناس »[١٦٧].

« . . . وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن من دونه ، وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[١٦٨] ظلم ، أو اثم أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وان أيديهم عليه جميعاً . ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وان سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم » .

« وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ، وانه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل . وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده إلى الله عزّ وجلّ والى محمد ﷺ وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين »[١٦٩] .

وهذه الوثيقة هي الصورة الصادقة لحقوق الانسان « حيث وردت بما يجعل المجتمع الاسلامي مجتمعاً متلاحماً متماسكاً ، وكفلت ـ أيضاً ـ حقوق أهل الديانات الأخرى ما داموا يعيشون تحت مظلة الحكم الاسلامي .

---

(١٦٥) السيرة النبوية لابن هشام ١٤٧/٢ .

(١٦٦) المسند بشرح البنا : ١٠/٢١ .

(١٦٧) السيرة لابن هشام : ١٤٧/٢ .

(١٦٨) الدسيعة : العظيمة .

(١٦٩) السيرة لابن هشام ١٤٨/٢ ـ ١٤٩ .

وقد لخص الامام ابن القيم رحمه الله صورة المجتمع المدني آنذاك بقوله : (لما قدم النبي ﷺ المدينة صار الكفار معه ثلاثة أقسام : قسم صالحهم ووادعهم على الا يحاربوه ، ولا يظاهروا عليه ، ولا يوالوا عليه عدوه وهم على كفرهم ، آمنون على دمائهم وأموالهم .

وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة .

وقسم تاركوه ، فلم يصالحوه ولم يحاربوه ، بل انتظروا ما يؤول اليه أمره وأمر أعدائه ، ثم من هؤلاء من كان يحب ظهوره وانتصاره في الباطن ، ومنهم من كان يحب ظهور عدوه عليه وانتصارهم ، ومنهم من دخل معه في الظاهر وهو مع عدوه في الباطن ، ليأمن الفريقين وهؤلاء هم المنافقون .

فعامل كل طائفة من هذه الطوائف بما أمره به ربّه تبارك وتعالى »[١٧٠] .

* * *

وقد اتضح لي من خلال هذا البحث أن هناك ثلاثة أمور هامة هي سمات هذا العهد :

(١) كيد أهل الكتاب للاسلام (ثم النهي والتحذير من موالاتهم وطاعتهم) .
(٢) ظهور النفاق والمنافقين .
(٣) البراء من هؤلاء وأولئك : أي المفاصلة التامة بين المسلمين وأعدائهم ولها صور ترد في موضعها .

أولاً : كيد أهل الكتاب للاسلام وتحذير المسلمين من موالاتهم

تتفق نظرة المنصفين الباحثين في التاريخ اليهودي : أن اليهود أمة حاقدة ، الخداع طبعها ، والغدر ديدنها ، ومحادة الله ورسله خلقها ، ولحكمة الله يعلمها انتقلت الرسالة من بين اسرائيل فكان خاتم الأنبياء هو محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي ﷺ وقد كان كيد اليهود - خاصة - قد بدأ منذ أن كان رسول الله

(١٧٠) زاد المعاد ١٢٦/٣ .

ﷺ في مكّة حيث كانت تعاون قريشاً في أسئلة العناد التي توجه للمصطفى ﷺ ، وذلك مثل قولهم لقريش : أسألوه عن الروح ، وعن أصحاب الكهف ، وغير ذلك مما هو معلوم من سورة الكهف .

ولما هاجر رسول الله ﷺ ومن معه إلى المدينة ، قامت قيامة اليهود ، فلم يهدأ لهم بال ، ولم يهنأ لهم عيش . ذلك أن قيام الدولة المسلمة في الأرض له أثره الكبير عليهم ، فالاسلام هو الذي يكسر شوكتهم ، ويفضح مكنوناتهم ، ويحرر الناس من شرورهم ، ويمزق شملهم وسيطرتهم وجبروتهم . ومن هنا لم يفتأوا يكيدون للاسلام ورسوله والمؤمنين ، وينصبون العراقيل في وجه من يريد الاسلام وولد النفاق والمنافقون في احضانهم ، وخانوا لله ورسوله فلم يتقيدوا بالوثيقة الآنفة الذكر ، وغدروا بالمسلمين فوالوا المشركين والكفار ، وآذوا رسول الله ﷺ وهموا بما لم ينالوا .

ولذلك عني القرآن المدني وخاصة أكبر سوره ـ وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ـ بكشف سترهم وفضحهم ، وبيان كيدهم . والآيات الكريمة في هذا كثيرة جداً ولكنني أورد طرفاً منها هنا . ليتضح (للمسلمين) المخدوعين بهم اليوم ، الذين يوالونهم ويبجلونهم بل يقتدون بهم . ما عليه أعداء الله الذين هم قتلة الأنبياء ودعاة الفساد في الأرض .

قال تعالىٰ :

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ
لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم
مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ
بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ

١٠٩ البقرة .

وفي سورة آل عمران

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ
لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

٦٩ آل عمران .

وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ
ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

٧٢ آل عمران .

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ
مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

١٣٥ البقرة .

مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن
رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ
ٱلْعَظِيمِ

١٠٥ البقرة .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ
قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ

١١٨ آل عمران .

فهذه الآيات وغيرها مما في مثل معناها : تبين كيدهم وما يتربصون به للاسلام وأتباعه . ولذلك جاءت آيات كثيرة في تحذير المؤمنين ونهيهم عن الاستماع للكفار عامة ولأهل الكتاب خاصة ، أو طاعتهم ، أو اتخاذهم أولياء ، أو الركون اليهم . وسأقتصر هنا أيضاً على بعض هذه الآيات لأنه سيأتي مزيد من تفصيل هذا في الفصل التالي إن شاء الله حول صور الموالاة .

قال تعالى

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ
تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ
أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ

١٢٠ البقرة .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ
أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ
ٱلنَّـٰصِرِينَ

١٤٩ ـ ١٥٠ آل عمران

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ١٠٠ - ١٠١ آل عمران .

ورد في سبب نزول هاتين الآيتين : ان شاس بن قيس اليهودي ـ وكان شيخاً قد غبر في الجاهلية ، عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم ـ مر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج ، في مجلس جمعهم ، يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم ، وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة فقال : قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا بها من قرار ! فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال : اعمد اليهم فاجلس معهم ، ثم ذكرهم بعاث ـ أحد أيامهم في الجاهلية ـ وما كان فيه ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولو فيه من الاشعار ، ففعل . وتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين ، فتقاولا ، وقال أحدهما لصاحبه : ان شئت رددتها جذعة ! وغضب الفريقان جميعاً وقالا : ارجعا السلاح السلاح ، موعدكم الظاهرة ـ وهي الحرة ، فخرجوا اليها ، وانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية .

وبلغ رسول الله ﷺ ذلك فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين ، حتى جاءهم فقال : (يا معشر المسلمين : الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ هداكم الله إلى الاسلام وأكرمكم به ،وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون الى ما كنتم عليه كفاراً !!) . فعرف القوم انها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله

فانزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب ﴾ الآية .

قال جابر بن عبد الله ، ما كان طالع أكره الينا من رسول الله ﷺ ، فأومأ الينا بيده ، فكففنا وأصلح الله تعالىٰ ما بيننا ، فما كان شخص أحب الينا من رسول الله ﷺ ، فما رأيت يوماً أقبح ولا أوحش أولا وأحسن آخر من ذلك اليوم(١٧١) .

ويوجه الله عباده المؤمنين ويرشدهم ـ بعد أن ذكر قصة بني اسرائيل مع موسى عليه السلام في قصة ذبح البقرة ـ بقوله :

أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

٧٥ ـ ٧٧ البقرة .

---

(١٧١) انظر : تفسير الطبري ٢٣/٤ وأسباب النزول للواحدي ص ٦٦ وأحكام القرآن للقرطبي ١٥٥/٤ . وتفسير البغوي ٣٨٩/١ .

وقد بذلت جهدي في تخريج الحديث من المصادر الأصلية فلم أعثر على ذلك فجزى الله من وجد تخريج هذا الحديث ونبهني إلى ذلك خير الجزاء .

ثم يأتي التحذير الأقوى في سورة المائدة

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ

٥١ المائدة .

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

٥٥ ـ ٥٧ المائدة .

إن هذه النصوص وغيرها : قد ربت المسلمين على معرفة كيد أهل الكتاب للاسلام والمسلمين ، فقطعت ما في نفوس بعض المسلمين من ود وولاء لهؤلاء الأعداء ، من اجل أن يكون الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين فقط .

ثانياً : النفاق والمنافقــون

إن المؤمنين في العهد المكي كانوا مبتلين ، يعذبون ، ويضطهدون ومع ذلك صبروا واحتسبوا فلم يكن في مكّة حينئذ الا فريقان : فريق المؤمنين الصابرين ،

وفريق الكفار والمشركين الجبابرة ولم يكن هناك « منافقون » لأن النفاق طبيعته المراوغة والاحتيال وهذا الدين لم يكن يقدر عليه في مكّة الا المؤمنون الصادقون .

أما في المدينة ، وبعد قيام دولة المسلمين وهيمنة حكم الله وشرعه فقد وجد المنافقون وهذا أمر معهود من أصحاب النفوس الضيعفة الجبانة ، التي تخاف السلطة الاسلامية فتظهر لها الاسلام ، وتحب الكفر وأهله ولكنها لا تجرؤ على المصارحة به .

والمنافقون : (قوم أظهروا الاسلام ومتابعة الرسل ، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله ، فهم في الدرك الاسفل من النار كما قال تعالىٰ :

إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا

١٤٥ النساء .

« فالكافرون المجاهرون أخف منهم ، وهم فوقهم في دركان النار ، لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله ، وزاد عليهم المنافقون بالكذب والنفاق . وبلية المسلمين بهم عظم من بليتهم بالكفار المجاهرين ولهذا قال تعالى في حقهم :

هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ

٤ المنافقون .

ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر . أي : لا عدو الا هم ، ولكن لم يردها هنا حصر العداوة فيهم ، وانهم لا عدو للمسلمين سواهم ، بل هذا من اثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف ، وانه لا يتوهم بانتسابهم الى المسلمين ظاهراً ، وموالاتهم لهم ومخالطتهم إيّاهم انهم ليسوا بأعدائهم ، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار ، ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها .

« فان ضرر هؤلاء المخالطين المعاشرين لهم ـ وهم في الباطن على خلاف دينهم ـ أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم . لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر ، أما هؤلاء فمعهم في الديار والمنازل صباحاً ومساء ، يدلون العدو على عوراتهم ، ويتربصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم . . صحبتهم توجب العار والشنار ، ومودتهم تحل غضب الجبار ، وتوجب دخول النار .

«من علقت به كلاليب كلبهم ومخاليب رأيهم مزقت منه ثياب الدين والايمان وقطعت له مقطعات من البلاء والخذلان ، فهو يسحب من الحرمان والشقاوة أذيالاً ، ويمشي على عقبه القهقرى إدباراً منه وهو يحسب ذلك اقبالاً »[١٧٢] .

وكان من نعمة الله سبحانه وتعالىٰ على هذه الأمة أن لا يتركها مختلطة بغير تمييز بين المؤمن والمنافق ، ذلك أن عدم التمييز يؤدي إلى ضياع القدوة الحسنة في المجتمع الاسلامي ، ويؤدي أيضاً إلى ذوبان الصورة الصادقة للمسلم الصادق .

« وفي المنتسبين للاسلام أناس « نفعيون » لا هم لهم الا الحصول على المال أو أي مأرب من مآربهم الدنيئة ، فاذا انتصر المؤمنون كانوا معهم ، واذا أصيبوا كانوا عليهم ، ثم ان منهم أصحاب الأهداف الخبيثة والأغراض الهدامة ممن قد امتلأت قلوبهم بالحقد والحسد ، فهم يتربصون بالمسلمين الدوائر ، ويتظاهرون لهم بأنهم معهم ، ولكنهم يخونوهم في أحرج المواقف »[١٧٣] .

ولما كان الأمر كذلك ميز الله الصادق من الكاذب عن طريق الابتلاء

(١٧٢) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص ٤٠٢ ـ ٤٠٨ الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥ هـ السلفية بمصر .

(١٧٣) المنافقون في القرآن الكريم للاستاذ عبد العزيز الحميدي ص ١١٦ .

والامتحان قال تعالىٰ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ

١ ـ ٣ العنكبوت .

إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ

١٤٠ ـ ١٤١ آل عمران .

مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ

١٧٩ آل عمران .

أجل : انه لا بد من التمييز بين الخبيث والطيب ، فالابتلاء سنة ربانية في تمحيص النفوس وصقلها على الحق ، ثم إن الله سبحانه يجب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء ، وفي حال العافية والبلاء ، فلله سبحانه على العباد

في كلتا الحالين عبودية بمقتضى الحال .. لا تحصل الا بها ، ولا يستقيم القلب بدونها ، كما لا تستقيم الابدان الا بالحر والبرد ، والجوع والعطش ، والتعب والنصب ، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الانساني والاستقامة المطلوبة منه(١٧٤) .

والحديث عن المنافقين طويل طويل وقد كتب فيه في القديم والحديث(١٧٥) .

وسبق لي في التمهيد أن تكلمت عن أنواع النفاق وأحكامه ، وأتكلم هنا عن أبرز أفعال وصفات المنافقين في كيدهم للدعوة الاسلامية .

(١) من أخطر ما ارتكبه المنافقون : موالاة اليهود والنصارى ضد المسلمين وقد فضحهم القرآن في عدة مواضع ومنها سورة الحشر ، قال تعالىٰ :

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ
لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ
لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ
لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ

١١ ـ ١٢ الحشر .

وقال تعالىٰ :

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ

---

(١٧٤) انظر : اغاثة اللهفان لابن القيم / ١٩٠ تحقيق الفقي .

(١٧٥) هناك رسالة قيمة للاستاذ عبد العزيز الحميدي بعنوان المنافقون في القرآن لعلها من احسن ما كتب في هذا الموضوع . وهي موجودة بالدراسات العليا الشرعية بكلية الشريعة بمكّة المكرمة وانظر أيضاً كتاب : النفاق آثاره ومفاهيمه للشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله .

عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤ المجادلة .

ذكر السدي ومقاتل : انها نزلت في عبد الله بن أبيّ وعبد الله بن نبتل المنافقين : فقد كان احدهما يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه الى اليهود.(١٧٦) . وهذه الآية كقوله تعالى :

مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ
لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن
تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ١٤٣ النساء .

ولقد نزلت سورة كاملة فيهم هي سورة « المنافقون » بيّن الله فيها انهم يظهرون ما لا يبطنون ، وانهم يحرضون على اضعاف صف المسلمين

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ
عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
٧ المنافقون .

وفيها أيضاً

يَقُولُونَ
لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ
وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
لَا يَعْلَمُونَ
٨ المنافقون .

---

(١٧٦) أسباب النزول للواحدي ص ٢٣٥ وتفسير القرطبي ٣٠٤/١٧ .

روى البخاري ومسلم في سبب نزولها عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « كنا غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الانصار ، فقال الانصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فقال رسول الله ﷺ « ما بال دعوى الجاهلية ؟ قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الانصار ، فقال : « دعوها فانها منتنة » فسمعها عبد الله بن أبيّ فقال : قد فعلوها ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق : قال ﷺ « دعه . لا يتحدث الناس ان محمداً يقتل أصحابه »(١٧٧) .

قال محمد بن اسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة : أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لما بلغه ما كان من أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله : انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلاً فمرني به ، فأنا أحمل اليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالديه مني ، أني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله ابن أبي يمشي في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ « بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا »(١٧٨) .

وذكر عكرمة وغيره : أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي على باب المدينة ، واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبيّ قال له ابنه : وراءك ، فقال : مالك ويلك ؟ قال : والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ - وكان انما يسير ساقة -(١٧٩) فشكى اليه عبد الله بن أبيّ ابنه ، فقال الابن : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له ، فأذن له رسول الله ﷺ ، فقال : أما اذ أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن(١٨٠) .

---

(١٧٧) صحيح البخاري كتاب التفسير ٨/٦٥٢ ح ٤٩٠٧ وصحيح مسلم كتاب البر ٤/١٩٩٩ ح ٢٥٨٤ واللفظ له .

(١٧٨) السيرة لابن هشام ٢/٢٩٢ وتفسير ابن كثير ٨/١٥٩ ولم يخرجه - فيما أعلم - الا ابن اسحاق .

(١٧٩) من صفته ﷺ انه يسوق أصحابه . أي يقدمهم ويمشي خلفهم تواضعاً ولا يدع أحداً يمشي خلفه .

(١٨٠) تفسير لابن كثير ٨/١٥٩ .

وحقاً انها صورة رائعة لصدق الايمان ان يقول الابن لرسول الله : إن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل اليك رأسه !! انه ما حمل هذا الابن على هذا الفعل الا قوة الايمان وعمق الولاء والبراء في نفسه .

(٢) من أقبح صفاتهم : رفض التحاكم إلى شريعة الله ، والتحاكم الى الطواغيت التي تحقق رغباتهم ، قال تعالىٰ :

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا

٦٠ ـ ٦٣ النساء .

ورفضهم لحاكمية الله رفض للايمان كما قال تعالىٰ :

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

٤٨ ـ ٥٠ النور .

ثم يضع الله ميزاناً دقيقاً في هذه القضية بين المؤمن والمنافق .

فأما المؤمن الصادق فانه ينقاد الى حكم الله ويرضى به ويقول : سمعت وأطعت : إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

٥١ النور .

هذه هي صفة المؤمن ، أما المنافق فصفته الأعراض والاستكبار عن حكم الله .

(٣) من صفاتهم وأفعالهم الدنيئة : التخذيل في صف المسلمين ، والتجسس للكفار وكشف عورات المسلمين لهم . قال الله عنهم

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

١٦٨ آل عمران .

ولقد أصيب المسلمون في غزوة أُحد بالدهشة حين رجع ثلث الجيش بزعامة ابن أبيّ . وكذلك قعودهم عن غزوة تبوك وغيرها .

وفي موالاتهم للكفار يقول الله في شأنهم

بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا

١٣٨ - ١٣٩ النساء .

وأخبرنا سبحانه أنهم هم

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا

١٤١ النساء .

ولقد فضحتهم سورة التوبة خاصة فقد ورد فيها قوله تعالىٰ :

إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾

لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ

٤٥ ـ ٥٠ التوبة .

ففي هذه الآيات بيان من الله للمؤمنين أن هؤلاء المنافقين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً لأنهم جبناء ، مخذولون ، ولأسرعوا بينكم بالنميمة والبغضاء ، والفتنة .(١٨١) وقال الله فيهم أيضاً

وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ

٨٦ ـ ٨٧ التوبة .

---

(١٨١) انظر تفسير ابن كثير ج ٤/١٠٠ .

ولهم مواقف أخرى كثيرة ، ولكنه سبحانه وتعالىٰ حذر المؤمنين منهم وبين لرسوله ﷺ انه سبحانه وتعالىٰ لو شاء لأراهم لرسول الله عياناً ولكنهم يُعرفون بلحن القول ، ولو تشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول

وَلَوْ نَشَآءُ
لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ
ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ

٣٠ محمد .

وسنعرف بعد قليل كيف كان البراء منهم ، وكيف كان هدي رسول الله ﷺ معهم .

ثالثاً : البراء في العهد المدنـي

أي : المفاصلة التامة بين المسلمين وجميع أعدائهـم

لئن كانت التربية في العهد المكي تمتاز بضبط النفس ، والصبر على الأذىٰ ، وتبليغ الدعوة واعداد العدة مع حبس دواعي الانطلاق ، وكف حدة الاقدام : فان التربية في المدينة مبنية على هذه الاسس ولكن في شكل جديد ، حيث انطلق المؤمنون في سبيل الله لاعلاء كلمة الله ، والضرب على يد أعداء الله بقوة لا تعرف الضعف ، وعزيمة لا تعرف الوهن[١٨٢] . من هنا كان الجهاد في سبيل الله هو أبرز سمات هذا العهد الزاهر ، وهو أول صورة من صور البراء والمفاصلة بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان في العهد المدني وبعد الهجرة النبوية والجهاد وجه جديد من وجوه الثبات على العقيدة ، واحتمال المشقات والأذى في سبيل الذود عنها من الأعداء[١٨٣] .

---

(١٨٢) انظر : سبيل الدعوة الاسلامية . د . محمد أمين المصري ص ١١٣ ط ١ / سنة ١٤٠٠ هـ دار الأرقم بالكويت .

(١٨٣) انظر : منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ٢/ ٧٠ .

والحديث عن الجهاد طويل طويل ، وآياته كثيرة وكذلك الأحاديث النبوية فيه ، وفهم الناس لمقصده مختلف ، خاصة في العصور المتأخرة ، فقد وجد من المسلمين أناس أصيبوا بالهزيمة النفسية أمام شبهات الكفار والملحدين والمستشرقين والمستغربين على حد سواء ! .

ففي الوقت الذي يقول فيه أعداء الله . إن دين الاسلام انتشر بالسيف ، وجد ممن ينتسبون للعلم والعلماء من يدافع ـ حسب زعمه ـ عن الاسلام ؟فيلوي أعناق النصوص الشرعية لتوافق ما زعمه دفاعاً عن الاسلام ! ومن هنا يوضع الاسلام في مقام الدفاع ، ويصور على أنه كالذي يقاتل في معركة انسحاب ، حيث كلما طرأت شبهة انبرى لها من يدافع !!

والذي نعتقده ونراه الحق في هذه القضية : أن هذه مهزلة سخيفة لم تحدث الا في القرون المتأخرة ، حين صارت الغلبة للكفر وأربابه ، وأندحر المسلمون من مقام القيادة والجهاد إلى مقام الاستخذاء والضعف والدفاع والتبعية العمياء .

وقد كتب علماء فضلاء من علماء المسلمين حول هذا الموضوع ما يكفي ويشفي ويغني[184] . ومن المهم في هذا المقام : أن نعرف هدي المصطفى ﷺ وسيرته مع أعداء الله ، وجهاده لهم . وللامام ابن القيم رحمه الله تلخيص قيم أورده هنا بتمامه نظراً لأهميته .

قال رحمه الله في زاد المعاد : (أول ما أوحى اليه ربه تبارك وتعالىٰ : أن يقرأ باسم ربّه الذي خلق ، وذلك أول نبوته ، فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره اذ ذاك بتبليغ . ثم انزل عليه

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ

١ ـ ٢ المدثر ،

(١٨٤) اذكر منهم شيخ الاسلام ابن تيمية والعلاّمة ابن القيم والشيخ محمد ابن عبد الوهاب وتلاميذه ، ومن المعاصرين الاستاذين الجليلين ابو الأعلى المودودي وسيد قطب والشيخ سليمان بن حمدان رحمهم الله . وغيرهم ممن لا يحضرني ذكره الآن .

فنبأه بقوله : ﴿ اقرأ ﴾ وأرسله بـ ﴿ يا أيها المدثر ﴾ ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أنذر قومه ، ثم أنذر من حولهم من العرب ثم أنذر العرب قاطبة ، ثم أنذر العالمين ، فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ، ولا جزية ، ويؤمر بالكف والصبر والصفح .

ثم أُذن له في الهجرة ، وأُذن له في القتال ، ثم أمره أن يقاتل من قاتله ، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله ، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله . ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام : (١) أهل صلح وهدنة ، (٢) وأهل حرب ، (٣) وأهلَ ذمة .

فأمر أن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم ، وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد ، فان خاف منهم خيانة نبذ اليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد . وأمرّ أن يقاتل من نقض عهده . ولما نزلت سورة « براءة » نزلت ببيان حكم هذه الاقسام كلها ، فأمره فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الاسلام ، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين ، والغلظة عليهم ، فجاهد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالحجة واللسان .

وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ، ونبذ عهودهم اليهم ، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام .

(١) قسماً أمره بقتالهم ، وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له فحاربهم وظهر عليهم .

(٢) وقسماً لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ، ولم يظاهروا عليه ، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم .

(٣) وقسماً لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، أو كان لهم عهد مطلق فأمره أن يؤجلهم أربعة أشهر فاذا انسلخت قاتلهم . وهي الأشهر الأربعة المذكورة في قوله

فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ

٥ التوبة .

فالحرم ها هنا أشهر التسيير أولها يوم الآذان وهو اليوم العاشر من ذي الحجة ، وهو يوم الحج الأكبر الذي وقع فيه التأذين بذلك ، وآخرها العاشر من ربيع الآخر . وليست هي الأربعة المذكورة في قوله تعالى

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ
عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ

٣٦ التوبة .

فان تلك : واحد فرد ، وثلاثة سرد . رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . ولم يسير المشركين في هذه الأربعة . فان هذا لا يمكن لأنها غير متوالية ، وهو انما أجلهم أربعة أشهر ، ثم أمره بعد انسلاخها أن يقاتلهم ، فقتل الناقض لعهده ، وأجل من لا عهد له ، أوله عهد مطلق أربعة أشهر ، وأمره أن يتم للموفي بعهده عهده الى مدته فأسلم هؤلاء كلهم ، ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم ، وضرب على أهل الذمة الجزية .

فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول « براءة » على ثلاثة أقسام : محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة .

ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الاسلام فصاروا معه قسمين : محاربين وأهل ذمة . والمحاربون له خائفون منه ، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ومسالم آمن وخائف محارب)[١٨٥] .

وقد ركز القرآن الكريم على أهداف الجهاد في غير ما آية . فمنها قوله تعالى :

وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ

٣٩ الأنفال .

---

(١٨٥) زاد المعاد : ١٥٨/٣ - ١٦٠ .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « ويكون الدين كله لله » : لا يكون مع دينكم كفر [١٨٦] .

وقال تعالى : هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ٣٣ التوبة .

وقال وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ٤٠ - ٤١ الحج .

إن الجهاد في الاسلام : هدفه أن يعبد الله وحده في الأرض ، وأن تهيمن شريعته ، ويتحرر الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن تألية البشر إلى ألوهية الواحد الأحد[١٨٧] ومن هدف الجهاد أيضاً انقاذ المستضعفين في الأرض

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ

(١٨٦) تفسير ابن كثير ٥٩٧/٣ .

(١٨٧) انظر : « فصل الجهاد في سبيل الله في « معالم في الطريق » و طريق الدعوة في « ظلال القرآن » ٢٨٩/١ .

هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا

٧٥ النساء .

واليك تفصيل صور البراء من كل طائفة ، وكيفية جهاد المسلمين لهم :

أ ـ صور البراءة من المشركين

(١) بعد أن قامت الدولة المسلمة في المدينة ، كان لا بد من اجْتثاث بشجرة الشرك في مكّة وغيرها وقد نزلت سورة التوبة بقتال المشركين ، وتفصيل ذلك ورد في تلخيص ابن القيم الذي سبق ذكره . قال تعالىٰ :

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ

وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟
لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ
وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ
يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾
ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ
إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ
بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ
إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا
نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

١ ـ ١٥ التوبة .

(٢) منعهم من دخول المسجد الحرام قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

٢٨ التوبة .

قال ابن كثير : كان نزول هذه الآية سنة تسع . ولهذا بعث رسول الله ﷺ علياً صحبة أبي بكر رضي الله عنهما عامئذ ، وأمره أن ينادي في المشركين ، « أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان »[١٨٨] فأتم الله ذلك وحكم به شرعاً وقدراً[١٨٩] .

(٣) منع النكاح بالمشركات : ذكر ابن جرير ـ وهو يتحدث عن صلح الحديبية ـ انه جاء إلى النبي ﷺ نسوة مؤمنات فأنزل الله عزّ وجلّ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ

(١٨٨) صحيح البخاري : كتاب التفسير ، تفسير سورة التوبة ٣١٧/٨ ح ٤٦٥٥ .

(١٨٩) تفسير ابن كثير ٧٣/٤ .

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ١٠ الممتحنة .

قال فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك(١٩٠) .

(٤) منع اقامة المسلم في دار الشرك ، وذلك بعد أن أعزّ الله دينه وعباده ، وقامت لهم دولة فحينئذ تحرم الاقامة بدار الشرك خشية على المسلم أن يفتن ، ولكي ينضم الى جماعة المسلمين فهم اخوته وأولياؤه من دون الناس . قال ﷺ « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » قالوا : يا رسول الله لم ؟ قال : لا تراءى ناراهما »(١٩١) .

« ب » البراء من أهل الكتاب

كما سبق أن قلنا : ان الجهاد هو أكبر مظاهر المفاصلة بين المسلمين وجميع أعدائهم ـ ومنهم أهل الكتاب ـ فانه لا بد أن نشير الى بعض ما نزل في مفاصلة أهل الكتاب اضافة إلى مبدأ جهادهم .

ومن ذلك قوله تعالىٰ في سورة آل عمران التي عنيت بهم كثيراً وكشفت ما لديهم

يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ .

٧٠ ـ ٧١ آل عمران .

---

(١٩٠) تفسير الطبري ١٦/١٠٠ وانظر أحكام أهل الذمة لابن القيم ١/٦٩ .

(١٩١) سنن أبي داود كتاب الجهاد ٣/١٠٥ ح ٢٦٤٥ والترمذي في السير ٥/٣٢٩ ح ١٦٠٤. قال الالباني : هو حديث حسن . انظر صحيح الجامع الصغير ٢/١٧ ح ١٤٧٤ .

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

٩٨ ـ ٩٩ آل عمران

وفي سورة المائدة قوله تعالىٰ

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ
ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ
وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ
عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ

٥٩ ـ ٦٠ المائدة

ففي هذه الآيات وغيرها نجد التقريع لأهل الكتاب والتنديد بباطلهم ومخازيهم .

ثم يأتي النص القرآني للرسول ﷺ ـ وللمؤمنين من ورائه ـ بأن يقولوا لأهل الكتاب انهم ليسوا على شيء حتى يقيموا شرع الله ويحكموا كتابه

قُلْ يَٰٓأَهْلَ
ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ

﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ ٦٨ المائدة .

وهذه الآية الكريمة من أعظم ما بين صورة البراء من أهل الكتاب . ولقد كان جهاد المصطفى ﷺ وأصحابه لأهل الكتاب - بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير - صورة واضحة بارزة في مفاصلتهم وجهادهم والبراءة منهم .

وسيرد الحديث عن اجلائهم عن أرض الجزيرة في الفصل السادس من الباب الثاني .

« ج » البراء من المنافقين

مفاصلة المنافقين والبراءة منهم تؤخذ من هدي رسول الله ﷺ معهم . وفي ذلك يقول العلّامة ابن القيم (وأما سيرته ﷺ في المنافقين : فانه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم الى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة . وأمره أن يعرض عنهم ، ويغلظ عليهم ، وأن يبلغ بالقول البليغ الى نفوسهم ، ونهاه أن يصلي عليهم وأن يقوم على قبورهم ، وأخبر أنه ان استغفر لهم فلن يغفر الله لهم)[١٩٢] .

وقد قلنا فيما سبق : أن من أبرز صفات المنافقين موالاة الكفار ، وكراهية دين الله والتخذيل في صف المسلمين لذلك حين بين الله حالهم للمؤمنين : كان لا بد من مفاصلتهم والبراءة منهم ونزل في ذلك آيات توضح صور هذه المفاصلة وذلك البراء ومنها :

(١) الاعراض عنهم والغلظة عليهم : وقد جاء ذلك مقروناً بجهاد الكفار ،

(١٩٢) زاد المعاد ١٦١/٣ .

فالغلظة على المنافق من أنواع الجهاد قال تعالىٰ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾

٧٣ التوبة .

(وهي نفس آية ٩ من سورة التحريم) وسورة التوبة فضحتهم فضحاً عظيماً حتى انها سميت بـ « الفاضحة » . ففي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة ؟ قال : التوبة هي الفاضحة ، ما زالت تنزل : ومنهم ، ومنهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم الا ذكر فيها »[١٩٣] . وفي سورة النساء

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾

٨١ النساء .

(٢) النهي عن الصلاة عليهم أو القيام على قبورهم

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾

٨٤ التوبة .

---

(١٩٣) صحيح البخاري كتاب التفسير ، تفسير سورة الحشر ج ٦٢٩/٨ ح ٤٨٨٢ .

قال ابن كثير : وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه ، وان كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين[194] .

(٣) لا يقبل لهم عذر في التخلف عن الجهاد ، ومن ثم عدم قبولهم فيه مرة أخرى . قال تعالىٰ :

فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ

٨٣ التوبة .

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ

٩٤ ـ ٩٦ التوبة .

---

(١٩٤) تفسير ابن كثير ١٣٢/٤ .

(٤) عدم الاستغفار لهم . قال تعالىٰ :

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

٨٠ التوبة .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

٥ ـ ٦ المنافقون .

« د » قطع الموالاة مع الأقارب اذا كانوا محادين لله ورسوله

قلنا في العهد المكّي : أن المؤمن كان مأموراً بصلة والديه الكافرين واحسان معاشرتهما وليس في ذلك ولاء على أية حال الا انه لم يؤمر بمقاطعتهما ومفاصلتهما ولكن الصورة تختلف في العهد المدني بعد قيام الدولة المسلمة وجهاد الكفار والمشركين . حيث جاءت المفاصلة التامة بين المؤمن وقريبه المشرك أو الكافر أو

المنافق ونزل في ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالىٰ

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

٢٢ المجادلة .

قال أهل العلم في سبب نزولها : انها نزلت في أبي عبيدة عامر بن الجرّاح حين قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أُحد ، وفي أبي بكر حين دعا ابنه للمبارزة يوم بدر ، وفي عمر حيث قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر ، وفي عليّ وحمزة حين قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر(١٩٥) . وقيل غير ذلك من الاسباب(١٩٦) .

وهذه الآية الكريمة تشير إلى المفاصلة الكاملة بين حزب الله وحزب الشيطان ، وأن المؤمن يجب عليه أن ينحاز إلى الصف المسلم متجرداً من كل عائق أو جاذب ومرتبطاً في لعروة الواحدة بالحبل الواحد . ومن ثم فلا نسب ولا صهر ، ولا أهل ولا قرابة ، ولا وطن ولا جنس ولا عصبية ولا قومية حين تقف هذه الوشائج دون ما أراد الله . وانما هي العقيدة من وقف تحت رايتها فهو من حزب الله ، ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل فلن تربطه بأحد من

(١٩٥) اسباب النزول للواحدي ص ٢٣٦ وتفسير ابن كثير ٧٩/٨ .

(١٩٦) للاستزادة في هذا انظر أحكام القرآن للقرطبي ٣٠٧/١٧ .

حزب الله رابطة[197] . وفي سورة التوبة يأتي الأمر الأخير بالمفاصلة . وبيان أن القضية : قضية ايمان أو كفر وليست قضية جزئية أو ثانوية . قال تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ

٢٣ ـ ٢٤ التوبة .

فهذا أمر من الله بمباينة الكفار وان كانوا آباء أو ابناء ، ونهي عن موالاتهم اذا اختاروا الكفر على الايمان[198] .

قال القرطبي : وهذه الآية ـ آية ٢٣ ـ باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين[199]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون » : هو شرك مثلهم لأن من رضي بالشرك فهو مشرك[200] .

وهذا السياق القرآني الكريم قد استعرض ألوان الوشائج والمطامع واللذائذ ليضعها في كفة ، ويضع العقيدة ومقتضياتها في الكفة الأخرى .

---

(١٩٧) انظر الظلال ٦/٣٥١٤ ـ ٣٥١٦ .

(١٩٨) ابن كثير ٤/٦٦ .

(١٩٩) ، (٢٠٠) احكام القرآن للقرطبي ٨/٩٤ .

الآباء والأبناء والاخوان والأزواج والعشيرة (وشيجة الدم والنسب والقرابة والزواج) والأموال والتجارة (مطمع الفطرة ورغبتها) والمساكن المريحة (متاع الحياة ولذتها) . . كل ذلك في كفة وفي الكفة الأخرى : حب الله ورسوله وحب الجهاد في سبيله . الجهاد بكل مقتضياته وبكل مشقاته وما يتبعه من نصب وتعب ، ومن تضييق وحرمان وألم وتضحية وجراح واستشهاد . الجهاد المجرد من الصيت والذكر والظهور والمباهاة والفخر والرياء..

وما يكلف الله المؤمنين هذا التكليف الا وهو يعلم أن فطرتهم تطيق ذلك ، فالله لا يكلف نفساً الا وسعها ، وانه لمن رحمة الله بعباده أن أودع فطرتهم هذه الطاقة العالية من التجرد والاحتمال ، وأودع فيها الشعور بلذة الاتصال بالله التي لا تعدلها أي لذة . لذة الاستعلاء وعلى الضعف والهبوط والخلاص من ثقلة اللحم والدم ، والارتفاع إلى الافق المشرق الوضي(٢٠١) .

وخلاصة القول : ان الولاء والبراء قد اكتملت صورته الحقيقية في العهد المدني حيث قامت دولة الاسلام الراشدة وأصبحت الاخوة الايمانية فيها هي الرابطة الحقيقية ، ودونها تهدر كل رابطة . وشرع الجهاد للكفار والمشركين ومن نقض عهده . وجاء الأمر بالغلظة على المنافقين والاعراض عنهم . وحصلت البراءة من كل قريب لا يؤمن بالله ورسوله ولا يدين دين الحق ولو كان أباً أو أخاً أو زوجاً أو غير ذلك مما تعارف الناس عليه أنه رابطة !

ولقد تميز المسلمون واستعلوا بدينهم ، وافتخروا بالانتماء إلى هذا الدين الذي هو سبب تلك العزة والرفعة والسيادة حين فتحوا الشرق والغرب . ولن يكون للمسلمين اليوم أو غداً عز الا بالرجوع إلى هذه العقيدة عن حب وولاء لدين الله والمؤمنين به ، وبراء من كل كافر ومشرك ومنافق ولو كان أقرب قريب . أما الإحسان الى الوالدين وبرهما ـ وهما كافران ـ فهذا أمر باق الى قيام الساعة .

---

(٢٠١) الظلال ١٦١٥/٣ بتصرف .

الفصل السابع

صور الموالاة ومظاهرها

إن جمع صور الموالاة ومظاهرها في فصل مستقل أمر له أهميته في مثل هذا البحث ، وذلك حتى يكون القارىء على بينة من الأمور والقضايا التي تمسها قضية الولاء والبراء .

وأحب أن أنبه في هذا المقام على أنني لم ألزم نفسي بتتبع الحكم الشرعي في كل صورة من هذه الصور ، وذلك لصعوبة القطع بالحكم في كل قضية ، لأنه ـ كما يقول أهل العلم ـ قد يكون القول أو الفعل كفراً ولكن هناك ما يصرفه عن ظاهره فيما بين العبد وبين ربّه ، ولكن على العموم فهذه الصور تتفاوت من كون فاعلها خارجاً من الملة كمن يحب الكفار لأجل كفرهم إلى الكبيرة من الكبائر كتعظيمهم والثناء عليهم(٢٠٢) . ذلك أن (مسمى الموالاة يقع على شعب متفاوتة منها ما يوجب الردة كذهاب الاسلام بالكلية ، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات)(٢٠٣) . قد حرص الدين الاسلامي على اخلاص العبادة (وهي الطاعة والانقياد) لله وحده والبراءة من كل متبوع أو مرغوب ، أو مرهوب ، وتعلق القلب بربه في الخشية والخوف والرجاء والعون والنصرة ، لأن « كل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه : خضع قلبه لهم ، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك . . ومعلوم أن أسر القلب أعظم من أسر البدن ، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن فان من أستعبد بدنه واسترق وأسر لا

---

(٢٠٢) الدرر السنية ٢٠١/٧ والهدية الثمينة للشيخ عبد الله السليمان بن حميد ص ١٧ .

(٢٠٣) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ص ٤٣ .

يبالي اذا كان قلبه مستحرياً من ذلك مطمئناً ، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص . أما اذا كان القلب متيماً لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض »(٢٠٤) .

وخطورة موالاة الكفار تبرز في أن ضررها على المسلمين كافة أعظم من خطر من يكفر في نفسه فقط . ذلك ان (الاضرار بالمسلمين يزيد على تغيير الاعتقاد ، ويفعله من يظن سلامة الاعتقاد ، وهو كاذب عند الله ورسوله والمؤمنين في هذه الدعوى والظن ، ومعلوم أن المفسدة في هذا أعظم من المفسدة في مجرد تغيير الاعتقاد)(٢٠٥) واليك تفاصيل صور موالاة الكفار(٢٠٦) .

(١) الرضى بكفر الكافرين وعدم تفكيرهم أو الشك في كفرهم أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم الكافرة(٢٠٧) .

ويتضح هذا الأمر في كونه ولاء للكفار : انه يسرهم ويسعدهم ان يروا من يوافقهم على كفرهم ويجاريهم على مذاهبهم الالحادية .

وقد سبق في التمهيد القول بأن من معتقد أهل السنة والجماعة : أن حب القلب وبغضه يجب أن يكون كاملاً . فالذي يحب الكافر لأجل كفره وهو كافر باجماع الأمة ، ولم يخالف في ذلك أحد من علماء المسلمين .

يقول ابن تيمية رحمه الله : (أما حب القلب وبغضه ، وارادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا توجب نقص ذلك الا بنقص الايمان . وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته . ومتى كانت ارادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فانه يعطي ثواب الفاعل الكامل ، ذلك أن من الناس من يكون حبه وبغضه وارادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها ، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله ، وهذا من نوع الهوى ، فان اتبعه الانسان فقد

---

(٢٠٤) رسالة العبودية لابن تيمية ٩٥ - ٩٦ .

(٢٠٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية : ٣٧١ .

(٢٠٦) من أحسن من كتب في ذلك الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأبناؤه ، لذلك فمعظم هذه الصور منقولة من كتبه .

(٢٠٧) انظر نواقض الاسلام في مجموعة التوحيد ص ١٢٩ مطبعة الحكومة بمكّة .

اتبع هواه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾

٥٠ القصص [٢٠٨] .

إذن : فالمحبة والرضى أمران جازمان لا يخرجان عن كونهما كفراً اذا كانا للكفار أو إيماناً اذا كانا للمؤمنين .

(٢) التولي العام واتخاذهم اعواناً وانصاراً وأولياء أو الدخول في دينهم وقد نهى الله عن ذلك فقال :

﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ .

٢٨ آل عمران .

قال ابن جرير في تفسيرها : من اتخذ الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء . أي قد برىء من الله وبرىء الله منه ، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر . « الا أن تتقوا منهم تقاة » أي الا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة ، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل[٢٠٩] .

وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ

(٢٠٨) شذرات البلاتين ١/٣٥٤ « رسالة الأمر بالمعروف » .

(٢٠٩) تفسير الطبري ٣/٢٢٨ .

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

٥١ المائدة .

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيرها : من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فانه منهم . أي من أهل دينهم وملتهم ، فانه لا يتولى متول أحداً الا وهو به وبدينه وما هو عليه راض ، واذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه[٢١٠] .

وقال ابن حزم : صح أن قول الله تعالىٰ : ﴿ ومن يتولهم منكم فانه منهم ﴾ انما هو على ظاهره : بأنه كافر من جملة الكفار ، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين[٢١١] .

وقال ابن تيمية : اخبر الله في هذه الآية : ان متوليهم هو منهم وقال سبحانه :

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾

٨١ المائدة .

فدل على أن الايمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الايمان واتخاذهم أولياء في القلب . فالقرآن يصدق بعضه بعضاً[٢١٢] .

وقال ابن القيم : (ان الله قد حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى ، فهو منهم ﴿ ومن يتولهم منكم فانه منهم ﴾ فاذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم . وهذا عام ، خص منهم من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فانه لا يقر ولا تقبل منه الجزية . بل اما الاسلام أو السيف

(٢١٠) المصدر السابق ٦/٢٧٧ .

(٢١١) المحلى : ١٣/٣٥ تحقيق حسن زيدان سنة ١٣٩٢ هـ الناشر مكتبة الجمهورية العربية بمصر .

(٢١٢) انظر الايمان لابن تيمية ص ١٤ طبع المكتب الاسلامي .

لأنه مرتد بالنص والاجماع، ولا يصح الحاق من دخل في دينهم من الكفار قبل التزام الاسلام بمن دخل فيه من المسلمين لأن من دان بدينهم من الكفار بعد نزول القرآن فقد انتقل من دين الى دين خير منه ـ وان كانا جميعاً باطلين ـ وأما المسلم فانه قد انتقل من دين الحق إلى الدين الباطل بعد اقراره بصحة ما كان عليه وبطلان ما انتقل اليه فلا يقر على ذلك »(٢١٣) .

على أن الاستاذ سيد قطب رحمه الله يخالف ما ذهب اليه الطبري ، وغيره في تفسير هذه الآية فهو ـ أي سيد ـ يستبعد أن يكون المسلمين ،من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين . وانما المراد ولاء التحالف والتناصر . يقول رحمه الله : ان الولاية المنهي عنها هنا ولاية التناصر والتحالف معهم ، ولا تتعلق بمعنى اتباعهم في دينهم ، فبعيد جداً أن يكون بين المسلمين من يميل إلى اتباع اليهود والنصارى في الدين . انما هو ولاء التحالف والتناصر الذي كان يلتبس على المسلمين أمره ، فيحسبون أنه جائز لهم بحكم ما كان واقعاً من تشابك المصالح والأواصر ، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الاسلام وفي أوائل العهد بقيام الاسلام في المدينة حتى نهاهم الله عنه وأمر بابطاله . يوضح ذلك قوله تعالى بشأن المسلمين الذين لم يهاجروا

مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟

٧٢ الانفال .

أي ولاية التناصر والتعاون وليس ولاية الدين .

« نقول هذا : لأن البعض يخلط بين دعوة الاسلام الى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة . ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة ، وان هذا شأن ثابت لهم ، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم .

(٢١٣) أحكام أهل الذمة لابن القيم ٦٧/١ ، ٦٩ .

وسذاجة أية سذاجة ، وغفلة أية غفلة : أن تظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين !! أمام الكفار والملحدين . فهم مع الكفار والملحدين اذا كانت المعركة ضد المسلمين .

فلندع من يغفل عن هذا ولنكن واعين للتوجيه القرآني : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ الآية[٢١٤] .

والذي يظهر لي أنه لا تعارض بين القولين لأن كليهما صحيح سواء اجتمعا في فرد أو أمة أو أحدهما .

(٣) الايمان ببعض ما هم عليه من الكفر ، أو التحاكم اليهم دون كتاب الله كما قال تعالىٰ :

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ
وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ
مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا

٥١ النساء .

ونظير هذه الآية قوله تعالىٰ عن بعض أهل الكتاب

وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ
لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ
وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ
ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ١٠١ ـ ١٠٢ البقرة .

---

(٢١٤) في ظلال القرآن : بتصرف ٢/٩٠٩ ـ ٩١٠ وسيرد مزيد من التفصيل إن شاء الله عند الحديث عن زمالة الأديان !

فأخبر سبحانه أنهم أتبعوا السحر وتركوا كتاب الله كما يفعله كثير من اليهود وبعض المنتسبين إلى الاسلام . فمن كان من هذه الأمة موالياً للكفار : من المشركين أو أهل الكتاب ببعض أنواع الموالاة كإتيانه أهل الباطل واتباعهم في شيء من فعالهم ومقالهم الباطل : كان له من الذم والعقاب والنفاق بحسب ذلك[٢١٥] . وان هذه الصورة من صور الموالاة قد وقع فيها معظم المنتسبين إلى الاسلام اليوم ، فالايمان ببعض ما هم عليه أمر واقع في (العالم الاسلامي) لا ينكره الا مكابر جاهل ، فها هي الببغوات من أبناء أمتنا وممن ينطقون بألسنتنا قد آمنت بالشيوعية مذهباً تارة وبالاشتراكية تارة أخرى ، وبالديمقراطية نظاماً أو العلمانية دستوراً ، فأخذت هذه المبادىء الكافرة وطبقتها في بلاد المسلمين ملزمة الناس بعبادتها (في الطاعة والانقياد والتنفيذ) ونصبت العداء لكل مسلم موحد ينادي في الأمة أن تعود إلى كتاب الله وسنّة رسوله .

وهذه الردة الجديدة سيأتي تفصيل الحديث عنها إن شاء الله - في الباب الأخير .

وان من الايمان ببعض ما هم عليه : مسألة فصل الدين عن الدولة وانه لا علاقة للاسلام بالسياسة فهذه أيضاً فرع للقضية السابقة لم توجد الا في أوروبا أيام الاضطهاد الكنسي لرجال العلم . ولكن أين الاسلام دين العدل ودين السياسة ودين القوة من (هرطقة) رجال الكنيسة حتى يأتي بعض الأقزام فيستورد تلك السموم من أوروبا ليلبس الاسلام قناعاً مزيفاً فيقول : الاسلام علاقة بين العبد وربه والسياسة لها رجالها ولها قضاياها التي لا تمت إلى الدين بصلة[٢١٦] .

(٤) مودتهم ومحبتهم . وقد نهى الله عنها بقوله :

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ

---

(٢١٥) انظر فتاوى ابن تيمية ٢٨/١٩٩ - ٢٠١ .

(٢١٦) هناك كُتّاب أجلّاء أفاضوا الحديث في هذه القضية منهم الاساتذة : د . محمد البهي والاستاذ سيد قطب والاستاذ محمد قطب والاستاذ المودودي وغيرهم . ومن أراد التفصيل الدقيق فعليه بمراجعة كتاب العلمانية وآثارها في العالم الاسلامي للأخ الاستاذ سفر بن عبد الرحمن الحوالي .

﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾

٢٢ المجادلة .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله (اخبر الله انك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله فان نفس الايمان ينافي موادته كما ينفي أحد الضدين الآخر ، فاذا وجد الايمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله . فاذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الايمان الواجب)[٢١٧] .

وقال تعالىٰ :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾

١ الممتحنة .

(٥) الركون اليهم : قال تعالىٰ :

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾

١١٣ هود .

قال القرطبي : الركون حقيقته : الاستناد والاعتماد ، والسكون إلى الشيء والرضا به[٢١٨] . وقال قتادة معنى الآية : لا تودوهم ولا تطيعوهم . وقال ابن جريج : لا تميلوا اليهم .

---

(٢١٧) الايمان : ١٣ .

(٢١٨) ، (٢١٩) تفسير القرطبي : ١٠٨/٩ وانظر البغوي والخازن ٢٥٦/٣ أما البيت فهو لطرفة بن العبد .

وهذه الآية دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم فان صحبتهم كفر أو معصية . اذ الصحبة لا تكون الا عن مودة كما قيل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى[٢١٩]

وقال تعالىٰ : ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾

٧٤ ـ ٧٥ الاسراء

واذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه فكيف بغيره ؟[٢٢٠] .

(٦) مداهنتهم ومداراتهم ومجاملتهم على حساب الدين قال تعالىٰ :

﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ٩ القلم .

والمداهنة والمجاملة والمداراة على حساب الدين أمر وقع فيه كثير من (المسلمين) اليوم وهذه نتيجة طبيعية للانهزام الداخلي في نفوسهم . حيث رأوا أن أعداء الله تفوقوا في القوة المادية فانبهروا بهم ، ولأمر ما رسخ وترسب في أذهان المخدوعين أن هؤلاء الأعداء هم رمز القوة ورمز القدوة ـ فأخذوا ينسلخون من تعاليم دينهم مجاملة للكفار ولئلا يصمهم أولئك الكفرة بأنهم « متعصبون » ! وصدق المصطفى ﷺ ، اذ يقول في مثل هؤلاء (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » .

قلنا : يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن » ؟[٢٢١] .

---

(٢٢٠) مجموعة التوحيد ص ١١٧ ط دار الفكر .

(٢٢١) صحيح البخاري كتاب الاعتصام ١٣/٣٠٠ ح ٧٣٢٠ وصحيح مسلم كتاب العلم ٤/٢٠٥٤ ح ٢٦٦٩ واللفظ للبخاري .

إن المداهنة والمجاملة قد تبدأ بأمر صغير ثم تكبر وتنمو حتى تؤدي - والعياذ بالله - إلى الخروج من الملة . وهذه احدى مزالق الشيطان فليحذر المسلم منها على نفسه ، وبعلم أنه هو الأعز وهو الأقوى إذا امتثل منهج الله وتقيد بشرعه ومقتضيات عقيدته .

ومن الأمور الواضحة في تاريخ المسلمين : أن من أكبر العوامل في انتصارهم - بعد الايمان بالله ورسوله - الاعتزاز بالاسلام . يصدّق ذلك ويؤيده قول الفاروق رضي الله عنه : (أنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالاسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)[٢٢٢] .

(٧) اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين قال تعالىٰ :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ
قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ١١٨ آل عمران .

نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ، ويواصلون رجلاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والجوار فأنزل الله هذه الآية تنهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم[٢٢٣] .

وبطانة الرجل : خاصته تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي بطنه لأنهم يستبطنون أمره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم . وقد بيّن الله العلة في النهي عن مباطنتهم فقال ﴿ لا يألونكم خبالا ﴾ أي لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد ، ثم انهم يودون ما يشق عليكم من الضر والهلاك .

---

(٢٢٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٦٢/١ كتاب الايمان . وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

(٢٢٣) أسباب النزول للواحدي ص ٦٨ .

والعداوة التي ظهرت منهم : شتم المسلمين والوقيعة فيهم ، وقيل : باطلاع المشركين على أسرار المسلمين[٢٢٤] . وفي سنن أبي داود قوله ﷺ : « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »[٢٢٥] .

(٨) طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون به[٢٢٦] . قال تعالىٰ ناهياً عن ذلك :

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا

٢٨ الكهف .

وقال

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ

١٤٩ آل عمران .

وقال

وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ

١٢١ الأنعام .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « وان أطعتموهم انكم لمشركون » حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه الى قول غيره ، فقدمتم عليه غيره فهذا هو

(٢٢٤) انظر تفسير البغوي ٤٠٩/١ وابن كثير ٨٩/٢ .

(٢٢٥) كتاب الادب ١٦٨/٥ ح ٤٨٣٣ وفي المسند ١٧٨/١٦ ح ٨٣٩٨ ط : شاكر والترمذي في الزهد ١١١/٧ ح ٢٣٧٩ وقال هذا حديث حسن غريب .

(٢٢٦) مجموعة التوحيد ص ١١٧ .

الشرك ، كما قال تعالىٰ :

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

٣١ التوبة[٢٢٧] .

(٩) مجالستهم ، والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله . قال تعالىٰ في النهي عن مجالستهم :

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ ﴾

١٤٠ النساء .

قال ابن جرير : قوله ﴿ انكم اذاً مثلهم ﴾ أي انكم اذا جالستم من يكفر بآيات الله ويستهزىء بها وأنتم تسمعون فأنتم مثلهم ان لم تقوموا عنهم في تلك الحال ، لأنكم قد عصيتم الله بجلوسكم معهم وأنتم تسمعون آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها .

« وفي الآية دلالة واضحة على النهي عن مجالسة أهل الباطل من كل نوع من الكفرة والمبتدعة والفسقة عند خوضهم في باطلهم[٢٢٨] .

وفي الحديث «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم »[٢٢٩] .

---

(٢٢٧) التفسير ٣/٣٢٢ .

(٢٢٨) تفسير الطبري ٥/٣٣٠ .

(٢٢٩) رواه أحمد ح ٨/٨٠ ح ٥٧٠٥ بتحقيق أحمد شاكر وصحيح البخاري كتاب المغازي ٨/١٢٥ح ٤٤١٩ وصحيح مسلم كتاب الزهد ٤/٢٢٨٥ ح ٢٩٨٠ .

(١٠) توليتهم أمراً من أمور المسلمين كالامارة والكتابة وغيرها و (التولية شقيقة الولاية لذلك فتوليتهم نوعاً من توليهم . وقد حكم الله أن من تولاهم فانه منهم . ولا يتم الايمان الا بالبراءة منهم . والولاية تنافي البراءة فلا تجتمع البراءة والولاية أبداً .

« والولاية إعزاز فلا تجتمع هي واذلال الكفر أبداً . والولاية صلة فلا تجامع معاداة الكافر أبداً . ولو علم ملوك الاسلام بخيانة النصارى الكتّاب ـ مثلاً ـ ومكاتبتهم الفرنج أعداء الاسلام ، وتمنيهم أن يستأصلوا الاسلام وأهله ، وسعيهم في ذلك بجهد الامكان : لثناهم ذلك عن تقريبهم وتقليدهم الأعمال . فهذا الملك (الصالح) كان في دولته نصراني يسمى : محاضر الدولة أبا الفضل بن دخان ولم يكن في المباشرين أمكن منه . كان قـذى في عين الاسلام ، وبثرة في وجه الدين . بلغ من أمره أنه وقع لرجل نصراني أسلم برده الى دين النصرانية وخروجه من الملةالاسلامية ، ولم يـزل يكاتب الفـرنج بـأخبار المسلمـين ، وأعمالهم ، وأمر الدولة وتفاصيل أحوالها .

وكان مجلسه معموراً برسل الفرنـج والنصارى وهم مكـرمون لـديه ، وحوائجهم مقضية عنده ، ويحمل لهم الادرار والضيافات ، وأكابر المسلمين محجوبون عن الباب لا يؤذن لهم ، واذا دخلوا لم ينصفوا في التحية ولا في الكلام . وحدث أن اجتمع في مجلس « الصالح » أكابر الناس من الكتاب والقضاة والعلماء فسأل السلطان بعض الجماعة عن أمر أفضى به إلى ذكر مخازي النصارى فبسط لسانه في ذلك وذكر بعض ما هم عليه من الأفعال والأخلاق . وقال من جملة كلامه : إن النصارى لا يعرفون الحساب ، ولا يدرونه على الحقيقة لأنهم يجعلون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً . والله تعالىٰ يقول :

لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ

٧٣ المائدة .

وأول أمانتهم وعقد دينهم : « بسم الآب والابن وروح القدس اله واحد »

فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء وقال في قصيدة له :

كيف يدري الحساب من جعل الوا ‏ ‏ حـد رب الورى تعالى ثلاثة

ثم قال : كيف تأمن أن يفعل في معاملة السلطان كما فعل في أصل اعتقاده ، ويكون مع هذا أكثر النصارى أمانة ؟ وكلما استخرج ثلاثة دنانير دفع إلى السلطان ديناراً وأخذ لنفسه اثنين ولا سيما وهو يعتقد ذلك قربة وديانة ؟

وانصرف القوم واتفق أن كبت النصراني بطنته ، وظهرت خيانته فأريق دمه وسلط على وجوده عدمه[٢٣٠] .

(١١) استئمانهم وقد خونهم الله : قال تعالى :

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

٧٥ آل عمران .

(١٢) الرضى بأعمالهم والتشبه بهم ، والتزيي بزيهم[٢٣١] .

(١٣) البشاشة لهم والطلاقة وانشراح الصدر لهم واكرامهم وتقريبهم[٢٣٢] .

(١٤) معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم ويضرب القرآن لذلك مثالين هما : امرأة لوط التي كانت ردءاً لقومها ، حيث كانت على طريقتهم ، راضية بأفعالهم القبيحة ، نزل قومها على ضيوف لوط . وكذلك فعل امرأة نوح[٢٣٣] .

---

(٢٣٠) احكام أهل الذمة لابن القيم ٢٤٢/١ - ٢٤٤ بتصرف بسيط .

(٢٣١) ، ٢٣٢) مجموعة التوحيد ص ١١٧ .

(٢٣٣) تفسير ابن كثير : ٢١٠/٦ وقد سبق الحديث عنها .

(١٥) مناصحتهم والثناء عليهم ونشر فضائلهم[٢٣٤] وهذه الصورة ظهرت واضحة في العصور الأخيرة فقد رأينا « افراخ المستشرقين » - مثلاً - ينشرون فضائلهم وأنهم أصحاب المنهج العلمي السديد و . . و . . الخ . كذلك جاء من ينشر « فضائل » الغرب أو الشرق مضفياً عليها ألقاب التقدم والحضارة والرقي ، وواصماً الاسلام والمنتسبين اليه بالرجعية والجمود والتأخر عن مسايرة الركب الحضاري والأمم المتقدمة !!

(١٦) تعظيمهم واطلاق الألقاب عليهم مثل : السادة والحكماء ومباداتهم بالسلام « ومما يجب النهي عنه ما يفعله كثير من الجهال في زماننا إذا لقي أحدهم عدواً لله سلم عليه ووضع يده على صدره اشارة إلى أنه يحبه محبة ثابتة في قلبه . أو يشير بيده إلى رأسه اشارة إلى أن منزلته عنده على الرأس وهذا الفعل المحرم يخشى على فاعله أن يكون مرتداً عن الاسلام لأن هذا من أبلغ الموالاة والموادة والتعظيم لأعداء الله »[٢٣٥] .

والتعظيم واللقب الرفيع رمز للعزة والتقدير وهما مقصورتنا على المؤمن . أما الكافر فله الاهانة والذلة وقد ورد في الحديث الصحيح النهي مباداتهم بالسلام فقال ﷺ « لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام ، فاذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه الى أضيقه »[٢٣٦] وسيأتي تفصيل هذه القضية في الباب الثاني .

(١٧) السكنى معهم في ديارهم وتكثير سوادهم[٢٣٧] قال رسول الله ﷺ « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله »[٢٣٨] . وقال « لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا »[٢٣٩] . وسوف يأتي - بمشيئة

---

(٢٣٤) مجموعة التوحيد ص ١١٧ ورسائل سعد بن عتيق ص ١٠١ .

(٢٣٥) تحفة الاخوان للشيخ حمود التويجري ص ١٩ الطبعة الأولى / مؤسسة النور بالرياض .

(٢٣٦) صحيح مسلم : كتاب السلام ٤/١٧٠٧ ح ٢١٦٧ .

(٢٣٧) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ص ٦٤ .

(٢٣٨) أبي داود كتاب الجهاد ٣/٢٢٤ ح ٢٧٨٧ قال الالباني : حديث حسن ، انظر صحيح الجامع الصغير ٦/٢٧٩ ح ٦٠٦٢ .

(٢٣٩) الحاكم في المستدرك ٢/١٤١ وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي .

الله ـ في الباب الثاني تفصيل لهذه المسألة اذا كانت هناك ضرورة لهذه المساكنة .

(١٨) التآمر معهم ، وتنفيذ مخططاتهم والدخول في احلافهم وتنظيماتهم والتجسس من أجلهم ، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم اليهم والقتال في صفهم[٢٤٠] . وهذه الصورة من أخطر ما ابتليت به أمتنا في هذا العصر . ذلك ان وجود ما يسمى في المصطلح الحديث (الطابور الخامس) قد أفسد اجيال الأمة في كل مجال سواء في التربية والتعليم أم في السياسة وشؤون الحكم أم في الأدب والأخلاق أم في الدين والدنيا معاً . وصدق الشاعر محمود أبو الوفا فيما نقله عنه استاذنا الفاضل الشيخ محمد قطب أنه قال حين خرج الاستعمار الانجليزي من مصر : (خرج الانجليز الحمر وبقي الانجليز السمر !!) ـ نعم إن داءنا هم الانجليز السمر .

ترى من هو الساهر على تنفيذ خطة (دنلوب) في التربية والتعليم ؟ ومن هو القائم بتنفيذ مخططات اليهود الثلاثة : فرويد وماركس ودوركايم في أفكارهم الخبيثة ؟[٢٤١] . انهم المستغربون من أبناء هذه الأمة الذين حققوا لأعداء الله ما لا يحلمون به . ولكن هيهات لهم فان الله يقول :

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ

١٧١ ـ ١٧٣ الصافات .

(١٩) من هرب من دار الاسلام الى دار الحرب بغضاً للمسلمين وحباً للكافرين[٢٤٢] .

---

(٢٤٠) الايمان . حقيقته . اركانه . نواقضه للدكتور محمد نعيم ياسين ص ١٤٧ .

(٢٤١) يراجع كتاب الاستاذ محمد قطب : التطور والثبات في حياة البشرية فصل : اليهود الثلاثة ص ٣٥ وكتاب هل نحن مسلمون ص ١٣٣ .

(٢٤٢) الردة بين الامس واليوم ص ٣٣ .

(٢٠) من انخرط في الأحزاب العلمانية أو الالحادية كالشيوعية والاشتراكية والقومية والماسونية وبذل لها الولاء والحب والنصرة[٢٤٣] .

ما يقبل من الأعذار وما لا يقبل في هذه الصور

قد يعتذر بعض الموالين للكفار بأنهم يخافون على سلطانهم وأموالهم ومراكزهم وغير ذلك من المخاوف التي لا تصح ، ولا يعتبرها الله ، عذراً لهم فيعذرهم من أجلها . لأنها جميعاً من تزيين الشيطان وتسويله ، وحب الدنيا والطمع في زينتها .

والله سبحانه وتعالىٰ لم يقبل عذراً لأحد في اظهار موالاته للكفار وطاعتهم وموافقتهم على دينهم إلا عذراً واحداً هو : الاكراه . قال تعالىٰ

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ

١٠٦ ـ ١٠٧ النحل .

وقال سبحانه لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ ٢٨ آل عمران .

---

(٢٤٣) المصدر السابق ص ٤٠ .

والاكراه لا ينفع أحداً فيما يتعلق بالرضى القلبي ، والميل الباطني إلى الكفار لأنه غير مأذون فيه على أية حال لقوله تعالىٰ ﴿ وقلبه مطمئن بالايمان ﴾ ولأن الاكراه لا سلطان له على القلوب . فانه لا يعلم ما في القلب إلا الله .

فمن والى الكفار بقلبه ومال اليهم فهو كافر على كل حال . فان أظهر موالاته بلسانه أو بفعله عومل في الدنيا بكفره وفي الآخرة يخلد في النار ، وان لم يظهرها بفعل ولا قول وعمل بالاسلام ظاهراً عصم ماله ودمه وهو منافق في الدرك الأسفل من النار(٢٤٤) .

موقف المسلم تجاه هذه الصور

الولاء والبراء هو الصورة الفعلية للتطبيق الواقعي لهذه العقيدة وهو مفهوم ضخم في حس المسلم بمقدار ضخامة وعظمة هذه العقيدة . والله سبحانه وتعالىٰ يقول :

قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

٢٥٦ البقرة .

والله جلّ جلاله أراد للمسلم ـ بل للانسان ـ الكرامة في هذه الأرض

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

٧٠ الاسراء .

فحين يكون ولاء المسلم لله ولدينه وحزبه المؤمنين فهو بهذا يقدّر هذا التكريم

---

(٢٤٤) انظر الايمان للدكتور محمد نعيم ياسين ص ١٤٧ ـ ١٤٨ .

حق قدره ، ويعبد الله حق عبادته ، لأنه تخلى بل وعادى كل عبودية تريد اخضاعه لسلطانها من دون الله .

أما حين ينتكس فيعبد غير الله ـ سواء بالشعائر أم بالشرائع أم بالطاعة والانقياد ـ فانه بهذا يهبط من تلك المكانة والكرامة الى عبودية أهواء شتى ، وآراء ومذاهب تمزق عليه حياته وتضيع عليه آخرته ، فيعيش شقياً ـ وان زعم أنه سعيداً ـ ذلك أن مقياس السعادة والشقاوة ، في التصور الاسلامي نابع من عبادة الله وحده وتحكيم شرعه والخلوص له . أو عكس ذلك : عبادة الطاغوت والهوى والشهوة وتلك هي دركات الشقاء التي يعيش فيها كل من أعرض عن هدي الله ودينه .

وموالاة غير المؤمنين ـ فضلاً عن أنها ردة وعصيان لله سبحانه ـ هي مصدر التذبذب والفصام النكد في حياة فاعلها ، لأنه لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء . وفي هذا العصر الذي اختلطت فيه المفاهيم ، واضطربت فيه الآراء ، وخلط الحق بالباطل بل أقصي الحق ورفعت شارة الباطل : أين يقف المسلم ؟ أين يكون ولاؤه ولمن يكون وهو يرى الكفر الصريح معلناً ومنفذاً في حياة الناس ثم يوضع لذلك « لافتة بسيطة » ان هذا لا يتعارض مع الاسلام ؟ ومثال ذلك من يدين بالاشتراكية أو الديمقراطية أو العلمانية أو القومية أو الشيوعية ثم يقال : هذا لا يعارض الاسلام لأنه علاقة بين العبد وربه . لمن يكون ولاء المسلم وهو يرى شرع الله مبعداً من الأرض ومحارباً ، ثم يستورد القانون البشري ليكون هو دستور الناس في حياتهم ومنهج مسيرتهم ويقال : ان هذا لا يعارض الاسلام لأن التشريع الاسلامي ـ سواء قيلت بلسان الحال أو المقال ـ لم يعد مسايراً لركب الحضارة والتطور ؟ !

لمن يكون ولاء المسلم وهو يرى المنافقين يتمسحون باسم الاسلام وهم في الحقيقة أخطر على الدين من أعدائه الصرحاء ؟

هذه أسئلة وأسئلة غيرها كثيرة . . والاجابة عليها تكمن في الحقيقة التالية : انه لا يمكن للمسلم أن يكون ولاؤه لله ولدينه وللمؤمنين خالصاً الا اذا كان مدركاً

لحقيقة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ممتثلاً لها ، مدركاً مدلولها ومعناها عارفاً بمقتضياتها ولوازمها .

ثم علمه بالجاهلية والشرك والكفر والردة والنفاق حتى لا يكون مصيدة للوقوع في هذا الشر . لأنه لا يعرف الاسلام من لا يعرف الجاهلية .

ثم علمه بحقيقة الولاء والبراء في المفهوم الاسلامي الصحيح وهو : أن الولاء والحب والنصرة للمؤمنين من أي جنس كانوا وبأي لغة نطقوا وفي أي مكان حلوا ، لأنه لا يؤمن بما تؤمن به الجاهليات من لوثة الدم ونتن العرق وخسة التراب .

فهو مع اخوانه المؤمنين بقلبه ولسانه وماله ودمه ، يألم لألمهم ويفرح لفرحهم وبغضه وبراءه لجميع أعداء الله سواء كانوا كفاراً أصليين أم مرتدين أم منافقين وموقفه منهم : الجهاد بالنفس والمال والقلم واللسان وكل ما أوتي من طاقة وعلى حسب جهده وطاقته .

إن هذه الحقيقة هي التي - اذا أدركها المسلم وعمل بها يستطيع بها أن يحدد موقفه من كل صورة من الصور السابقة وغيرها ، فيعرف من يوالي ومن يعادي ، وماذا يريد الاسلام منه وماذا يراد للاسلام من أعدائه .

وهو بهذا يكون مسلماً واعياً عزيزاً بعزة الله غير واهن ولا حزين لأن الله معه وهو القائل

وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٤٦)

١٣٩ آل عمران .

ومن كان الله معه فلن تضيره أن تجتمع البشرية بكاملها لأن تضره فهي بمجموعها لا تستطيع ذلك الا اذا كان الله يريد له ذلك والا فهي أعجز من أن تنال منه شيئاً بسيطاً بغير قدر الله وارادته .

---

(٢٤٦) حبذا مراجعة كتاب « هل نحن مسلمون » ص ٤٧ .

الفصل الثامن

الرد على الخوارج والرافضة في عقيدة الولاء والبراء

قد يقول بعض من لا يدرك حقيقة العقيدة ، ولا يعي مفاهيم « لا إله إلا الله » : ان مصطلح الولاء والبراء من مصطلحات الخوارج والشيعة فكيف يدرج في معتقد السلف الذين هم أهل السنة والجماعة ؟

والجواب على هذا الاعتراض : من عدة وجوه :

(١) نحن مطالبون بما ورد في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ فهما عقيدتنا وشريعتنا ونظام حياتنا ، وأحسب أني قد ذكرت عدداً كبيراً جداً من عشرات - بل مئات - الآيات في الولاء والبراء وعشرات الأحاديث النبوية الصحيحة في هذه القضية .

(٢) من منطلق عقيدة سلفنا الصالح نقول : لسنا مستعدين للتنازل عن أي أمر من أمور ديننا الصغيرة - فضلاً عن أمور العقيدة الكبرى لأجل أن ناعقاً أخذ بعض مصطلحاتنا وبنى عليها مفاهيمه البدعية المنكرة .

(٣) هل يستطيع مسلم يؤمن بكتاب الله وسنّة رسوله أن يقول أن ابراهيم عليه السلام - وهو القدوة الأولى في الولاء والبراء - كما ذكرنا - استخدم مصطلحات الخوارج والرافضة الذين جاءوا بعده بآلاف السنين ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

(٤) إن قضية الولاء والبراء كمبدأ عقدي : مبدأ صحيح لا غبار عليه ورد به كتاب الله وسنّة نبي الله ولكن الخطأ كل الخطأ والبدعة كل البدعة هو ما بنى

عليه هؤلاء السفهاء ـ من خوارج ـ ورافضة ـ من مفاهيم سقيمة خرجوا بها عن النصوص الصريحة واجماع الأمة المحمدية . وصدق القائل .

ومـا ضـر الـورود ومـا حـوتـه اذا المـزكـوم لم يـطعـم شـذاهـا

معتقد الخوارج في هذه القضية

أما الخوارج فهم الذين قال فيهم إمام أهل السنة الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : (هم الذين مرقوا من الدين . وفارقوا الملة ، وشردوا عن الاسلام ، وشذوا عن الجماعة فضلوا السبيل والهدي ، وخرجوا على السلطان ، وسلوا السيف على الأمة ، واستحلوا دماءهم وأموالهم وعادوا من خالفهم الا من قال بقولهم . وكان على مثل قولهم ورأيهم ، وثبت معهم في بيت ضلالتهم ، وهم يشتمون أصحاب محمد ﷺ وأصهاره واختانه ، ويتبرأون منهم ، ويرمونهم بالكفر والعظائم . ويرون خلافهم في شرائع الاسلام . . يقولون من كذب كذبة ، أو أتي صغيرة أو كبيرة من الذنوب فمات من غير توبة : فهو في النار خالداً مخلداً أبداً . . وهم قدرية جهمية مرجئة رافضة ، لا يرون الجماعة الا خلف امامهم . . ولا يرون للسلطان عليهم طاعة ، ولا لقريش عليهم خلافة . وأشياء كثيرة يخالفون عليها الاسلام وأهله . وكفى بقوم ضلالة : ان يكون هذا رأيهم ومذهبهم ودينهم وليسوا من الاسلام في شيء . ومن أسمائهم الحرورية وهم أصحاب حروراء[٢٤٧] والأزارقة : وهم أصحاب نافع بن الأزرق . . والنجدية : وهم أصحاب نجدة بن عامر الحروري . . والاباضية . . والصفرية وغيرهم . . كل هؤلاء خوارج ، فساق مخالفون للسنة ، خارجون من الملة ، أهل بدعة وضلالة[٢٤٨] . وفرقة الخوارج قد انحرفت في مفهوم الولاء والبراء فهي لا تتولى إلا من يدين بنحلتها القائمة على تكفير مرتكب الذنوب وخاصة الكبائر . وموقفهم من صحابة رسول الله ﷺ أنهم يتولون أبا بكر وعمر ويتبرؤون من عثمان وعلي[٢٤٩] .

---

(٢٤٧) قرية بالكوفة كانت بها وقعة على الخوارج بقيادة نجدة بن عامر . انظر هامش السنة الامام أحمد ص ٨٤ وكتب الفرق .

(٢٤٨) كتاب السنة للامام أحمد ص ٨٣ ـ ٨٥ تصحيح اسماعيل الانصاري (بتصرف بسيط) .

(٢٤٩) التنبيه والرد للملطي ص ٥٣ .

وخلاصة القول في الرد عليهم : أن أهل السنة والجماعة يتبرؤ ون منهم بسبب بدعتهم الضالة . ولا يتولونهم في شيء .

أما الولاء والبراء بمفهومه الصحيح فهو ما عليه أهل السنة والجماعة ، ولا يضيرهم ان الخوارج قالوا بقضية الولاء والبراء . لأن العبرة ليست في العناوين والشعارات بل في المفاهيم والتصورات التي توافق الكتاب والسنّة أو تناقضها ومن هنا فان ولاء الخوارج وبراءهم الذي يعتقدونه : انما هو بحسب أهوائهم وليس متفقاً مع نصوص الكتاب والسنّة .

معتقد الرافضة في الولاء والبراء

وأما الرافضة : فهم الذين يتبرؤ ون من أصحاب محمد ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم ، ويكفرون الائمة الأربعة : عليّ ، وعمار ، والمقداد ، وسلمان[٢٥٠] .

وقال الاشعري : انما سموا رافضة لرفضهم اماة أبي بكر وعمر[٢٥١] .

ولئن كان الخوارج قد انحرفوا في الأمور التي ذكرناها آنفاً عنهم : فان الرافضة أيضاً لا يقلون جرماً عنهم حيث وقفوا من أصحاب رسول الله ﷺ موقفاً مشيناً ، ولعبت بهم الأيدي اليهودية الممثلة في شخصية عبد الله بن سبأ التي أخذت تنصب خيالات من الحب الكاذب لآل البيت وتتبرأ من بقية أصحاب رسول الله ﷺ وتعاديهم مع أن آل البيت براء مما ألصقه بهم هؤلاء الرافضة .

قال ابن كثير : إن الطائفة المخذولة ـ الرافضة ـ يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذاً بالله من ذلك . وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة فأين هؤلاء من الايمان بالقرآن ، اذ يسبون من رضي الله

(٢٥٠) السنة للامام أحمد ص ٨٢ .

(٢٥١) مقالات الاسلاميين ١/ ٨٩ .

عنهم[٢٥٢] ؟ أما أهل السنة فانهم يترضون عمن رضي الله عنه ، ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله . وهم متبعون لا مبتدعون[٢٥٣] .

والرافضة تقول : لا ولاء الا ببراء : أي لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر . رضي الله عنهما ![٢٥٤] .

ترى أي ثقة أو أمانة أو دين تبقى في أناس يطعنون في أفضل شخصيتين اسلاميتين في الأمة بعد رسول الله ﷺ ؟

ولكن لا غرابة في ذلك من زمرة قضائها في الكتب مسطورة فقد كانت الرافضة على طول تاريخها حرباً على أهل الاسلام ، يوالون أعداء المسلمين من تتار وصليبيين وغيرهم . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الرافضة توالي من حارب أهل السنة والجماعة ، فهم يوالون التتار ويوالون النصارى . وقد كان بالساحل بين الرافضة وبين الفرنج مهادنة ، حتى صارت الرافضة تحمل إلى قبرص خيل المسلمين وسلاحهم ، وغلمان السلطان ، وغيرهم من الجند والصبيان . واذا انتصر المسلمون على التتار أقاموا المآتم والحزن ، واذا انتصر التتار على المسلمين أقاموا الفرح والسرور . وهم الذين أشاروا على التتار بقتل الخليفة ، وقتل أهل بغداد .

ووزير بغداد ابن العلقمي الرافضي هو الذي خامر على المسلمين وكاتب التتار ، حتى أدخلهم أرض العراق بالمكر والخديعة ، ونهى الناس عن قتالهم .

« وقد عرف العارفون بالاسلام : أن الرافضة تميل مع أعداء الدين ، ولما كانوا ملوك القاهرة كان وزيرهم مرة يهودياً ، ومرة نصرانياً أرمينياً ، وقويت النصارى بسبب ذلك النصراني الأرميني ، وبنوا كنائس كثيرة بأرض مصر في دولة

---

(٢٥٢) يشير إلى قوله تعالى﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ ١٠٠ التوبة .

(٢٥٣) التفسير ذ/١٤٢ .

(٢٥٤) شرح الطحاوية ص ٥٣٢ .

أولئك الرافضة المنافقين وكانوا ينادون بين القصرين : من لعن وسب فلة دينار واردب .

وفي أيامهم أخذت النصارى ساحل الشام من المسلمين حتى فتحه نور الدين وصلاح الدين)[٢٥٥] .

وأحفادهم في الوقت الحاضر النصيرية الكافرة التي ابتلى بها المسلمون ، ذلك أن كفرها أشد من كفر اليهود والنصارى كما قرر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره . وهم الذين كانوا أداة طيعة للاستعمار الفرنسي في غزوه لبلاد الشام . ويشنون اليوم حرباً شرسة على المسلمين في ديارهم وبعد : فان أهل السنة والجماعة هم الذين يحبون أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا يفرطون في حب أحد منهم ، ويتولونهم جيمعاً ولا يتبرؤ ون من احد منهم ، ويبغضون من يبغضهم ويرون أن حبهم دين وايمان واحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان[٢٥٦] .

وهم براء من الخوارج والرافضة ومن كل الفرق الضآلة .

---

(٢٥٥) الفتاوى ج ٢٨/٦٣٦ - ٦٣٧ .

(٢٥٦) انظر الطحاوية مع شرحها ص ٥٢٨ وقد أطلعت - بعد كتابة هذا الكتاب - على كتاب قيم يكشف أستار الشيعة ويفضحهم في عصرنا الحاضر وخصوصاً زعيمهم « الخميني » ذلك الكتاب هو « وجاء دور المجوس » لمؤلفه الدكتور عبد الله محمد الغريب وهو كتاب قيم في موضوعه فليراجعه من شاء ليستبين زيف باطلهم وخططهم ضد أهل السنة والجماعة ؟


الباب الثاني

من مقتضيات الولاء والبـراء

سبق القول في أول البحث : أن الولاء أصله الحب ، والبراء أصله : البغض ، وينشأ عنهما من أعمال الجوارح ما يؤيد صدق ذلك الحب أو يكذبه وما يؤكد ذلك البراء أو ما يبطل زعمه .

والحب عنصر أصيل في التصور الاسلامي دليل ذلك قول المولى جلّ وعلا :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾

٩٦ مريم .

وقوله :

﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾

٩٠ هود .

وقوله :

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾

١٤ البروج .

وقوله :

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾

١٦٥ البقرة .

وقوله :

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾

٣١ آل عمران .

ذلك أن نصاعة التصور الاسلامي في الفصل بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية لا تجفف ذلك النداء الحبيب بين الله وعباده ، فهي علاقة الرحمة والعدل والود وليست كما يدعي أعداء الله : أن العلاقة بين العبد وربه علاقة جافة وعنيفة ، علاقة قهر وقسر ، وعذاب وعقاب ، وجفوة وانقطاع !

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

٥ الكهف .

وحب الله لعبد من عبيده أمر لا يقدر على ادراك قيمته الا من عرف الله سبحانه بصفاته كما وصف نفسه وكما وصفه رسوله ، والا من وجد ايقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره .

وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها . واذا كان حب الله لعبد من عبيده أمراً هائلاً عظيماً ، وفضلاً غامراً جزيلاً ، فان انعام الله على العبد بهدايته لحبه ، وتعريفه هذا المذاق الجميل هو انعام هائل عظيم[1] .

ومن نعمة الله على عباده المؤمنين أن جعل المحبة فيه هي الوشيجة العظمى بينهم ، وهي المورد العذب الذي ينهلون منه جميعاً ، ثم جعل سبحانه وجود المحبة للقوم ولما يلحق بهم المحب سبيلاً للحاق بهم يؤيد ذلك قوله ﷺ « المرء مع من أحب »[2] . وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : جاء رجل إلى رسول الله

---

(١) بتصرف . الظلال ٩١٨/٢ـ ٩١٩ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الادب باب علامة الحب في الله ٥٥٧/١٠ ح ٦١٦٨ .

ﷺ فقال : يا رسول الله : كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب »[٣] .

وعن أنس أن رجلاً سأل النبي ﷺ متى الساعة يا رسول الله ؟ قال ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال « أنت مع من أحببت »[٤] .

على أنه من الواجب ذكره هنا : أن هذا الحب ليس مجرد أماني أو أحلام تناقضها الأفعال القبيحة . أو « شرطقة » رقعاء الصوفية أو . . أو . . الخ وانما هو حب بالقلب وعمل بالجوارح قال الله تعالى

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

١٢٣ النساء .

وقال

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

٣١ آل عمران .

قال الحسن : لا تغتر بقولك : المرء مع من أحب إن من أحب قوماً اتبع آثارهم ، ولن تلحق الابرار حتى تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقتدي بسنتهم ، وتمسي وتصبح وأنت على منهاجهم ، حريصاً أن تكون منهم ، وتسلك سبيلهم وتأخذ طريقهم وان كنت مقصراً في العمل فان ملاك الأمر أن تكون على

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب باب علامة الحب في الله ٥٥٧/١٠ ح ٦١٦٩ وصحيح مسلم كتاب البر ٢٠٣٤/٤ ح ٢٦٤٠ .

(٤) صحيح البخاري كتاب الأدب باب علامة الحب في الله ١٠ /٥٥٧ ح ٦١٧١ وصحيح مسلم كتاب البر ٢٠٣٢/٤ ح ٢٦٣٩ .

استقامة ، أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء الردية يحبون أنبياءهم وليسوا معهم لأنهم خالفوهم في القول والعمل ، وسلكوا غير طريقتهم فصار موردهم النار ؟[٥]

والمحبة تنقسم إلى أربعة أقسام :[٦]

(١) محبة شركية : وأصحابها هم الذين قال الله فيهم :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ

١٦٥ - ١٦٧ البقرة .

(٢) حب الباطل وأهله ، وبغض الحق وأهله وهذه صفة المنافقين .

(٣) محبة طبيعية : وهي محبة المال والولد اذا لم تشغل عن طاعة الله ولا تعين على محارم الله فهي مباحة .

(٤) حب أهل التوحيد وبغض أهل الشرك : وهي أوثق عرى الايمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه .

---

(٥) الحكم الجديرة بالاذاعة من قول النبي « بعثت بالسيف بين يدي الساعة لابن رجب ص ١٣٣ تحقيق محمد حامد الفقي .

(٦) ذكر ذلك الامام محمد بن عبد الوهاب : مجموعة التوحيد ص ١٧ ط دار الكفر .

وما دامت المحبة في الله هي أوثق عرى الايمان كما ورد في الحديث أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله[7] فان الطريق الموصل اليها وإلى موالاة الله عزّ وجل هو : اتباع شرعه الذي جاء به محمد ﷺ ، وبغير هذا الطريق تكون دعوى الولاية كاذبة كما كان المشركون يتقربون إلى الله تعالىٰ بعبادة من يعبدونه من دونه كما قال الله عنهم

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾

٣ الزمر .

وكما حكي عن اليهود والنصارى انهم قالوا :

﴿ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾

١٨ المائدة .

مع اصرارهم على تكذيب رسله وارتكاب مناهيه وترك فرائضه[8] .

ومتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالىٰ محا ذلك من القلب كل ما سواه ، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه وارادته الا لما يريده منه مولاه ، فاذا تحقق القلب بالتوحيد التام لم يبق فيه محبة لغير الله ، ولا كراهة لغير ما يكره الله ، ومن كان كذلك لم تنبعث جوارحه الا بطاعة الله ، وانما تنشأ الذنوب من محبة ما يكرهه الله ، أو كراهة ما يحبه الله وذلك ينشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله وخشيته[9] .

ويصور شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عظمة محبة الله ولذتها فيقول : « ان في الدنيا جنة من يدخلها لم يدخل جنة الآخرة » . وقال بعضهم : مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها ، وما أطيب ما فيها ؟ قال : محبة

---

(٧) سبق تخريجه في التمهيد ٤٢ .
(٨) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٣١٦ .
(٩) انظر جامع العلوم والحكم ص ٣٢٠ .

الله ، والانس به ، والشوق الى لقائه ، والاقبال عليه ، والاعراض عما سواه[١٠] .

أما البغض في الله فهو أمر ملازم للحب في الله لا ينفصل عنه ، لأن المحب يحب ما يحب محبوبه ، ويبغض ما يبغض محبوبه ، ويوالي من يوالي محبوبه ، ويعادي من يعادیه ، ويرضى لرضاه ، ويغضب لغضبه ، ويأمر بما يأمر به ، وينهى عمّا نهى عنه فهو موافق له في ذلك .

ومعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة فلا بد أن يبغض أعداءه ، ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم كما قال تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ
صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ [١١]

٤ الصف .

وقد وصف المولى سبحانه وتعالى عباده الذين يحبهم ويحبونه فقال

أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ

٥٤ المائدة .

أي انهم يعاملون المؤمنين بالذلة واللين وخفض الجناح ، ويعاملون الكافرين بالعزة والشدة عليهم ، والغلظة لهم . فهم يحبون من أحبه الله فيعاملونه بالمحبة والرفأة واللين ، ويبغضون أعداء الله الذين يعادونه فيعاملونهم بالشدة والغلظة كما قال تعالى

أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ

٢٩ الفتح .

(١٠) مدارج السالكين ١/٤٥٤ .

(١١) انظر التحفة العراقية ٦٤ ـ ٦٥ .

يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ (١٢)

٥٤ المائدة .

وأعداء الله لهم البغض ولهم من المؤمنين الجهاد

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ

١٤ التوبة .

ومن هنا فإن من مقتضيات الولاء والبراء : حق المسلم على المسلم . فما هو ذلك الحق ؟

---

(١٢) انظر جامع العلوم والحكم ص ٣١٧ .

الفصل الأول

حق المسلم على المسلم

قلنا : أن المحبة في الله هي الوشيجة العظمى التي التقى عليها المؤمنون ، ويلتقون عليها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وعلى هذه الوشيجة تنبني حقوق المسلم على المسلم ، وهي كثيرة جداً : النصرة ، والمودة ، والزيارة ، والاكرام ، والسلام ، وحماية العرض ، والمواساة وغير ذلك مما هو منصوص عليه في الكتاب والسنّة .

ولكن الحقوق التي اتحدث عنها هي ما يتعلق بموضوع البحث . ومن هذه الحقوق :

(١) المودة : وهذه للمؤمنين من بعضهم لبعض ، فليس للكافر ولا للفاسق ولا للمبتدع فيها نصيب ، ومن هذه المودة حب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه كما قال ﷺ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » متفق عليه[١٣] .

(٢) النصرة : وهذه واجب أخوي ايماني على كل مسلم لأخيه المسلم من أي جنس كان وفي أي أرض حل ، وبأي لون كان ، ينصره بنفسه وبماله وبالذب عن عرضه ولذلك ورد التهديد لمن يترك ذلك وهو قادر عليه . قال ﷺ « ما من امرىء يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرىء ينصر مسلماً في

---

(١٣) صحيح البخاري كتاب الايمان ٥٧/١ ح ١٣ وصحيح مسلم كتاب الايمان ٦٧/١ ح ٤٥ .

موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله في موطن يحب نصرته »[١٤].

وقد امتدح سبحانه وتعالى الانصار رضوان الله عليهم في نصرتهم لاخوانهم المهاجرين فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ ٧٤ الانفال.

ومن الأوامر النبوية في شأن النصرة قوله ﷺ « انصر أخاك ظالما أو مظلوماً »[١٥]. ونصرته اذا كان مظلوماً ظاهرة أما نصرته اذا كان ظالماً فبردعه عن الظلم ومنعه عنه. وقال ﷺ « المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله عزّ وجلّ في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة. ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » متفق عليه[١٦].

والمسلم داخل المجتمع الاسلامي ما هو إلا عضو عامل كأي عضو من أعضاء الجسد فاذا حصل لهذا العضو مرض أو اختل عمله تأثر لذلك بقية الجسد، ويصور ذلك المصطفى ﷺ في قوله الكريم. « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »[١٧]. وقوله « ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[١٨] وقال أيضاً: « المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه »[١٩].

---

(١٤) أبو داود في كتاب الادب ١٩٧/٥ ح ٤٨٨٤ والمسند ٣٠/٤ قال الالباني: حديث حسن، انظر صحيح الجامع الصغر ١٦٠/٥ ح ٥٥٦٦.

(١٥) صحيح البخاري: كتاب المظالم ٩٨/٥ ح ٢٤٤٣.

(١٦) صحيح البخاري كتاب المظالم ج ٩٧/٥ ح ٢٤٤٢ ومسلم كتاب البر والصلة ١٩٩٦/٤ ح ٢٥٨٠.

(١٧)، (١٨) سبق تخريجها ١٨٧، ١٩٢.

(١٩) الأدب المفرد للبخاري ص ٧٠ وأبي داود في كتاب الادب ٢١٧/٥ ح ٤٩١٨ والحديث حسن. انظر صحيح الجامع الصغير ٦/٦ ح ٦٥٣٢.

ولو أردنا تتبع كل النصوص في هذا الشأن لطال الحديث أكثر من هذا . وسيرة المصطفى ﷺ وأصحابه وخير القرون بعده والذين سلكوا سبيله واهتدوا بهديه على مدار التاريخ الاسلامي : تؤكد هذه الحقيقة الهامة .

ولقد كان التحام المسلمين ونصرة كل منهم لأخيه مثالاً فريداً في تاريخ التلاحم والتواصل والتناصر سواء على مستوى الأمة أم الأفراد . حيث حققوا الموالاة والمعاداة على أوضح صورها .

ولن ينتصر المسلمون الا اذا تحقق فيهم ـ بعد صفاء العقيدة ووضوحها ـ حب المسلم لأخيه كحبه لنفسه ، وشعوره بآلام أخيه كشعوره بما يصيبه هو ، وحب نصرته كما يحب أن ينصره هو ، والله ينصر من ينصره ان الله لقوي عزيز .

وتتحقق النصرة بعدة أمور منها : الدفاع بالنفس عن الأخ المسلم وكسر شوكة الظالمين وبذل المال له لاعزازه وتقوية جانبه ، والذب عن عرضه وسمعته والرد على أهل الباطل الذين يريدون خدش كرامة المسلمين . والدعاء للمسلم بظاهر الغيب بالنصر والتوفيق وتسديد الخطى وتتبع أخبار المسلمين في أنحاء المعمورة والوقوف على أحوالهم ودعمهم بقدر الاستطاعة .

كل هذه الأمور تحقق للانسان ولاءه لاخوانه المسلمين وتجعله عضواً عاملاً صالحاً في جسم الكيان الاسلامي .

الفصل الثاني

الهجرة

هذا الفصل له أهمية خاصة ، ذلك أن الهجرة مرتبطة بالولاء والبراء ، بل هي من أهم تكاليفها . والحديث فيها متشعب لذلك سأقسمه الى الفقرات التالية :

أ ـ الاقامة في دار الكفر وحكم ذلك .

ب ـ الهجرة من دار الكفر إلى دار الاسلام .

أ ـ الاقامة في دار الكفـر

لا بد لنا أولاً أن نعرف دار الكفر ودار الاسلام . فقد قال أهل العلم رحمهم الله :

إن دار الكفر : هي التي يحكمها الكفار ، وتجري فيها أحكام الكفر ، ويكون النفوذ فيها للكفار وهي على نوعين : ١) بلاد كفار حربيين . ٢) بلاد كفار مهادنين بينهم وبين المسلمين صلح وهدنة . فتصير اذا كانت الأحكام للكفار : دار كفر ، ولو كان بها كثير من المسلمين[٢٠] .

ودار الاسلام : هي التي يحكمها المسلمون ، وتجري فيها الاحكام الاسلامية ويكون النفوذ فيها للمسلمين ولو كان جمهور أهلها كفاراً[٢١] .

---

(٢٠)- الفتاوى السعدية للشيخ عبد الرحمن بن سعدى ٩٢/١ ط الأولى سنة ١٣٨٨ هـ دار الحياة بدمشق .

(٢١) المصدر السابق : ٩٢/١ .

ولما كان الاسلام هو دين العزة ودين القوة : فانه قد أبى على معتنقيه أن يستذلوا للكفار ، ولذلك جاء المنع من الاقامة بين ظهراني غير المسلمين ، لان اقامته بينهم تشعره بالوحدة والضعف وتربي فيه روح الاستخذاء والاستكانة ، وقد تدعوه إلى المحاسنة ثم المتابعة . والاسلام يريد للمسلم أن يمتلىء قوة وعزّة وأن يكون متبوعاً لا تابعاً ، وأن يكون ذا سلطان ليس فوقه الا سلطان الله لذلك حرم الاسلام على المسلم أن يقيم في بلد لا سلطان للاسلام فيه الا اذا استطاع أن يظهر إسلامه ويعمل طبقاً لعقيدته دون أن يخشى الفتنة على نفسه ، والا فعليه أن يهجر هذا البلد الى بلد يعلو فيه سلطان الاسلام فان لم يفعل فالاسلام بريء منه ما دام قادراً على الهجرة . وفي ذلك كله يقول المولى سبحانه

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا

٩٧ - ٩٩ النساء .

وقال ﷺ « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين » قيل : يا رسول الله ولم ؟ قال : « لا تراءى ناراهما »(٢٢) وقال « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله »(٢٣) ويقول « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها »(٢٤) ، (٢٥) .

(٢٢) سبق تخريجه ص ٢٢٤ .

(٢٣) سبق تخريجه ص ٢٤٧ .

(٢٤) المسند ٤/٩٩ وأبي داود كتاب الجهاد ٣/٧ ح ٢٤٧٩ والدارمي كتاب السير ٢/٢٣٩ وقال =

وقال الحسن بن صالح : من أقام في أرض العدو ـ وان انتحل الاسلام وهو يقدر على التحويل الى المسلمين فأحكامه أحكام المشركين ، واذا أسلم الحربي فأقام ببلادهم وهو يقدر على الخروج فليس بمسلم ، يحكم فيه بما يحكم على أهل الحرب في ماله ونفسه(٢٦) .

وقال الحسن : اذا لحق الرجل بدار الحرب ولم يرتد عن الاسلام فهو مرتد بتركه دار الاسلام(٢٧) .

وقال ابن حزم : من لحق بدار الكفر والحرب مختاراً محارباً لمن يليه من المسلمين : فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام المرتد كلها : من وجوب القتل عليه متى قدر عليه ، ومن اباحة ماله وانفساخ نكاحه وغير ذلك .

«وأما من فر إلى أرض الحرب لظلم خافه ، ولم يحارب المسلمين ، ولا أعان عليهم ، ولم يجد في المسلمين من يجيره ، فهذا لا شيء عليه ، لأنه مضطر مكره .

« أما من كان محارباً للمسلمين معيناً للكفار بخدمة أو كتابة فهو كافر .

« و ن كان إنما يقيم هنالك لدنيا يصيبها وهو كالذمي لهم ، وهو قادر على اللحاق بجمهرة المسلمين وأرضهم فما يبعد عن الكفر ، وما نرى له عذراً ، ونسأل الله العافية .

« و ما من سكن في أرض القرامطة مختاراً فكافر بلا شك لأنهم معلنون بالكفر وترك الاسلام . وأما من سكن في بلد تظهر فيه بعض الأهواء المخرجة الى الكفر فهو ليس بكافر لأن اسم الاسلام هو الظاهر هنالك على كل حال من التوحيد والإقرار برسالة محمد ﷺ والبراءة من كل دين غير الاسلام واقامة الصلاة وصيام رمضان وسائر الشرائع التي هي الاسلام والايمان .

« وقول رسول الله ﷺ « أنا بريء من كل مسلم أقام بين أظهر المشركين »

= الالباني : صحيح . انظر صحيح الجامع الصغير ١٨٦/٦ ح ٧٣٤٦ .

(٢٥) انظر : الاسلام وأوضاعنا القانونية للاستاذ عبد القادر عودة ص ٨١

(٢٦) ، (٢٧) أحكام القرآن للجصاص : ٢١٤/٣ .

يبيّن ما قلناه ، وأنه عليه السلام ، انما عنى بذلك دار الحرب ، والا فقد استعمل عليه السلام عماله على خيبر وهم كلهم يهود .

« ولو أن كافراً مجاهداً(*) غلب على دار من دور الاسلام ، وأقر المسلمين بها على حالهم الا انه هو المالك لها ، المنفرد بنفسه في ضبطها وهو معلن بدين غير الاسلام : لكفر بالبقاء معه كل من عاونه وأقام معه وان ادعى أنه مسلم ـ لما ذكرنا »(٢٨) .

وللشيخ حمد بن عتيق(٢٩) رحمه الله رسالة قيمة حول هذا الموضوع(٣٠) فقد قسم المقيمين في بلاد الحرب الى ثلاثة أقسام .

أحدهما : أن يقيم عندهم رغبة واختياراً لصحبتهم ، فيرضى ما هم عليه من الدين أو يمدحه ، أو يرضيهم بعيب المسلمين ، أو يعاونهم على المسلمين بنفسه أو ماله أو لسانه : فهذا كافر عدو لله ولرسوله لقوله تعالىٰ

لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ
مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ
فِى شَىْءٍ ٢٨ آل عمران .

(*) هكذا بالاصل والذي يظهر لي أن الصواب : مجاهراً لأن الكافر لا يسمى مجاهداً .

(٢٨) المحلى لابن حزم : ١٣/١٣٩ ـ ١٤٠ .

(٢٩) هو الشيخ المحقق حمد بن علي بن محمد بن عتيق ولد سنة ١٢٢٧ هـ بالزلفي وحفظ القرآن ، وكانت له همة وعلو نفس سمت به إلى معالي الأمور . تتلمذ على الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ صاحب كتاب فتح المجيد ولازمه . ولازم أيضاً غيره من العلماء . وجدّ واجتهد حتى صار من كبار العلماء . عين قاضياً في الخرج ثم الافلاج ومن مؤلفاته إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد . والنجاة والفكاك والدفاع عن أهل السنة والاتباع . والفرق المبين بين السلف وابن سبعين . وغير ذلك وتوفي سنة ١٣٠١ هـ عن عمر يناهز السبعين ورثاه تلميذه سليمان بن سحمان بقصيدة منها :
يعز علينا أن نرى اليوم مثله لحل عويص المشكلات البوادر
انظر ترجمته في كتاب علماء نجد خلال ستة قرون للبسام ١/٢٢٩

(٣٠) اسمها : الدفاع عن أهل السنة والاتباع : نشرها حفيده اسماعيل بن سعد بن عتيق بدون تاريخ .

قال ابن جرير : قد برىء من الله وبرىء الله منه لارتداده عن دينه ودخوله في الكفر . وقال تعالىٰ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ   ٥١ المائدة .

وقال ﷺ « من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله »[٣١] .

وصح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال : من بنى بأرض المشركين فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة[٣٢] .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : وظاهر هذا أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور .

وقال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : لما ذكر الأنواع التي يكفر بها الرجل : قال النوع الرابع : من سلم من هذا كله ولكن أهل بلده يصرون على عداوة التوحيد واتباع أهل الشرك وهو يعتذر أن ترك وطنه يشق عليه ، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه فهذا أيضاً كافر ، فانه لو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه ترك ذلك الا بمخالفتهم فعل . وموافقته لهم مع الجهاد معهم بنفسه وماله مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكبر من ذلك بكثير فهذا أيضا كافر وهو ممن قال الله فيهم

سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ
أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ

(٣١) الدفاع لابن عتيق ١٠ ١٢ والحديث سبق تخريجه ص ٢٤٧.
(٣٢) قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٠ اسناده صحيح

أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ
وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ
وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا (٣٣)

٩١ النساء .

القسم الثاني : أن يقيم عندهم لأجل مال أو ولد أو بلاد وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة ، ولا يعينهم على المسلمين بنفس ولا مال ولا لسان ، ولا يواليهم بقلبه ولا لسانه ، فهذا لا يكفرونه لأجل مجرد الجلوس ، ولكن يقولون أنه قد عصى الله ورسوله بترك الهجرة ، وان كان مع ذلك يبغضهم في الباطن لقول الله تعالىٰ

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ
قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ
وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ
مَصِيرًا

٩٧ النساء .

قال ابن كثير : « ظالمي أنفسهم » أي بترك الهجرة ، ثم قال : فهذه الآية عامة لكل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من اقامة الدين فهو مرتكب حراماً بالاجماع وبنص هذه الآية[٣٤] .

قلت : وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما . ان ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ يأتي

---

(٣٣) الدفاع ١٠ ـ ١٢

(٣٤) انظر تفسير ابن كثير ٣٤٣/٢ . والدفاع لابن عتيق : ١٣ .

السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله هذه الآية ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾[٣٥] .

وقد سد الله باب الاعذار الواهية في قوله تعالىٰ

قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ

٢٤ التوبة .

وما من أحد يترك الهجرة الا وهو يعتذر بشيء من هذه الثمانية وقد سد الله على الناس باب الاعتذار بها وجعل من ترك الهجرة لأجلها أو لأجل واحد منها فاسقاً واذا كانت مكّة هي أشرف بقاع الأرض وقد أوجب الله الهجرة منها ولم يجعل محبتها عذراً فكيف بغيرها من البلدان ؟[٣٦] .

القسم الثالث : من لا حرج عليه في الاقامة بين أظهرهم وهو نوعان :

(١) أن يكون مظهراً دينه فيتبرأ منهم وما هم عليه ، ويصرح لهم ببراءته منهم وانهم ليسوا على حق ، بل انهم على باطل وهذا هو اظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة كما قال تعالىٰ ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ الى آخر السورة .

---

(٣٥) صحيح البخاري كتاب التفسير ٢٦٢/٨ ح ٤٥٩٦ .

(٣٦) الدفاع لابن عتيق ص ١٣ ـ ١٤ وانظر : بيان النجاة والفكاك له أيضاً من ٧٠ ـ ٧٢

فأمره أن يخاطبهم بأنهم كافرون ، وأنه لا يعبد معبوداتهم ، وأنهم بريئون من عبادة الله أي انهم على الشرك وليسوا على التوحيد ، وأنه قد رضي بدينه الذي هو عليه وبريء من دينهم الذي هم عليه كما قال تعالىٰ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

١٠٤ ـ ١٠٥ يونس .

فمن قال مثل ذلك للمشركين لم تجب عليه الهجرة .

وليس المراد باظهار الدين : أن يترك الانسان يصلي ولا يقال له أعبد الأوثان ! فان اليهود والنصارى لا ينهون من صلى في بلدانهم ولا يكرهون الناس على أن يعبدون الأوثان ؟ ! بل المقصود : أن اظهار الدين هو : **التصريح للكفار بالعداوة كما احتج خالد بن الوليد على مجاعة**[٣٧] بأنه سكت ولم يظهر البراءة كما أظهرهاثمامة[٣٨] واليشكري . والقصة معروفة في السير ، فما لم يحصل التصريح للمشركين بالبراءة منهم ومن دينهم لم يكن اظهار الدين حاصلاً[٣٩] .

---

(٣٧) هو مجاعة بن مرارة بن سلمي الحنفي اليمامي . كان من رؤساء بني حنيفة وكان ممن اسر يوم اليمامة . وكان بليغاً حكيماً . ومن حكمه قال لابي بكر الصديق : اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يقاتل به ، والمال عند من لا ينفقه ضاعت الأمور الاصابة ٣٦٢/٣ .

(٣٨) هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن سلمة الحنفي أبو امامة اليمامي ، حديثه في البخاري حين أسر ثم أسلم قال ابن اسحاق ان ثمامة مثبت على اسلامه لما ارتد أهل اليمامة وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين الاصابة ٢٠٣/١ .

(٣٩) الدفاع ص ١٦ والقصة المذكورة هنا أوردها المؤلف في كتابه « النجاة والفكاك » حيث قال : لما سار خالد الى اليمامة لقتال المرتدين بعث قبله مائتي فارس ، وقال من أصبتم من الناس فخذوه فأخذوا « مجاعة » في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه فلما وصلوا إلى خالد قال له : يا خالد : لقد =

(٢) ان يقيم عندهم مستضعفاً وقد بين الله الاستضعاف في كتابه فقال :

إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ
وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا

٩٨ النساء .

وهذا الاستثناء بعد ما توعد المقيمين بين أظهر المشركين بأن

مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا

٩٧ النساء .

فاستثنى من لا يستطيع حيلة ولا يهتدون سبيلا . قال ابن كثير : لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا ما يسلكون الطريق(٤٠) .

وقال تعالى :

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ

= علمت أني قدمت على رسول الله ﷺ في حياته فبايعته على الاسلام وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس ، فان يك كاذباً قد خرج فينا فان الله يقول : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ فقال خالد : يا مجاعة تركت اليوم ما كنت عليه أمس وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك ، عنه وأنت أعز أهل اليمامة وقد بلغك مسيري - إقراراً له ورضاء بما جاء به فهلا أبديت عذراً وتكلمت فيمن تكلم ؟ فقد تكلم ثمامة فرد وأنكر ، وتكلم اليشكري : فإن قلت : أخاف قومي . فهلا عمدت إلي أو بعثت إليّ رسولاً ؟ فقال : إن رأيت يا بن المغيرة أن تعفو عن هذا كله ؟ فقال خالد : قد عفوت عن دمك ، ولكن في نفسي حرج من تركك .

بيان النجاة والفكاك ص ٦٨ - ٧٠ .

(٤٠) ابن كثير ٢/٣٤٣ .

هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا
وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا

٧٥ النساء .

فذكر في الآية الأولى : حالهم وهو العجز عن الخروج وعدم دلالة الطريق .

وذكر في الآية الثانية : مقالهم وهو أنهم يسألون الله أن يخرجهم من بلاد الشرك الظالم أهلها وأن يجعل لهم ولياً يتولاهم وناصراً ينصرهم ، فمن كانت تلك حاله وهذا مقاله

فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا
غَفُورًا (٤١)

٩٩ النساء .

وقد ذكر البغوي : أن الأسير المسلم عند الكفار اذا استطاع الخلاص والانفلات منهم لم يحل له المقام بينهم ، فان حلفوه انهم ان خلوه لا يخرج فحلف فخلوه ، وجب عليه الخروج ويمينه يمين مكره لا كفارة عليه فيها ، وإن حلف استطابة لنفوسهم من غير أن يحلفوه فعليه الخروج إلى دار الاسلام ويلزمه كفارة اليمين(٤٢) .

أما حكم السفر إلى بلاد الكفار الحربية لأجل التجارة ففي ذلك تفصيل : فان كان يقدر على اظهار دينه ولا يوالي المشركين جاز له ذلك فقد سافر بعض الصحابة رضي الله عنهم كأبي بكر رضي الله عنه وغيره إلى بلدان المشركين لأجل التجارة ولم ينكر ذلك النبي ﷺ كما رواه أحمد في مسنده(٤٣) وغيره .

---

(٤١) الدفاع ص ١٦ وما ذكره الشيخ حمد هنا موافق تماماً لاجابة الشيخين حسين وعبد الله ابني محمد بن عبد الوهاب حين سئلا في هذا الموضوع انظر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣٩/١ ط الأولى سنة ١٣٤٦ هـ مطبعة المنار بمصر .

(٤٢) شرح السنة للبغوي : ٢٤٦/١٠ .

(٤٣) هكذا في النص الذي في الجامع الفريد ولكنني بحثت عنه في المسند فلم أجده .

وان كان لا يقدر على اظهار دينه ولا على عدم موالاتهم لم يجز له السفر إلى ديارهم كما نص على ذلك العلماء وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك . ولأن الله تعالىٰ أوجب على الانسان العمل بالتوحيد ، وفرض عليه عداوة المشركين ، فما كان ذريعة وسببا إلى اسقاط ذلك لم يجز[٤٤] .

وبعد هذه النصوص الكثيرة الصريحة علينا أن ندرك مدى الهوة التي وصل اليها « المسلمون » اليوم ، ومدى موالاتهم لأعداء الله والاقامة بأرضهم وابتعاث أبنائهم إلى ديارهم لتحضير الشهادات العليا في الشريعة واللغة العربية !

انها مهزلة مبكية ووصمة عار سيسجلها التاريخ : ان يذهب أبناء المسلمين لأخذ الشهادات في العلوم الشرعية واللغة العربية من بلاد الكفار !

وقد كتب علماء أفاضل في خطورة هذه المسألة ، وبينوا مخاطر الابتعاث ، وأهداف الكفار من غسل أدمغة أبناء المسلمين ومسخهم من اسلامهم ، فلتراجع في مظانها[٤٥] .

ب : الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام

أصل المهاجرة : المجافاة والترك .

وفي الاصطلاح الشرعي : الانتقال من بلد الكفر والشرك الى دار الاسلام[٤٦] . ومن المعلوم : أن من كان دينه الاسلام المبني على صرف جميع العبادات لله وحده ونفي الشرك وبغضه وبغض أهله ومعاداتهم ومقاطعتهم فانه لا

---

(٤٤) انظر الجامع الفريد ص ٣٨٢ ط الثانية .

(٤٥) من هؤلاء الكتّاب : الاستاذ الدكتور محمد محمد حسين في كتبه القيّمة « الاتجاهات الوطنية » و « الاسلام والحضارة الغربية » و « حصوننا مهددة من داخلها » . وهناك بحث قيّم للشيخ محمد لطفي الصباغ بعنوان « الابتعاث ومخاطره » نشره المكتب الاسلامي فلتراجع أمثال هذه المؤلفات بخصوص ما ذكرنا .

(٤٦) انظر فتح الباري ١٦/١ .

يتركه أهل الكفر على دينه مع القدرة عليه كما اخبر عن ذلك المولى عزّ وجلّ بقوله :

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾

٢١٧ البقرة .

كما أخبر الله عن أصحاب الكهف أنهم قالوا :

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾

٢٠ الكهف .

وأخبر سبحانه بذلك عن جميع الكفار حيث قال :

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

١٣ ابراهيم .

وكذلك قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ : يّا ليتني أكون جذعاً اذ يخرجك قومك قال : أو مخرجي هم ؟! قال : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي ، فلذلك أخرجوه من مكّة إلى الطائف ثم هاجر إلى المدينة بعدما هاجر طائفة من أصحابه إلى الحبشة مرتين[٤٧] .

والهجرة شأنها عظيم ، وأمرها كبير اذ هي فرع الولاء والبراء ، بل انها من أبرز تكاليف الولاء والبراء ، وما كانت الجماعة المسلمة لتترك أرضها وقومها وتتكبد مشاق الغربة ووعثاء السفر لولا أن ذلك تكليف رباني لمن لا يستطيع أن

---

(٤٧) انظر الدفاع لابن عتيق ١٨ ـ ١٩ وقصة ورقة مع رسول الله ﷺ في ابن هشام ٢٥٤/١ .

يقيم دينه ، ويظهر اسلامه في أرضه . وقد وعد الله عباده المؤمنين المهاجرين بـ « الحسنات » في الدنيا والآخرة فقال

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٤١ - ٤٢ النحل .

وللهجرة مفهوم شامل في التصور الاسلامي ليس مقتصراً على الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الاسلام فحسب ولكنه كما يقول ابن القيم : الهجرة هجرتان هجرة بالجسم من بلد إلى بلد وهذه أحكامها معلومة .

والهجرة الثانية : الهجرة إلى الله ورسوله فهذه هي الهجرة الحقيقية ، وهجرة الجسد تابعة لها وهي هجرة تتضمن « من » و « إلى » فيهاجر بقلبه من محبة غير الله الى محبته ، ومن عبودية غيره إلى عبوديته ، ومن خوف غيره ورجائه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه . ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل . والاستكانة له الى دعائه سبحانه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له . وهذا بعينه معنى الفرار إلى الله كما قال تعالى

فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ

٥٠ الذاريات .

والتوحيد المطلوب من العبد هو الفرار من الله اليه .

والهجرة الى الله تتضمن : هجران ما يكرهه ، واتيان ما يحبه ويرضاه .

وأصلها : الحب والبغض ، فان المهاجر من شيء إلى شيء لا بد أن يكون ما يهاجر اليه أحب مما هاجر منه ، فيؤثر أحب الأمرين اليه على الآخر .

وهذه الهجرة تقوى وتضعف بحسب دواعي المحبة في قلب العبد ، فان كان

الداعي أقوى كانت هذه الهجرة أقوى وأتم وأكمل ، واذا ضعف الداعي ضعفت الهجرة حتى لا يكاد يشعر بها علماً ولا يتحرك لها ارادة[48] .

أما الهجرة التي هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الاسلام فاليك تفصيل أحكامها :

قال الخطابي :[49] كانت الهجرة في أول الاسلام مندوباً اليها غير مفروضة وذلك في قوله تعالى

وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ١٠٠ النساء .

فقد نزلت حين اشتد أذى المشركين على المسلمين عند انتقال رسول الله ﷺ إلى المدينة . ثم أمروا بالانتقال إلى حضرته ليكونوا معه ، فيتعاونوا ويتظاهروا أن حزبهم أمر ، وليتعلموا منه أمر دينهم ، ويتفقهوا فيه . وكان أعظم الخوف في ذلك الزمان من قريش وهم أهل مكّة ، فلما فتحت مكة ونخعت بالطاعة زال ذلك المعنى وارتفع وجوب الهجرة وعاد الأمر فيها إلى الندب والاستحباب فهما هجرتان : فالمنقطعة منها هي الفرض ، والباقية هي الندب . وبهذا يظهر الجمع بين حديث معاوية عن النبي ﷺ قال : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها »[50] . وبين حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا »[51] على أن بين الاسنادين ما بينهما فاسناد حديث ابن عباس متصل

(٤٨) الرسالة التبوكية لابن القيم ١٤ ـ ١٨ ط الثانية سنة ١٣٩٤ هـ السلفية بمصر .

(٤٩) هو الامام حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب من ولد زيد بن الخطاب . يكنى أبا سليمان . كان محدثاً فقيهاً وأديباً شاعراً لغوياً ومن تلاميذه الحاكم النيسابوري . ولد سنة ٣١٩ هـ في بلدة بست من بلاد كابل وتوفي فيها سنة ٣٨٨ هـ انظر مقدمة معالم السنن المطبوع مع سنن أبي داود ١١/١ والاعلام للزركلي ٢٧٣/٢ ط ٤ .

(٥٠) سبق تخريجه في أول هذا الفصل ص ٢٧١ .

(٥١) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب وجوب النفير ٣٧/٦ ح ٢٨٢٥ .

صحيح واسناد حديث معاوية فيه مقال[٥٢] .

ولأهمية موضوع الهجرة ـ خاصة في أول الاسلام ـ فقد قطع الله ولاية التناصر بين المسلمين المهاجرين في المدينة وبين المسلمين الذين لم يهاجروا وبقوا في مكّة . قال تعالىٰ :

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

٧٢ الانفال .

ثم يأتي الثناء على المهاجرين والأنصار في قوله تعالىٰ :

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ

٧٤ الانفال .

والكلام على المهاجرين والأنصار قد سبق فيه الحديث .

---

(٥٢) معالم السنن للخطابي : ٣٥٢/٣ تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي وانظر الناسخ والمنسوخ للحازمي ص ٢٠٧ .

أما الصنف الذي نريد أن نتحدث عنه هنا فهم المؤمنون الذين آمنوا ولم يهاجروا بل أقاموا في مكّة فهؤلاء هم الذين قال الله فيهم :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

٩٧ - ٩٩ النساء .

فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين ، يكثرون سوادهم على عهد رسول الله ﷺ ، يأتي السهم فيرمى به ، فيصيب أحدهم فيقتله ، أو يضرب عنقه فيقتل فأنزل الله ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾[٥٣] .

ولذلك فالذين آمنوا ولم يهاجروا ، بل أقاموا في بواديهم ليس لهم في المغانم نصيب ولا في خمسها الا ما حضروا فيه القتال كما قال الامام أحمد[٥٤] ، يدل على ذلك الحديث المروي في المسند وصحيح مسلم عن ابن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ اذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً واذا لقيت

---

(٥٣) سبق تخريجه ص ٢٧٨

(٥٤) تفسير ابن كثير ٤/٤٠ .

عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فايتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الاسلام فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين واخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فان أبوا ان يتحولوا منها فاخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا ان يجاهدوا مع المسلمين فان هم أبوا فسلهم الجزية ، فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم(٥٥) . . الحديث .

ونستطيع أن نلخص أنواع الهجرة ـ سواء ما بقي منها مفروضاً أو ما نسخ ، وما هو غير ذلك ـ في النقاط التالية :

(١) الهجرة من دار الحرب إلى دار الاسلام ، وكانت فرضاً في أيام النبي ﷺ وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة ، والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي ﷺ حيث كان . فمن أسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج إلى دار الاسلام(٥٦) .

ويؤيد ذلك حديث مجاشع بن مسعود(٥٧) حين جاء بأخيه مجالد بن مسعود إلى النبي ﷺ فقال : هذا مجالد يبايعك على الهجرة فقال النبي ﷺ « لا هجرة بعد فتح مكّة ولكن أبايعه على الاسلام »(٥٨) وعلى ذلك فان النصوص الواردة في وجوب الهجرة باقية في حال المسلم المقيم بدار الحرب وقد ذكرتها في الاقامة في دار الكفار .

---

(٥٥) الحديث في مسند أحمد ٣٥٢/٥ وفي صحيح مسلم كتاب الجهاد ١٣٥٧/٣ هـ ح ١٧٣١ .

(٥٦) أحكام القرآن لابن العربي ٤٨٤/١ وانظر شرح النووي على مسلم ٨/١٣ وتفسير القرطبي ٣٠٨/٥ .

(٥٧) هو مجاشع بن مسعود بن ثعلبة السلمي . قال البخاري وغيره له صحبة ، روى عنه أبو عثمان النهدي وغيره . قتل يوم الجمل . الاصابة ٣٦٢/٣ والمعارف لابن قتيبة ٣٣١ .

(٥٨) صحيح البخاري كتاب الجهاد ، باب لا هجرة بعد الفتح ١٨٩/٦ ح ٣٠٧٩ وصحيح مسلم كتاب الامارة ١٤٨٨/٣ ح ١٨٦٤

(٢) الخروج من أرض البدعة . قال الامام مالك : لا يحل لأحد أن يقيم ببلد سب فيها السلف[٥٩] .

(٣) الخروج عن أرض غلب عليها الحرام . فان طلب الحلال فرض على كل مسلم[٦٠]

وفي هذا الشأن يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : أحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلماً ، وتارة كافراً ، وتارة مؤمناً ، وتارة منافقاً ، وتارة براً تقياً ، وتارة فاجراً شقياً . وهكذا المساكن بحسب سكانها فهجرة الانسان من مكان الكفر والمعاصي الى مكان الايمان والطاعة كتوبته وانتقاله من الكفر والمعصية إلى الايمان والطاعة ، وهذا أمر باق إلى يوم القيامة[٦١] .

(٤) الفرار من الأذية في البدن ، وذلك فضل من الله عزّ وجلّ أرخص فيه ، فاذا خشي المرء على نفسه في موضع فقد أذن الله سبحانه له في الخروج عنه ، والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور ، وأول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام لما خاف من قومه قال

إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ

٢٦ العنكبوت .

وقال

إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ

٩٩ الصافات .

وموسى عليه السلام قال الله فيه

فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ [٦٢]

٢١ القصص .

---

(٥٩) ، (٦٠) أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٨٤ ، ٤٨٥ .

(٦١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٨/٢٨٤ .

(٦٢) أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٨٥ .

(٥) خوف المرضى في البلاد الوخمة ، والخروج منها الى الأرض النزهة وقد اذن النبي ﷺ للعرنيين في ذلك حين استوخموا المدينة أن يخرجوا الى المرج ، أيكونوا فيه حتى يصحوا وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون كما قرر ذلك الحديث الصحيح[٦٣] .

(٦) الفرار خوف الأذية في المال ، فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه ، والأهل مثله أو آكد[٦٤] .

وبعد : فان الهجرة وغيرها من الأعمال والأقوال ـ مبنية على النية كما قال ﷺ « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه[٦٥] .

---

(٦٣) المصدر السابق ٤٨٥/١ وحديث العرنيين في صحيح البخاري كتاب الطب ١٤٢/١٠ ح ٥٦٨٦ وصحيح مسلم كتاب القسامة ١٢٩٦/٣ ح ١٦٧١ أما حديث الطاعون ففي البخاري كتاب الطب ١٧٩/١٠ ح ٥٧٢٨ وصحيح مسلم كتاب السلام ١٧٤١/٤ ح ٢٢١٩ ونصه « اذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » .

(٦٤) أحكام القرآن ٤٨٦/١ .

(٦٥) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي ٩/١ ح ١ وصحيح مسلم كتاب الامارة ١٥١٥/٣ ح ١٩٠٧ .

الفصل الثالث

الجهاد في سبيـل الله

وهو من أهم مقتضيات الولاء والبراء لأنه الفاصل بين الحق والباطل وبين حزب الرحمن وحزب الشيطان والجهاد : بكسر الجيم ـ لغة : المشقة ، يقال : جهدت جهاداً : بلغت المشقة .

وشرعا : بذل الجهد في قتال الكفار(٦٦) .

ويطلق أيضاً : على مجاهدة النفس والشيطان والفساق .

فأما مجاهدة النفس : فعلى تعلم أمور الدين ، ثم على العمل بها ثم على ، تعليمها وأما مجاهدة الشيطان : فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات .

وأما مجاهدة الكفار : فتقع باليد والمال واللسان والقلب .

وأما مجاهدة الفساق : فباليد ثم اللسان ثم القلب(٦٧) .

وقد سبق القول في الفصل الثاني من الباب الأول (أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وطبيعة العداوة بينهما) : أن العداوة بين الفريقين أمر متأصل وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وذلك لأن المنهجين مختلفان ، ويستحيل الالتقاء بينهما لأن حزب الله يريد اقامة كلمة الحق في الأرض وهيمنة الشريعة الاسلامية

---

(٦٦) ، (٦٧) فتح الباري لابن حجر ٣/٦ .

على كل وضع . وحزب الشيطان يغيظه هذا المنهج فيسعى جاهداً في سحقه وابادته ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وقد تحدثنا عن البراء وقلنا : أن أبرز صوره هو الجهاد لأنه هو السبيل الوحيد للمفاصلة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان .

واذا رجعنا إلى سيرة المصطفى ﷺ : لوجدنا أن الجهاد هو الخطوة التالية للهجرة النبوية . مما يدل على أهمية في اقامة هذا الدين ، وبيع المُهج في سبيل الله تلبية لنداء الجهاد في سبيل الله .

ومن المعلوم : أن هذا الدين الحنيف يأمر بدعوة الناس إلى توحيد الله وافراده بالعبادة والألوهية فاذا لبوا هذا النداء فهذا هو المراد من بعثة الرسل ، وانزال الكتب وان انتكصوا على أعقابهم فلا بد من جهادهم

حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ

٣٩ الأنفال .

وقد سبق معنا حديث رسول الله ﷺ « . . فاذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم »[٦٨] .

فالدين الاسلامي يبدأ بدعوة الناس الى الخير وجدالهم بالتي هي أحسن فاذا قامت عليهم الحجة ثم أعرضوا وجب قتالهم . واذا كان هناك سلطان وطواغيت ترفض أن يستمع الناس للاسلام فانه يجب بتر هذه الطواغيت من أساسها لتبلغ كلمة الاسلام للناس ثم يأتي هنا مبدأ (لا اكراه في الدين) أي اذا سيطر سلطان المسلمين على منطقة ما فان أهلها لا يجبرون على اعتناق عقيدة الاسلام ، ولكن يجب أن يخضعوا لسلطانه ، فان أسلموا فلهم ما للمسلمين وان طلبوا البقاء على

(٦٨) سبق تخريجه ص ٢٨٧ .

ديانتهم فعليهم دفع الجزية للمسلمين والا فالسيف بينهم وبين المسلمين[٦٩] .

ومن هنا : فان أهداف الجهاد في الاسلام أهداف سامية عالية فهو :

(١) يقاتل الكفار لتقرير حرية العقيدة .
(٢) ويجاهد ثانياً لتقرير حرية الدعوة .
(٣) ويجاهد ثالثاً : لاقامة نظام الاسلام في الأرض . وتحقيق حرية الانسان ، حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال ، ويلغى من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها .

فليس هناك فرد ولا طبقة ولا أمة تشرع الأحكام للناس ، وتستذلهم عن طريق التشريع ، وانما هناك رب واحد للناس جميعاً هو الذي يشرع لهم وهو الذي يتوجهون اليه وحده بالطاعة والخضوع كما يتوجهون اليه بالايمان والعبادة على السواء[٧٠] .

وعبودية الجهاد من أشرف وأحب أنواع العبودية لله سبحانه وتعالى لأنه « لو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها . من الموالاة فيه سبحانه ، والمعاداة فيه والحب فيه والبغض فيه ، وبذل النفس له في محاربة عدوه ، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى ، وايثار محاب الرب على محاب النفس »[٧١] .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : انه « لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه . . لأن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ، وهو مشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة ، ففيه من محبة الله ، والاخلاص له ، والتوكل عليه ، وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع

---

(٦٩) انظر تفسير « لا إكراه في الدين » في ابن كثير ١/٤٥٩ وانظر فصل الجهاد في معالم في الطريق ص ٧٤ .
(٧٠) انظر طريق الدعوة ١/٢٨٨ - ٢٨٩ .
(٧١) مدارج السالكين ٢/١٩٦ .

الأعمال ما لا يشتمل عليه عمل آخر ، والقائم به من الشخص والأمة بين احدى الحسنيين دائماً : إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة »[٧٢] .

وقد وردت نصوص كثيرة جداً في فضيلة الجهاد نذكر طرفاً منها :

قال تعالىٰ في بيان منزلة الشهيد وانه حي عند ربه

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

١٦٩ ـ ١٧٠ آل عمران .

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ

١٥ الحجرات .

والجهاد هو التجارة الرابحة مع الله كما قال سبحانه

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ

---

(٧٢) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ص ١١٨ طبع الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٩ هـ .

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

١٠ - ١٣ الصف .

أما السنّة النبوية فقد ورد فيها أحاديث كثيرة في فضيلة الجهاد نذكر منها قوله ﷺ « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض[٧٣] .

وقال أيضاً « ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار »[٧٤] .

وفي الصحيح : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد قال : لا أجده . قال : هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر ؟ فقال ومن يستطيع ذلك[٧٥] .

وفي السنن أنه ﷺ قال « إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله تعالى »[٧٦] .

والجهاد ذروة سنام الاسلام كما جاء ذلك في الحديث « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد »[٧٧] وقال أيضاً « لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها » رواه البخاري[٧٨] ومسلم .

---

(٧٣) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين في سبيل الله ٦/١١ ح ٢٧٩٠ .
(٧٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد ٦/٢٩ ح ٢٨١١ .
(٧٥) صحيح البخاري كتاب الجهاد ٦/٤ ح ٢٧٨٥ .
(٧٦) سنن أبي داود كتاب الجهاد ٣/١٢ ح ٢٤٨٦ ومستدرك الحاكم ٢/٧٣ وسنده حسن . انظر مشكاة المصابيح ١/٢٢٥ ح ٧٢٤ .
(٧٧) سنن الترمذي : أبواب الايمان ٧/٢٨١ ح٢٦١٩ وابن ماجه ٢/١٣١٤ ح ٣٩٧٣ وقال الالباني : حديث صحيح . انظر صحيح الجامع ٥/ ٣٠ ح ٥٠١٢ .
(٧٨) البخاري كتاب الجهاد ٦/١٣ ح ٢٧٩٢ وصحيح مسلم كتاب الامارة ٣/١٤٩٩ ح ١٨٨٠ .

وفي مقابل هذا الثناء الجميل : ورد الذم للتاركين للجهاد ، بل ان الله وصفهم بالنفاق ومرض القلوب فقال تعالىٰ

قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ

٢٤ التوبة .

وقال سبحانه

فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ

٢٠ ـ ٢٣ محمد .

والجهاد ضرورة للدعوة وسنّة ربّانية في الابتلاء والتمحيص . قال تعالى

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ

١٤٢ آل عمران .

أَمْ
حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ
وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

١٦ التوبة .

« إن الجهاد في سبيل الله هو طريق الدعوة الى الله ، والجهاد ليس ملابسة طارئة من ملابسات فترة الدعوة الأولى . انما هو ضرورة مصاحبة لركب هذه الدعوة ، ولو كان الجهاد ملابسة طارئة في حياة الأمة المسلمة ما استغرق كل هذه الفصول الواسعة من صلب كتاب الله ولما استغرق فصولاً طويلة من سنة رسول الله ﷺ .

« والله يعلم أن هذا المنهج الإلهي تكرهه الطواغيت ، ويعلم أنه لا بد لأصحاب السلطان أن يقاوموه لأنه طريق غير طريقهم ، ومنهج غير منهجهم ، ليس بالأمس فقط ولكن اليوم وغداً ، وفي كل أرض وفي كل جيل ، وأن الله سبحانه يعلم أن الشر متبجح ولا يمكن أن يكون منصفاً ، ولا يمكن أن يدع الخير ينمو مهما يسلك هذا الخير من طرق سلمية موادعة فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطورة على الشر ، ومجرد وجود الحق يحمل الخطر على الباطل ولا بد أن يجنح الشر إلى العدوان، ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولته قتل الحق وخنقه بالقوة هذه فطرة وليست حالة طارئة . . ومن ثم لا بد من الجهاد . . لا بد منه في كل صورة ، ولا بد أن يبدأ في عالم الضمير ثم يظهر فيشمل عالم الحقيقة والواقع. ولا بد من مواجهة الشر المسلح بالخير المسلح ، ولا بد من لقاء الباطل

المترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة . والا كان الأمر هزلاً لا يليق بالمؤمنين . . ولا بد من بذل الأموال والأنفس كما طلب الله من المؤمنين »[٧٩] .

ويوم أن أدرك المسلمون معنى قوله تعالى

فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

٧٤ النساء .

انطلقت كتائب الفتح الاسلامي في الأرض تنشر الخير ، وتلقن الايمان ، وتكسر شوكة الطاغوت من اجل أن يعبد الله وحده في الأرض .

ووجد في ذلك التاريخ المشرق نماذج رفيعة أجادت ـ بحق ـ صناعة الموت لأنها تريد الحياة الكريمة سواء كانت هذه الحياة على هذه الأرض بالنصر واعلاء كلمة الله . أم بالحياة عند الله

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

١٦٩ آل عمران .

لقد كانت هذه النماذج الايمانية تستبطىء أن تحيل بينها وبين الجنة تمرات كما في قصة الصحابي الجليل عمير بن الحمام الانصاري :[٨٠] حين سمع رسول الله ﷺ يقول في غزوة بدر « قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض » قال : يا رسول الله : جنة عرضها السموات والأرض ! قال : نعم قال : بخ بخ قال

---

(٧٩) طريق الدعوة ٣٠٣/١ ـ ٣٠٤ .

(٨٠) هو عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الانصاري السلمي . ذكره موسى بن عقبة وغيره فيمن شهد بدراً . وهو أول قتيل قتل في سبيل الله في الحرب . انظر ترجمته في الاصابة ٣١/٣ .

رسول الله : وما يحملك على قول بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها . قال : « فانك من أهلها » ثم اخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة . فرمى بها ثم قاتلهم وهو يقول :

ركضاً الى الله بغير زاد الا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

فما زال يقاتل حتى قتل[٨١] .

وهذا غسيل الملائكة الصحابي الجليل حنظلة بن أبي عامر يخرج من بيته حين سمع نداء الحرب في معركة أحد وكان حديث عهد بعرس لم يكن ليتأخر حتى يغتسل من جنابته ، بل هرع إلى ساحة الوغى حتى لا يفوته الجهاد فلما قتل قال رسول الله ﷺ : « إن صاحبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبته ، فقالت : خرج وهو جنب لما سمع الهيعة فقال النبي ﷺ لذلك تغسله الملائكة »[٨٢] .

هذا غيض من فيض ، ونقطة من بحر ، من تلك البطولات التي بعث الايمان فيها شجاعة خارقة للعادة وحنيناً إلى الجنة واستهانة نادرة بالحياة ، تمثلوا الآخرة وتجلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأى العين ، فطاروا اليها طير حمام الزاجل لا يلوي على شيء[٨٣] .

هذا هو مفهوم الجهاد ، وهؤلاء المؤمنون هم أصحاب الجهاد ، ويلحق بهم من سار على نهجهم لأنهم يقاتلون في سبيل الله أما غيرهم فيقاتل في سبيل الطاغوت :

---

(٨١) مسند أحمد ١٣٧/٣ وصحيح مسلم كتاب الامارة ١٥٠٩/٣ ح ١٨٩٩ بدون ذكر الأبيات وانظر فقه السيرة للشيخ الغزالي ص ٢٤٤ .

(٨٢) الاصابة لابن حجر ٣٦٠/١ وانظر فقه السيرة للغزالي ٢٧٢ .

(٨٣) انظر مزيداً من تلك البطولات في ماذا خسر العالم للندوي ص ١٠٤ - ١٠٨ .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ۖ﴾

٧٦ النساء

وليس ما يقوله المنهزمون اليوم هو الجهاد ، بل انه من الوجهة الصحيحة فساد . انهم يدعون إلى عدم مقاتلة أولياء الشيطان ، ويدعون إلى موالاتهم والى موادتهم والى الاستكانة اليهم والى تمييع نصوص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مقابل شبهات الملاحدة انهزموا وذلوا واستكانوا لأنهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا يمثلون الا اسماً بدون مسمى ، همهم التقليد الأعمى ، وديدنهم الركض خلف كل ناعق ولو كان الأمر هكذا لهان الخطب لأنه لا عبرة بهم ففي أرض الله من يقوم بدين الله والله متكفل بذلك . ولكن ان يمتد جبنهم وذلتهم إلى الالتواء على النصوص القرآنية والسنّة النبوية فيقال : إن الجهاد في الاسلام هو للدفاع فقط ، فهذا ما يجب أن نعريه ، ولا نسكت عنه ، مهما كانت ألقابهم ومهما كانت شهرتهم ، فان دين الله هو الحق ، والحق أحق أن يتبع ولست بحاجة الى الاطالة في هذا فقد ذكرت في الفصول السابقة[٨٤] مجموعة من العلماء الفضلاء في القديم والحديث تولوا تعرية هذا الفكر الغريب على التصور الاسلامي . فلتراجع في مظانها .

وعوداً على بدء نقول : انه لا حياة شريفة في ظل هذا الدين الحنيف إلا بالعودة إلى ينابيعه الصافية كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وفهم العقيدة الصحيحة وسيرة سلف الأمة وادراك معنى لا إله إلا الله ومعنى العبادة ومعنى الدين ، ومعنى الجهاد في سبيل الله . وليس في سبيل الأرض أو الوطن أو الجنس أو اللون أو الشخص أو . . أو . . الخ .

وعلى المسلمين اليوم ادراك هذه المعاني والاستعلاء بأنفسهم وعقيدتهم من

---

(٨٤) راجع ص ٢١٧ .

تمييع المائعين وكيد الكائدين ، وأن يواجهوا كل موقف بما يمليه عليهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ، وليعلموا أنهم مفتقرون الى معية الله وولايته لهم وان كيد الشيطان كان ضعيفاً .

حكم التجسس على المسلمين

جرت عادة المصنفين من العلماء أن يدرجوا الحديث عن الجاسوس في باب الجهاد . وذلك لحكمة هامة وهي أن التجسس ابرز ما يكون في موضوع كشف عورات المسلمين لأعدائهم خاصة وقت نشوب الحرب ، فلذلك يأتون بالحديث عن الجاسوس ، وأحكامه في ذلك الموضع ولذلك اقتديت بهم فأوردت هذا المبحث في فصل الجهاد .

والتجسس خيانة عظمى ، وكبيرة من الكبائر اذا فعله المسلم . وهو من صور موالاة الكفار التي يتراوح الحكم فيها بين الكفر المخرج من الملة اذا كان تجسسه حباً في انتصار الكفار وعلو شوكتهم على المسلمين وبين الكبيرة من كبائر الذنوب اذا كان لغرض شخصي أو دنيوي أو جاه أو ما أشبه ذلك .

وقد حذر الله من ذلك في قصة حاطب بن أبي بلتعة[٨٥] رضي الله عنه في سورة الممتحنة .

قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ
تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ

---

(٨٥) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، حليف قريش ، وقيل هو حليف للزبير بن العوام . شهد بدراً والحديبية ومات سنة ثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وستين سنة وصلّى عليه عثمان رضي الله عنهم . وقد شهد الله لحاطب بالايمان في سورة الممتحنة . بعثه رسول الله ﷺ سنة ست من الهجرة الى المقوقس صاحب مصر والاسكندرية فأتاه من عنده بهدايا منها مارية القبطية . انظر الاستيعاب ١/٣٤٨ والاصابة ١/٣٠٠ .

يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ

١ الممتحنة .

قال الطبري : لا يدعونكم أرحامكم وقراباتكم وأولادكم إلى الكفر بالله واتخاذ أعدائه أولياء تلقون اليهم بالمودة ، فانه لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم عند الله يوم القيامة لأنه سيدخل أهل طاعته الجنة ، وأهل معاصيه والكفر به النار[٨٦] .

وروى البخاري في صحيحه بسنده عن عليّ رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود وقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها » فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا : أخرجي الكتاب . فقالت : ما معي من كتاب ، فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة الى أناس من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ يا حاطب ما هذا ؟ قال : يا رسول الله لا تعجل عليّ ، اني كنت امرءاً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم. فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضاً بالكفر بعد الاسلام . فقال رسول الله ﷺ « قد صدقكم » فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . قال : « انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا

(٨٦) تفسير الطبري ٦١/٢٨ .

ما شئتم فقد غفرت لكم ﴾ فأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾[87] الآيات .

قال العلامة ابن القيم : يؤخذ من هذه القصة جواز قتل الجاسوس وان كان مسلماً ، لأن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ قتل حاطب بن أبي بلتعة فلم يقل رسول الله ﷺ لا يحل قتله انه مسلم بل قال : وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال « اعملوا ما شئتم » فأجاب بأن فيه مانعاً من قتله وهو شهوده بدراً . وفي الجواب بهذا كالتنبيه على جواز قتل جاسوس ليس له مثل هذا المانع . وهذا مذهب مالك واحد الوجهين في مذهب أحمد ، وقال الشافعي وأبو حنيفة لا يقتل وهو ظاهر مذهب أحمد ، والفريقان يحتجون بقصة حاطب .

والصحيح : ان قتله راجع الى رأي الامام ، فان رأى في قتله مصلحة للمسلمين قتله وان كان استبقاؤه أصلح استبقاه والله أعلم[88] .

وقال أيضاً : ومن فوائد هذه القصة : ان الكبيرة العظيمة مما دون الشرك قد تكفر بالحسنة الكبيرة الماحية ، كما وقع الجس من حاطب مكفراً بشهوده بدراً ، فان ما اشتملت عليه هذه الحسنة العظيمة من المصلحة وتضمنته من محبة الله لها ورضاه وفرحه بها ، ومباهاته للملائكة بفاعلها : أعظم مما اشتملت عليه سيئة الجس من المفسدة ، وتضمنته من بغض الله لها فغلب الأقوى على الاصعف ، فأزاله وأبطل مقتضاه ، وهذه حكمة الله في الصحة والمرض الناشئن من الحسنات والسيئات ، الموجبين لصحة القلب ومرضه قال تعالىٰ :

إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ

١١٤ هود .

---

(٨٧) صحيح البخاري كتاب التفسير تفسير سورة الممتحنة ٨/٦٣٣ ح ٤٨٩٠

(٨٨) زاد المعاد ٣/٤٢٢ بتصرف بسيط .

وقال

﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ ٣١ النساء .

إلى أن قال : « فتأمل قوة ايمان حاطب التي حملته على شهود بدر ، وبذله نفسه مع رسول الله ﷺ وايثاره الله ورسوله على قومه وعشيرته وقرابته وهم بين ظهراني العدو وفي بلدهم ولم يثن ذلك عنان عزمه ، ولا فل من حد ايمانه ومواجهته للقتال لمن أهله وعشيرته وأقاربه عندهم ، فلما جاء مرض الجس برزت اليه هذه القوة . وكان البُحران(*) صالحاً فاندفع المرض وقام المريض كأن لم يكن به قَلبةٌ(**) ولما رأى الطبيب قوة ايمانه قد استعلت على مرض جسه وقهرته قال لمن أراد فصده : لا يحتاج هذا العارض إلى فصاد ربما يندريئ لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال ، أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، وعكس هذا ذو الخويصرة التميمي(٨٩) واضرابه من الخوارج الذين بلغ اجتهادهم في الصلاة والصيام والقراءة إلى حد يحقر أحد الصحابة عمله معه كيف قال فيهم : « لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد »(٩٠) . وقال « اقتلوهم فان في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم »(٩١) . ومن له لب وعقل يعلم قدر هذه المسألة : وشدة حاجته اليها وانتفاعه بها ، ويطلع منها على باب عظيم من أبواب معرفة الله سبحانه وحكمته في

(*) الأطباء يسمون التغير الذي يحدث للعليل دفعة واحدة في الأمراض الحادة : بحرانا انظر حاشية ص ٤٢٥ ج ٣ زاد المعاد .

(* *) القلبة : الداء والتعب . انظر مادة قلب في القاموس المحيط .

(٨٩) ذو الخويصرة التميمي ذكره ابن الاثير في الصحابة مستدركاً على من قبله ولم يورد في ترجمته سوى ما أخرجه البخاري كتاب المناقب ٦١٧/٦ ح ٣٦١٠ ومسلم في الزكاة ٧٤٠/٢ ح ١٠٦٣ من حديث أبي سعيد قال : بينا رسول الله ﷺ يقسم ذات يوم قسماً فقال ذو الخويصرة رجل من بني تميم يا رسول الله : اعدل فقال : « ويلك ومن يعدل اذا لم أعدل » الحديث انظر الاصابة لابن حجر ٤٨٥/١ .

(٩٠) سبق تخريجه ص ٥١ .

(٩١) صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة ٦١٨/٦ ح ٣٦١١ وصحيح مسلم كتاب الزكاة ٧٤٦/٢ ح ١٠٦٦

خلقه وأمره وثوابه وعقابه ، وأحكام الموازنة . . وتفاوت المراتب في ذلك بأسباب مقتضية بالغة ممن هو قائم على كل نفس بما كسبت[٩٢] .

والذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ هو ما ذهب اليه مالك وابن عقيل من أصحاب أحمد وغيرهما أن الجاسوس المسلم يقتل لان التعليل في قصة حاطب (تعليل بعلة مانعة من القتل منتفية في غيره ولو كان الاسلام مانعاً من قتله لم يعلل بأخص منه ، لأن الحكم اذا علل بالأعم كان الأخص عديم التأثير وهذا أقوى والله أعلم)[٩٣] .

ونزول الخطاب القرآن بقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ .

يدل على دخول حاطب في المخاطبة باسم الايمان ووصفه به ، وتناوله النهي بعمومه ، وله خصوص السبب الدال على ارادته ، مع أن في الآية ما يشعر أن فعل حاطب نوع موالاة وانه أبلغ بالمودة ، فان فاعل ذلك قد ضل سواء السبيل ، لكن قوله ﷺ « صدقكم خلوا سبيله » ظاهر في أنه لا يكفر بذلك اذا كان مؤمناً بالله ورسوله غير شاك ولا مرتاب ، وانما فعلك لغرض دنيوي ، ولو كفر لما قيل « خلوا سبيله »[٩٤] . أما الجاسوس الكافر فهذا يجب قتله لأنه ﷺ قتل جاسوساً من المشركين . فعن أياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال : أتى النبي ﷺ عين من المشركين وهو في سفر فجلس عند أصحابه يتحدث ثم انتقل فقال النبي ﷺ « اطلبوه واقتلوه » . فقتلته فنفلهُ سَلَبَه[٩٥] .

---

(٩٢) بتصرف . زاد المعاد ٣/٤٢٤ ـ ٤٢٧ .
(٩٣) زاد المعاد ٣/١١٤ وانظر أقضية الرسول ﷺ لابن فرج المالكي ص ٢٥ .
(٩٤) ارشاد الطالب للشيخ سليمان بن سحمان ص ١٥ .
(٩٥) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب الحربي اذا دخل دار الاسلام بغير أمان ٦/١٦٨ ح ٣٠٥١ وأبي داود في الجهاد ٣/١١٢ ح ٢٦٥٣ .

الفصل الرابع

هجر أصحاب البدع والأهـواء

من تكاليف الولاء والبراء : هجر أصحاب البدع والأهواء والبراءة من معتقداتهم الفاسدة ونحلهم الباطلة . وقد تكلمت في الفصل الثالث من الباب الأول عن طرف من موقف السلف من هؤلاء المبتدعة ، وذكرت هناك تعريف البدعة وتقسيمها إلى كفرية وغير كفرية .

أما الحديث هنا فيأتي لبيان ان هجرهم وعدم مخالطتهم والانكار عليهم واجب من واجبات الولاء والبراء ، ومقتضى من مقتضياته ، لأن المنطلق في هذه القضية هو حب الله وحب ما يحبه وبغض من يبغضه أو يرتكب ما يغضبه . وفساد الدين انما يأتي من احدى طريقتين أو هما معاً : فاما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكم به وهو الخوض ، أو يقع في العمل بخلاف الحق والصواب وهو الاستمتاع بالخلاق .

فالأول : البدع ، والثاني : اتباع الهوى ، وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبـلاء . وبهما كُـذبت الرسـل ، وعُصي الرب ، ودُخِلَتْ النـار ، وحلت العقوبات ، لأن الفساد في الاعتقاد يأتي من جهة الشبهات والفساد في العمل يأتي من جهة الشهوات ولهذا كان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين : صاحب هوى فتنه هواه وصاحب دنيا أعجبته دنياه[96] .

---

(٩٦) اعلام الموقعين لابن القيم ١٣٦/١ وانظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٢٥ .

ويقولون أيضاً : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فان فتنتهما فتنة لكل مفتون ، لأن الأول يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ولا يتبعونه ، والثاني يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم[٩٧] .

وخطورة البدعة تكمن في أنها تناقض « الاستسلام لله وحده » كما قال بعض السلف : « قدم الاسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم »[٩٨] وهي ـ كما قال الامام سفيان الثوري ـ أحب الى ابليس من المعصية ، لأن البدعة لا يتاب منها ، أما المعصية فيتاب منها . ذلك أن المبتدع الذي يتخذ ديناً لم يشرعه الله ورسوله قد زُين له سوء عمله فرآه حسناً ، فهو لا يتوب ما دام يراه حسناً ، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه . فما دام يرى فعله حسناً ـ وهو سيء في نفس الأمر ـ فانه لا يتوب .

ولكن التوبة ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبيّن له الحق ، كما هدى الله من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف أهل البدع والضلال ، وذلك بأن يتبع من الحق ما علمه لأن الله يقول :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[٩٩] ١٧ محمد .

واذا انتشرت الجهالة بدين الرسل بين الناس ، ونما زرع الجاهلية في نفوسهم : سارعت الطباع الى الانحلال من ربقة الاتباع لأن النفس فس فيها نوع من الكبر فهي تحب أن تخرج من العبودية بحسب الامكان كما قال احد السلف : ما ترك أحد سنة الا تكبر في نفسه[١٠٠] . وكما قلنا في الفصل الثاني من الباب الأول : ان العداوة بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان أمر محتم وواقع فان العداوة هنا بين المتبع والمبتدع تأخذ نفس المرتبة والشأن ولذلك قال الشوكاني : العداوة

---

(٩٧) اقتضاء الصراط ص ٢٥ .

(٩٨) شرح السنة للبغوي ١٧١/١ .

(٩٩) انظر التحفة العراقية لابن تيمية ص ٣٨ .

(١٠٠) ملحق مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب ص ٨٧ ط جامعة الامام .

بين المتبع والمبتدع أوضح من الشمس لأن المتبع يعادي المبتدع لبدعته ، والمبتدع يعادي المتبع لاتباعه وكونه على الصواب . بل قد تبلغ عداوات أهل البدع لغيرهم من أهل البدع فوق ما تبلغه عداواتهم لليهود والنصارى [١٠١] . وقبل أن نعرف كيفية البراءة من أهل البدع والأهواء لا بد من المامة بسيطة بكيفية مخالطة الناس . وقد رأيت كلاماً حسناً لابن القيم رحمه الله . أوجزه فيما يلي : فقد قسم رحمه الله مخالطة الناس إلى أربعة أضرب[١٠٢] :

(١) من مخالطته كالغذاء ، لا يستغني عنه في اليوم والليلة ، فاذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ثم اذا احتاج خالطه . وهذا النوع أعز من الكبريت الأحمر ، وهم العلماء بالله وأمره ومكايد عدوه ، الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه . فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كله .

(٢) من مخالطة كالدواء يحتاج اليه عند المرض ، فما دمت صحيحاً فلا حاجة لك فيه . وهم من لا يستغني عن مخالطتهم في المعاش ، وما يحتاج اليه من المعاملات والمشاركات فاذا قضيت حاجتك من مخالطته بقيت مخالطتهم من القسم الثالث وهم :

(٣) من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه ، فبعضهم كالداء العضال لا تربح عليه في دين ولا دنيا ، بل تخسر معه الدين والدنيا أو احدهما ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يؤلمك فاذا فارقك سكن الألم . ومنهم من مخالطته حمى الروح ، وهو الثقيل البغيض العقل ، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ، واذا تكلم فكلامه كالعصي على قلوب السامعين مع اعجابه بكلامه ، وظنه أنه كالمسك يطيب به المجلس وان سكت فاثقل من نصف الرحى التي لا يطاق حملها ، ولا جرها على الأرض ، واذا كان لا بد من هذا الضرب فليعاشر بالمعروف حتى يجعل الله لك منه فرجاً ومخرجاً .

(٤) من مخالطته فيها الهلاك كله ، وهي بمنزلة أكل السم ، فان اتفق لأكله

---

(١٠١) قطر الولي للشوكاني ص ٢٥٩ .

(١٠٢) بدائع الفوائد ٢/٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

ترياق[١٠٣] والا فأحسن الله فيه العزاء ، وما أكثر هذا الضرب في الناس لأكثرهم الله . وهم أهل البدع والضلالة ، الصادون عن سنة رسول الله ﷺ ، الداعون الى خلافها ، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، فيجعلون البدعة سنّة ، والسنّة بدعة والمعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، ان جردت التوحيد بينهم قالوا : تنقصت جناب الأولياء والصالحين ، وان جردت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا : أهدرت الائمة المتبوعين وان وصفت الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير قالوا أنت من المشبهين ، وان أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عمّا نهى الله عنه ورسوله من المنكر قالوا : أنت من المفتنين ، وان اتبعت السنّة وتركت ما خالفها قالوا : أنت من أهل البدع المضلين ، وان انقطعت إلى الله تعالىٰ وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا : أنت من الملبسين ، وان تركت ما أنت عليه واتبعت أهواءهم فانت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين !

فالحزم كل الحزم التماس مرضاة الله تعالىٰ ورسوله باغضابهم ، وان لا تشتغل باعتباهم ولا باستعتابهم ولا تبالي بذمهم ، ولا بغضهم فانه عين كمالك كما قال الشاعر :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل

وعند الممات يحمد القوم التقى ، وفي الصباح يحمد القوم السرى . انتهى من البدائع الفوائد .

وموقف المسلم من أصحاب البدع والأهواء يختلف باختلاف ما هم عليه . فأما من كانت بدعته كفرية أو شركية فهذا يتبرأ منه ويهجر هجراً نهائياً وليس له أي موالاة بل البراءة منه كالبراءة من الكافر الاصلي أو المشرك . ومثال ذلك من أحدث حدثاً في الاسلام ، أو آوى محدثاً ونصره وأعانه كما جاء في الحديث « من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »[١٠٤] . قال ابن القيم : (ومن أعظم الحدث تعطيل كتاب الله وسنّة

---

(١٠٣) الترياق : بكسر التاء : دواء السموم وهو فارسي معرب . مختار الصحاح ص ٩١ .

(١٠٤) أبو داود كتاب الديات ٦٦٩/٤ ح ٤٥٣٠ والنسائي في القسامة ٢٠/٨ واسناده حسن .

رسوله وأحداث ما خالفهما ، ونصر من أحدث ذلك والذب عنه ، ومعاداة من دعا الى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ)[105] وأما من كانت بدعته دون ذلك أي من المعاصي والذنوب التي لا تصل إلى حد الكفر أو الشرك فهذه تختلف أيضاً باختلاف الأشخاص والأزمان .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يستقيم الا بالبصيرة والمعرفة التامة ، وأقل الأحوال اذا لم يحصل للعبد ذلك : أن يقتصر على نفسه كما قال ﷺ : « اذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك[106] . فاذا رأى المسلم من يعمل شيئاً من المعاصي : أبغضه على ما فيه من الشر ، وأحبه على ما فيه من الخير ـ كما ذكرنا ذلك في معتقد أهل السنة في أول البحث ـ ولا يجعل بغضه على ما معه من الشر قاطعاً وقاضياً على ما معه من الخير فلا يحبه ، بل ان كان بغضه له يزجره ويزجر أمثاله عن هذه المعصية مثلاً : هجره وأبغضه ، وان كان لا يزجره ذلك ولا يرتدع هو وأمثاله راعى فيه الاصلح ، لأن النبي ﷺ هجر من علم أن الهجر يزجره ويردعه ، وقبل معذرة من علم أن الهجر لا ينجع فيه شيئاً ووكل سرائرهم إلى الله[107] .

وعلى أي حال فانه ينبغي للمسلم أن لا يخالط أهل البدع والفجور وسائر المعاصي ، الاّ على وجه يسلم به من عذاب الله عزّ وجلّ ، وأقل ذلك أن يكون منكراً لظلمهم ، ماقتاً لهم ، شائناً ما هم فيه بحسب الامكان كما في الحديث ، « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان »[108] .

---

(١٠٥) اعلام الموقعين لابن القيم ٤/٤٠٥ .

(١٠٦) أبو داود كتاب الملاحم ٤/٥١٢ ح ٣٤١ والترمذي في التفسير ح ٣٠٦٠ وقال : حديث حسن غريب وابن ماجة في الفتن ٢/١٣٣١ ح ٤٠١٤ وانظر جامع الأصول ١٠/٣ ح ٧٤٥٣ .

(١٠٧) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٧/٤١ .

(١٠٨) تفسير سورة النور لابن تيمية ص ٥٥ ط ١/١٣٩٧ هـ والحديث في صحيح مسلم كتاب الايمان ١/٦٩ ح ٤٩ .

والهجر الشرعي نوعان :

الأول : بمعنى الترك للمنكرات .

والثاني : بمعنى العقوبة عليها .

فالأول هو المذكور في قوله تعالىٰ

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾

٦٨ الأنعام .

وقوله تعالىٰ

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾

١٤٠ النساء .

وهذا الهجر من جنس هجر الانسان نفسه عن فعل المنكرات كما قال ﷺ « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه »(١٠٩) . ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الاسلام والايمان ، فانه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به ، ومن هذا قوله تعالىٰ

﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾

٥ المدثر .

أما النوع الثاني وهو الهجر على وجه التأديب : فهو هجر من يظهر المنكرات حتى يتوب منها كما هجر النبي ﷺ والمسلمون « الثلاثة لذين خلفوا »(١١٠) حتى أنزل الله توبتهم .

---

(١٠٩) صحيح البخاري كتاب الايمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ج ٥٣/١ ح ١٠ .

(١١٠) سيرد حديثهم إن شاء الله في الباب الأخير عند الحديث عن كعب بن ماك وهو أحدهم .

وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم ، وقلتهم وكثرتهم فان المقصود به زجر المهجرو وتأديبه ، ورجوع العامة عن مثل حاله ، فان كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعاً ، وان كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر ، والهاجر ضعيف ، بحيث تكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر ، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر .

وقد كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين .

واذا عرف هذا فالهجر يجب أن يكون خالصاً لله وموافقاً لأمره ، لأن من هجر لهوى نفسه أو هجر هجراً غير مأمور به كان خارجاً عن هذا الأصل ، وما أكثر ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله(١١١) .

والهجر من باب « العقوبات الشرعية » فهو من جنس الجهاد في سبيل الله ، وهذا يفعل لأن تكون كملة الله هي العليا ، ويكون الدين كله لله ، والمؤمن عليه أن يعادي في الله ، ويوالي في الله ، فان كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وان ظلمه ، فان الظلم لا يقطع الموالاة الايمانية قال تعالى :

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى
ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن
فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ
أَخَوَيْكُمْ

٩ ـ ١٠ الحجرات .

---

(١١١) انظر مجموع الفتاوى ج ٢٨/٢٠٣ ـ ٢٠٧ .

فجعلم اخوة مع وجود القتال والبغي[112] .

ومما ينبغي التنويه به : « ان هذا الهجران والتبري والمعاداة لأهل البدع المخالفين في الأصول . أما الاختلاف في الفروع بين العلماء فاختلاف رحمة أراد الله أن لا يكون على المؤمنين حرج في الدين ، فذلك لا يوجب الهجران والقطيعة ، لأن هذا الاختلاف كان بين أصحاب رسول الله ﷺ اخواناً مؤتلفين ، رحماء بينهم ، وتمسك بقول كل فريق منهم طائفة من أهل العلم بعدهم ، وكل في طلب الحق ، وسلوك سبيل الرشد مشتركون »[113] .

كلمات للسلف في الاتباع والنهي عن الابتداع

سلف الأمة رحمهم الله كانوا حريصين على الوقوف عند كتاب الله العزيز وسنّة نبيه ﷺ وكانوا يمقتون من يخرج عن هذين المصدرين الاصليين . وقد كثر كلامهم في هذا ولكني أورد بعض هذه الكلمات القيمة لما لها من أثر في تزويد المؤمن بالثبات على ما ثبتوا عليه .

قال الامام مالك رحمه الله : « من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين ، لأن الله تعالى يقول :

ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ٣ المائدة .

فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً »[114] .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ستجدون قوماً يدعونكم الى كتاب الله وقد

---

(١١٢) المصدر السابق ٢٠٨/٢٨ .

(١١٣) شرح السنّة للبغوي ٢٢٩/١ .

(١١٤) الاعتصام للشاطبي ٥٣/٢

نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإيّاكم والتبدع والتنطع والتعمق ، وعليكم بالعتيق(١١٥) .

وقال أبو العالية الرياحي : تعلموا الاسلام فاذا علمتوه فلا ترغبوا عنه ، وعليكم بالصراط المستقيم ، فان الصراط المستقيم : الاسلام ، ولا تحرفوه يميناً ولا شمالاً ، وعليكم بسنة نبيكم وأصحابه(١١٦) .

وقال الشافعي رحمه الله : لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ـ ما خلا الشرك ـ خير من أن يلقاه بشيء من الهوى(١١٧) .

وقيل لسفيان بن عيينة : ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديد لاهوائهم فقال : أنسيت قوله تعالىٰ

وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ (١١٨)

٩٣ البقرة .

ولذلك قال أبو قلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء فاني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون(١١٩) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »(١٢٠) حقاً ، لقد كفينا فكتاب الله واضح وجلي ، وسنة رسوله ﷺ واضحة ومفصلة وشارحة لكتاب الله ، وسيرة سلفنا الصالح محفوظة لدينا وما علينا الا اتباع الكتاب والسنّة والبعد عن كل مبتدع ودخيل ، واذا فعلنا ذلك كنا أمة متميزة لها شخصيتها المستقلة التي لا تجاري أصحاب الأهواء والآراء البشرية الناقصة .

---

(١١٥) التنبيه والرد للمالطي ص ٨٥ ومعنى العتيق : أي القديم الأولّ .

(١١٦) المصدر السابق ص ٨٤ .

(١١٧) الاعتقاد على مذهب السلف للبيهقي ص ١١٨ .

(١١٨) العبودية لابن تيمية ص ٧٠ .

(١١٩) الاعتقاد للبيهقي ص ١١٨ .

(١٢٠) سنن الدارمي في العلم باب كراهية الأخذ بالرأي ١/ ٦٩ . قال السخاوي : وأخرجه الديلمي في مسنده . انظر المقاصد الحسنة ص ١٦ :

وما تبعت أمة داعي كل ناعق الا تردت في مهاوي الجهل والظلام والله يريد لعباده المؤمنين النور والصلاح والفلاح وكل ذلك في الاسلام وحده وما عداه فجاهلية وضلال . اعاذنا الله من ذلك .

الفصل الخامس

انقطاع التوارث والنكاح بين المسلم والكافر

من حرص الاسلام على تميز المسلم وقطع العلائق والوشائج التي قد ترده عمّا أراده الله له : قطع التوارث بين المسلم وقريبه الكافر ، وكان هذا التكليف من مقتضيات الولاء والبراء في التصور الاسلامي .

ولكن ذلك جاء بعد الأمر للنبي ﷺ بالجهاد ، فقد كان ﷺ - كما يذكر ابن القيم - قبل أن يفرض الجهاد يقر الناس على ما هم عليه في الانكحة ويدعوهم الى الاسلام ، وكانت المرأة تسلم وزوجها كافر فلا يفرق الاسلام بينهما حتى صلح الحديبية وبعد هذا الصلح نزل تحريم المسلمة على الكافر[١٢١] . قال تعالىٰ :

لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ

١٠ الممتحنة .

وقال تعالىٰ :

وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ

نفس الآية .

لقد آن أن تقع المفاصلة الكاملة وان يستقر في ضمير المؤمنين والمؤمنات كما

(١٢١) احكام أهل الذمة ١/٦٩ .

يستقر في واقعهم : ان لا رابطة الا رابطة الايمان ، وان لا وشيجة الا وشيجة العقيدة ، وأن لا ارتباط الا بين الذين يرتبطون بالله[١٢٢] .

وجاء التحريم أيضاً في سورة البقرة في قوله تعالىٰ

وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

٢٢١ البقرة .

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدى : قوله تعالىٰ

ولا تنكحوا المشركات

هذه عامة في جميع النساء المشركات ، وخصصتها آية المائدة في إباحة نساء أهل الكتاب كما قال تعالىٰ :

وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ

٥ المائدة .

أما قوله تعالى :

ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا

فهذا عام لا تخصيص فيه .

---

(١٢٢) الظلال ٣٥٤٦/٦ .

وذكر سبحانه العلة والحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة لمن خالفهما في الدين فقال ﴿ أولئك يدعون إلى النار ﴾ أي في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم فمخالطتهم على خطر منهم : بل انه الشقاء الأبدي(١٢٣) .

ونكاح المسلم للكتابية مجمع عليه ـ كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية ـ من السلف والخلف ولكن يروى عن ابن عمر أنه كره نكاح النصرانية وقال : لا أعلم شركاً أعظم ممن تقول إن ربّها عيسى ابن مريم(١٢٤) ، ولكن الجواب على ذلك من ثلاثة أوجه :

(١) ان أهل الكتاب لم يدخلوا في المشركين بدليل

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ

الآية ٦٢ سورة البقرة .

فان قيل قد وصفوا بالشرك بقوله

ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن
دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ
إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ

٣١ التوبة .

قيل : أهل الكتاب ليس في أصل دينهم شرك ، لأن الله بعث الرسل

---

(١٢٣) تفسير كلام المنان لابن سعدى ١/٢٧٤ .

(١٢٤) الحديث في صحيح البخاري كتاب الطلاق باب قول الله تعالى ﴿ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ﴾ . عن نافع أن ابن عمر كان اذا سئل عن نكاح النصرانية واليهودية قال : ان الله حرم المشركات على المؤمنين ولا أعلم من الاشراك شيئاً أكبر من أن تقول المرأة ربها عيسى وهو عبد من عباد الله . ٩/٤١٦ ح ٥٣٨٥ .

بالتوحيد ، ولكن النصارى ابتدعوا الشرك وما دام انه ميزهم عن المشركين فلأن أصل دينهم اتباع الكتب المنزلة .

(٢) أن يقال : آية البقرة عامة وآية المائدة خاصة . والخاص يقدم على العام .

(٣) أن يقال آية المائدة ناسخة لآية البقرة لأن المائدة نزلت بعد البقرة باتفاق العلماء[١٢٥] .

والذي يظهر لي . والله أعلم ـ أن الجواب الأول من الأجوبة الثلاثة التي ذكرها شيخ الاسلام غير مسلم به ، مع التسليم بأن أصل دينهم هو التوحيد ، ولكنهم نقضوا هذا الاصل والعبرة بالخواتيم . أما الجواب الثاني والثالث فهذا الذي ذهب اليه كثير من أهل العلم[١٢٦] .

وأما انقطاع التوارث بين المسلم والكافر فهذا أيضاً من التكاليف ، والمقتضيات للولاء والبراء ودليل ذلك قوله ﷺ « لا يرث المسلم الكافر ، ولا الكافر المسلم » متفق عليه[١٢٧] .

والسبب في ذلك : ان التوارث يتعلق بالولاية . ولا ولاية بين المسلم والكافر لقوله تعالى ﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾[١٢٨] .

قال البغوي : والعمل على هذا عند عامة أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم : ان الكافر لا يرث المسلم ، والمسلم لا يرث الكافر لقطع الولاية بينهما ، الا ما روي عن معاذ ومعاوية أنهما قالا : المسلم يرث الكافر ، ولا يرثه الكافر ، وحكي ذلك عن ابراهيم النخعي ، كما أن المسلم ينكح الكتابية ولا ينكح الكافر المسلمة ، وبه قال اسحاق بن راهوية[١٢٩] .

---

(١٢٥) دقائق التفسير لابن تيمية ٢٥٨/١ ـ ٢٦٠ تحقيق وجمع د . محمد السيد الجليند . الناشر دار الانصار .

(١٢٦) انظر على سبيل المثال . المغنى لابن قدامة ١٢٩/٧ .

(١٢٧) صحيح البخاري : كتاب الفرائض ٥٠/١٢ ح ٦٧٦٤ وصحيح مسلم في الفرائض ١٢٣٣/٣ ح ١٦١٤ .

(١٢٨) فتح الباري ٥٠/١٢ .

(١٢٩) شرح السنة ٣٦٤/٨ .

أما المرتد : فلا يرث أحداً . لا مسلماً ولا كافراً ولا مرتداً . واختلفوا في ميراثه :

فذهب جماعة : الى أنه لا يورث منه بل ماله فيء . وهذا قول مالك والشافعي .

وذهب جماعة : إلى أن ميراثه لأقاربه المسلمين وهو قول الحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي وأبو يوسف ومحمد . وذهب بعضهم : إلى أن ما اكتسبه في الاسلام لورثته المسلمين ، وما اكتسبه بعد الردة فيء وهو قول سفيان الثوري وأبي حنيفة(١٣٠) .

إن الاسلام دين عزّة وعفة وقوة يرتفع بالمسلم أن تبقي نفسه معلقة بأطماع قاصرة لا تتفق مع مبدأ هذا الدين وتميزه وسمو تشريعه . بل أنه ليقطع كل ما من شأنه أن يثبط المسلم أو يغريه بالتذبذب في دينه أو بالنفاق . لذلك قطع النكاح من الكافر لئلا يكون له سلطة على المسلمة ، فالاسلام يعلو ولا يعلى عليه ، وقطع النكاح من الكافرة لأنها سبب خطير في (جرف) زوجها إلى ملتها وتنشئة الاطفال على مبدأ الكفر والشرك . وقطع التوارث بين المسلم والكافر حتى يبقى امسلم مصوناً من المال الحرام لأن صاحبه الكافر رضي بالحرام وترك شريعة الله الحلال شريعة الاسلام .

وما دام انه قد انقطع التناصر والولاء ، الايماني بين المسلم والكافر فلأن يقطع النكاح والتوارث من باب أولى لتخلص نفس المسلم لله رب العالمين وتصبح حياته ومماته كلها قائمة على منهج الله القويم وشرعه الحكيم .

وبهذا يكون التميز الكامل متحققاً في حياة المسلم فهو لا يعبد الا الله ، ومن ثم فلا يتلقى إلا من الله ، ولا يرجو ولا يطلب الرزق الا من الله . ولا يسير في أمر يسير أو كبير الا بحسب ماأراده الله وهذا هو معنى الاستسلام لله . والطاعة والانقياد له .

---

(١٣٠) شرح السنة ٨/٣٦٥ .

الفصل السادس

النهي عن التشبه بالكفار والحرص على حماية المجتمع الاسلامي

الدين الاسلامي ليس حريصاً على تميز المسلمين في المضمون فحسب وانما حتى في المظهر العام للمسلم في نفسه وللمجتمع الاسلامي في عمومه. ولذلك كان النهي عن التشبه بالكفار أحد التكاليف الربانية لهذه العقيدة. وقد حفل الكتاب والسنّة بأدلة كثيرة حول هذه القضية. لأن التشبه بالكفار في الظاهر يورث التشبه بهم في العقيدة، أو مودتهم، ومسايرتهم وموافقتهم على هواهم مما يحدث التميع في حياة المسلم ويجعله أمعة يتبع كل ناعق، والله يريد له العزة والكرامة. واذا تمعنا في طريقة التربية القرآنية: وجدنا أن الاسلام ربّى المسلمين على العقيدة الصحيحة فترة طويلة قبل نزول التكاليف، فلما رست جذور هذه الشجرة المباركة في النفوس جاءت التكاليف واحداً أثر الآخر مما جعل المسلمين يترقون في هذا السلم التربوي الايماني إلى الذروة.

من هنا جاء النهي عن التشبه بالكفار في العهد المدني. وذلك بعد الجهاد من أجل صيانة وحماية المجتمع الاسلامي من كل دخيل، وحرصاً على بناء الشخصية الاسلامية الفريدة. فكما أن هذه العقيدة فريدة في مضمونها وجوهرها فهي أيضاً فريدة في شكلها ومظهرها. لذا وجب على صاحبها أن يكون متميزاً بعد أن أخرجه الله من الظلمات إلى النور.

وتجتاح العالم الاسلامي اليوم موجة من التبعية الجارفة في كل شيء، ومن ذلك التشبه بالغرب الكافر من قبل ضعاف الايمان الذين يرون أن ذلك الفعل هو سبيل التقدم والرقي!

وفي هذا يقول الاستاذ محمد أسد (. . . وان السطحيين من الناس فقط ليستطيعون أن يعتقدوا انه من الممكن تقليد مدنية ما في مظاهرها الخارجية من غير أن يتأثروا في الوقت نفسه بروحها .

« إن المدنية ليست شكلاً أجوف فقط ، ولكنها نشاط حي . وفي اللحظة التي نبدأ فيها . بتقبل شكلها تأخذ مجاريها الاساسية ومؤثراتها الفعالة تعمل فينا ، ثم تخلع على اتجاهنا العقلي كله شكلاً معيناً ولكن ببطء ومن غير أن نلحظ ذلك .

ولقد قدر الرسول ﷺ هذا الاختيار حق قدره حينما قال : « من تشبه بقوم فهو منهم »[١٣١] . وهذا الحديث المشهور ليس إيماءة أدبية فحسب ، بل تعبير ايجابي يدل على أن لا مفر من أن يصطبغ المسلمون بالمدنية التي يقلدونها .

« ومن هذه الناحية قد يستحيل أن نرى الفرق الاساسي بين « المهم » وبين غير المهم » في نواحي الحياة الاجتماعية وليس ثمة خطأ أكبر من أن نفترض أن اللباس - مثلاً - شيء خارجي بحت وان لا خوف منه على « حياة الانسان » . العقلية والروحية . انه على وجه العموم نتيجة تطور طويل الأمد لذوق شعب ما في ناحية معينة . وزي هذا اللباس يتفق مع الادراك البديعي لذلك الشعب ومع ميوله . لقد تشكل هذا الزي ثم ما فتىء يبدل أشكاله باستمرار حسب التبدل الذي طرأ على خصائص ذلك الشعب وميوله ، فالزي الأوروبي اليوم - مثلاً - يتفق تماماً مع الخصائص العقلية في أوروبة ، وبلبس الثياب الأوروبية يوفق المسلم من غير شعور ظاهر بين ذوقه والذوق الأوروبي ثم يشوه « حياته » العقلية بشكل يتفق نهائياً مع اللباس الجديد وبعمله هذا يكون (المسلم) قد تخلى عن الامكانيات الثقافية لقومه ، وتخلى عن ذوقهم التقليدي ، وتقبل لباس العبودية العقلية الذي خلعته عليه المدنية الأجنبية .

« اذا حاكى المسلم أوروبة في لباسها ، وعاداتها وأسلوب حياتها فانه يتكشف عن أنه يؤثر المدنية الأوروبية ، مهما كانت دعواه التي يعلنها ، وانه لمن المستحيل عملياً أن تقلد مدنية اجنبية في مقاصدها العقلية والبديعية من غير اعجاب

(١٣١) سيرد تخريجه بعد قليل .

بروحها ، وانه لمن المستحيل أن تعجب بروح مدنية مناهضة للتوجيه الديني ، وتبقى مع ذلك مسلماً صحيحاً .

« إن الميل الى تقليد التمدين الأجنبي نتيجة الشعور بالنقص . هذا ولا شيء سواه ، ما يصاب به المسلمون الذين يقلدون المدنية الغربية »(١٣٢) .

وأصل المشابهة : ان الله جبل بني آدم ـ بل سائر المخلوقات ـ على التفاعل بين الشيئين المتشابهين ، وكلما كانت المشابهة أكثر : كان التفاعل في الاخلاق والصفات أتم . والمشاركة بين بني الانسان أشد تفاعلاً فلأجل هذا الأصل وقع التأثر والتأثير في بني آدم فاكتسب بعضهم ، أخلاق بعض بالمشاركة والمعاشرة .

والمشابهة في الأمور الظاهرة : توجب مشابهة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي ، وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين أقل كفراً من غيرهم ، كما رأينا المسلمين الذين اكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل ايماناً من غيرهم ممن جرد الاسلام(١٣٣) .

ثم أن المشاركة في الهدي الظاهر : توجب مناسبة وائتلافاً وان بعد المكان والزمان وهذا أمر محسوس ، بل انها تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن ، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر .

واذا كانت المشابهة في الأمور الدنيوية تورث المحبة والموالاة فكيف بالمشابهة في أمور دينية ؟ نعم . انها تفضي إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد . والمحبة لهم تنافي الايمان كما قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ

---

(١٣٢) الاسلام على مفترق الطرق . ترجمة د . عمر فروخ ص ٨١ ـ ٨٣ الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٤ م دار العلم للملايين .

(١٣٣) بتصرف : اقتضاء الصراط المستقيم : ٢٢٠ .

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ

٥١ المائدة .

وثبوت ولايتهم يوجب عدم الايمان ، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم(١٣٤) .

وهنا لا بد أن نورد بعض النصوص الكثيرة والمستفيضة من الكتاب والسنّة التي نهت عن مشابهة الكفار واتباع أهوائهم .

منها : قوله تعالى :

ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ

١٨ - ١٩ الجاثية .

يقول في تفسيرها شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : جعل الله محمداً ﷺ على شريعة من الأمر شرعها له وأمره باتباعها ، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون . ود دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته : وأهواءهم : هي ما يهوونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذين هو من موجبات دينهم الباطل وتوابع ذلك . فموافقتهم فيه اتباع لما يهوونه ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين لهم في بعض الأمور ويسرون بذلك .

ولو فرض أن الفعل ليس من اتباع أهوائهم : فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك

(١٣٤) اقتضاء الصراط بتصرف من ص ٢١٩ - ٢٢٢ .

أحسم لمادة متابعتهم في أهوائهم وأعون على حصول مرضاة الله في تركها[١٣٥] .

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالىٰ :

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ
تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ
أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ

١٢٠ البقرة .

فانظر كيف جاء في الخبر « ملتهم » وفي النهي «أهواءهم» لأن القوم لا يرضون الا باتباع الملة مطلقاً . والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير ، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين : نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه . أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه[١٣٦] .

ومن الأدلة القرآنية أيضاً ما ورد في سورة البقرة بخصوص تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قال تعالىٰ :

وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ
وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم
مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ

١٤٥ البقرة .

---

(١٣٥) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٤ .

(١٣٦) المصدر السابق ص ١٥ .

الى قوله تعالىٰ :

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

١٥٠ البقرة .

قال غير واحد من السلف : معناه لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة فيقولوا : قد وافقونا في قبلتنا فيوشك أن يوافقونا في ديننا . فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة . وبين سبحانه أن من حكمة فسخ القبلة وتغييرها : مخالفة الكافرين في قبلتهم ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل ، وهذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة فان الكافر اذا اتبع في شيء من أمره كان له من الحجة مثل ما كان ـ أو قريب مما كان ـ لليهود من الحجة في القبلة(١٣٧) .

ومن الأدلة القرآنية أيضاً الدالة على النهي عن التشبه بهم في أي حال وأي وضع قوله تعالىٰ :

فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

٨٩ يونس .

وقوله تعالىٰ

وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ

١٤٢ الأعراف .

وقال تبارك وتعالىٰ :

وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ

(١٣٧) نفس المصدر ص ١٦ .

غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ

١١٥ النساء .

كل ذلك يدل على أن جنس مخالفتهم وترك مشابتهم أمر مشروع(١٣٨) .

أما السنة النبوية فورد فيها نصوص كثيرة في هذا الموضوع . ومن ذلك : قوله ﷺ « من تشبه بقوم فهو منهم »(١٣٩) . وفي هذا الحديث يقول ابن تيمية :

اسناده جيد وأقل أحواله : أنه يقتضي تحريم التشبه بهم ، وان كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله تعالى

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ

٥١ المائدة .

وهو نظير ما قاله عبد الله بن عمرو : « من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة »(١٤٠) . فقد يحمل هذا على التشبه المطلق الذي يوجب الكفر . . وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيهم ، فان كان كفراً أو معصية أو شعاراً للكفر أو المعصية : كان حكمه كذلك .

أما من فعل الشيء واتفق أن الغير فعله أيضاً ، ولم يأخذه احدهما عن صاحبه ففي كون هذا تشبهاً نظر . لكن قد ينهى عن هذا لئلا يكون ذريعة الى التشبه ولما فيه من المخالفة(١٤١) . ومن الأدلة النبوية أيضاً قوله ﷺ « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » قلنا : يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟(١٤٢) .

(١٣٨) انظر نفس المصدر ص ١٦ .

(١٣٩) سنن أبي داود كتاب اللباس ٣١٤/٤ ح ٤٠٣١ ومسند أحمد ١٤٢/٧ ح ٥١١٤ وقال الشيخ أحمد شاكر اسناده . صحيح وقال الالباني : صحيح انظر صحيح الجامع ٢٧٠/٥ ح ٦٠٢٥ .

(١٤٠) اقتضاء الصراط ص ٨٣ والأثر سبق تخريجه : ٢٤٨ .

(١٤١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٨٢ - ٨٣ .

(١٤٢) صحيح البخاري كتاب الاعتصام ٣٠٠/١٣ ح ٧٣٢٠ وصحيح مسلم كتاب العلم ٢٠٥٤/٤ ح ٢٦٦٩ .

وفي الصحيح أيضاً : عن ابن عمر : أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحِجر - أرض ثمود - فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الابل العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة(١٤٣) .

ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها اسلحتهم ويسمونها « ذات أنواط » قال بعض الناس : يا رسول الله : اجعل ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟ فقال ﷺ « الله أكبر ، قلتم كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، إنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم »(١٤٤) . فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها ، معلقين عليها سلاحهم ، فكيف بما هو أطم من ذلك من مشابهتهم المشركين أو هو الشرك بعينه ؟(١٤٥) .

أيهما أعظم - يا ترى - شجرة يعلق عليها سلاح نهي عنها لأن فيها اقتداء بفعل الكفار أم نظام حياة فيه التشريع والتحليل والتحريم والالزام والعقوبة على المخالفة ؟

ومن الأحاديث الواردة في النهي عن التشبه قوله ﷺ « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم »(١٤٦) .

وقوله ﷺ « خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم »(١٤٧)

وقوله ﷺ « ليس منا من تشبه بغيرنا »(١٤٨) .

---

(١٤٣) صحيح مسلم ٢٢٨٥/٤ ح ٢٩٨١ .

(١٤٤) مسند أحمد ٢١٨/٥ اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح .

(١٤٥) اقتضاء الصراط ٣١٤ .

(١٤٦) صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب نزول عيسى ٤٩٦/٦ ح ٣٤٦٢ وصحيح مسلم كتاب اللباس ١٦٦٣/٣ ح ٢١٠٣ .

(١٤٧) سنن أبي داود كتاب الصلاة ٤٢٧/١ ح ٦٥٢ وقال الالباني : صحيح . انظر صحيح الجامع ١٠٦/٣ ح ٣٢٠٥ .

(١٤٨) سنن الترمذي ج ٣٣٥/٧ ح ٢٦٩٦ وقال : اسناده ضعيف . ولكن الالباني حسنه . انظر صحيح الجامع ١٠١/٥ ح ٥٣١٠ .

إن هذه النصوص وغيرها تهدف إلى سد الذرائع لأن المشابهة في الظاهر ذريعة إلى الموافقة في القصد والعمل[١٤٩] .

ولكن هناك حالات معينة قد تجعل المسلم يشارك الكفار في الهدي الظاهر فمتى تكون الموافقة ومتى تكون المخالفة ؟

يجيب على ذلك شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله بقوله : إن المخالفة لا تكون الا بعد ظهور الدين وعلوه كالجهاد والزامهم بالجزية والصغار ، ولما كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء فانه لم يشرع لهم المخالفة ، فلما كمل الدين وظهر وعلا شرع ذلك .

ومثل ذلك اليوم ـ (هذا كلام الشيخ في عصره فكيف بالعصور التالية !؟) ـ لو أن المسلم بدار حرب أو دار كفر غير حرب : لم يكن مأموراً بالمخالفة لهم في الهدي الظاهر لما عليه في ذلك من الضرر . بل يستحب للرجل أو يجب عليه أن يشاركهم احياناً في هديهم الظاهر إذاكان في ذلك مصلحة دينية من دعوتهم الى الدين ، والاطلاع على باطن أمرهم لاخبار المسلمين بذلك أو دفع ضررهم عن المسلمين ونحو ذلك من المقاصد الصالحة فأما في دار الاسلام والهجرة التي أعزّ الله فيها دينه ، وجعل على الكافرين بها الصغار والجزية : ففيها شرعت المخالفة .

واذا ظهرت الموافقة والمخالفة لهم باختلاف الزمان : ظهرت حقيقة الأحاديث[١٥٠] في هذا .

وقد ذكر العلماء رحمهم الله قاعدة جليلة عليها مدار الشرع واليها مرجع الخلق والأمر ـ كما يقول ابن القيم ـ وهي : ايثار أكبر المصلحتين واعلاهما ، وان فاتت المصحلة التي هي دونها ، والدخول في أدنى المفسدتين لدفع ما هو أكبر منها . فيفوت مصلحة لتحصيل ما هو أكبر منها ، ويرتكب مفسدة لدفع ما هو أعظم منها[١٥١] .

---

(١٤٩) اعلام الموقعين لابن القيم ١٤٠/٣ .

(١٥٠) اقتضاء الصراط ١٧٦ ـ ١٧٧ .

(١٥١) الجواب الكافي ص ١٦٧ .

ولكن مع هذا يجب أن يحذر المسلم فان هذا أمر لا يتوصل الى معرفته الا بنور من الله يقذفه في قلب العبد ، يكون سببه تجريد متابعة رسول الله ﷺ ، وشدة عنايته بمراتب الاعمال عند الله ، وأحبها اليه ، وأرضاها له[١٥٢] .

واذا أردنا أن نعرف تفصيل مخالفة أهل الكتاب وجدنا أن ذلك يندرج تحت ثلاثة أقسام :[١٥٣]

(١) ما كان مشروعاً في الشريعتين ، أو ما كان مشروعاً لنا وهم يفعلونه فهذا كصوم يوم عاشوراء ، أو كأصل الصلاة والصيام ، فهنا تقع المخالفة في صفة ذلك العمل كما سن لنا صوم تاسوعا ، وعاشوراء ، وكما أمرنا بتعجيل الفطر والمغرب مخالفة لأهل الكتاب ، وكذلك تأخير السحور مخالفة لهم ، والصلاة في النعلين مخالفة لليهود وهذا كثير في العبادات وكذلك في العادات .

(٢) ما كان مشروعاً ثم نسخ بالكلية كالسبت ، أو ايجاب صلاة أو صوم . ولا يخفي النهي عن موافقتهم في هذا .

وكذلك الأمر في أعيادهم ، لأن الأعياد المشروعة يشرع فيها وجوباً أو استحباباً من العبادات ما لا يشرع في غيرها كالصلاة أو الذكر أو الصدقة أو النسك ويباح فيها أو يستحب أو يجب من العادات التي للنفوس فيها حظ ما لا يكون في غيرها كذلك كالتوسع في الطعام واللباس .

ولهذا وجب علينا فطر العيدين وقرنه بالصلاة في أحدهما الصدقة وقرنه بها في الآخر الذبح وكلاهما من أسباب الطعام فموافقتهم في هذا القسم المنسوخ من العبادات أو العادات أو كلاهما أقبح من موافقتهم فيما هو مشروع الأصل . ولهذا كانت الموافقة في هذا محرمة . . وفي القسم الأول قد لا تكون الا مكروهة

(٣) ما أحدثوه من العبادات أو العادات أو كليهما ، فهذا أقبح وأقبح ، فانه لو أحدثه المسلمون لقد كان يكون قبيحاً ، فكيف اذا كان مما لم يشرعه نبي قط ؟ بل قد أحدثه الكافرون ؟ فالموافقة فيه ظاهرة القبح . فهذا أصل .

---

(١٥٢) انظر بدائع الفوائد ٢٦٢/٢ .

(١٥٣) ذكرها شيخ الاسلام في الاقتضاء من ١٧٨ - ١٧٩ .

وأصل آخر : وهو أن كل ما يتشابهون فيه من عبادة أو عادة أو كليهما هو من المحدثات في هذه الأمة ومن البدع اذ الكلام فيما كان من خصائصهم . وأما ما كان مشروعاً لنا وقد فعله سلفنا السابقون فلا كلام فيه .

ونخلص الى القول : ان حكم الموافقة في الأول مكروهة وفي الثاني محرمة وفي الثالث أشد حرمة .

ما بين التشبه والولاء من علاقـة

من نافلة القول : أن الشارع ما ترك خيراً إلا دل الأمة عليه ، وما ترك شراً إلا حذر الأمة عنه . وحين أمر الشارع الحكيم بمخالفة الكفار - في الهدي الظاهر - فان ذلك لحكم جليلة[154] منها :

(١) إن المشاركة في الهدي الظاهر : تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الاخلاق والأعمال .

وهذا أمر محسوس ، فان اللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد في نفسه نوع تخلق باخلاقهم ، ويصير طبعه مقتضياً لذلك ، الا أن يمنعه من ذلك مانع .

(٢) ان المخالفة في الهدي الظاهر : توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال . والانعطاف الى أهل الهدي والرضوان ، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين .

وكلما كان القلب أتم حياة ، وأعرف بالاسلام الذي هو الاسلام .. لست أعني مجرد التوسم به ظاهراً ، أو باطناً بمجرد الاعتقاد أن التقليدية من حيث الجملة - كان احساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطناً أو ظاهراً أتم . وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد .

---

(١٥٤) اقتضاء الصراط ١١ - ١٢ .

(٣) ان مشاركتهم في الهدي الظاهر : توجب الاختلاط الظاهر ، حتى يرتفع التمييز ظاهراً بين المهديين المرضيين ، وبين المغضوب عليهم والضالين الى غير ذلك من الاسباب الحكمية .

هذا اذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر الا مباحاً محضاً ، لو تجرد عن مشابهتهم .

فأما ان كان من موجبات كفرهم فانه يكون شعبة من شعب الكفر ، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع ضلالتهم ومعاصيهم . وهذا أصل ينبغي أن يتفطن اليه(١٥٥) .

مثال واحد من مشابهة اليهود والنصارى
« العيـــد »

العيد مظهر مميز للأمة ، ومن هنا اخترته مثالاً واحداً من أمثلة التشبه باليهود والنصارى . وقد وردت الأدلة الكثيرة المحرمة للتشبه بهم في هذا الشأن من الكتاب والسنة والاجماع والاعتبار(١٥٦) .

أما الكتاب فقد قال تعالىٰ

وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ .

٧٢ الفرقان .

قال مجاهد في تفسيرها انها أعياد المشركين وكذلك قال مثله الربيع بن أنس

---

(١٥٥) نفس المصدر ص ١٢ .

(١٥٦) أفاض شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الموضوع بما يكفي ويشفي في كتابه القيم اقتضاء الصراط المستقيم . ولذا فما أذكره هنا مقتبس من كلامه رحمه الله .

والقاضي أبو يعلى والضحاك(١٥٧) .

واذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرد الحضور برؤية أو سماع فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور لا مجرد شهوده ؟

ومن السنة : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال رسول الله ﷺ « ان الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر » رواه أبو داود «(١٥٨) وأحمد والنسائي على شرط مسلم .

ووجه الدلالة : أن اليومين الجاهليين لم يقرهما رسول الله ﷺ ولا تركهم يلعبون فيهما على العادة بل قال « ان الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما . . » والابدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه ، اذ لا يجمع بين البدل والمبدل منه . وهذه العبارة لا تستعمل الا فيما ترك اجتماعهما كقوله تعالى :

أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن
دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا

٥٠ الكهف .

وقوله ﷺ « خيراً منهما » يقتضي الاعتياض بما شرع لنا عما كان في الجاهلية .

والمحذور في أعياد أهل الكتابين التي نقرهم عليها أشد من المحذور في أعياد الجاهلية التي لا نقرهم عليها ، فان الأمة قد حذروا مشابهة اليهود والنصارى وأخبروا أن سيفعل قوم منهم هذا المحذور ، بخلاف دين الجاهلية فانه لا يعود إلا في آخر الدهر عند احترام أنفس المؤمنين عموماً ، ولو لم يكن أشد منه فانه مثله على ما لا يخفى ، اذ الشر الذي له فاعل موجود يخاف على الناس منه أكثر من شر لا مقتضي له قوي(١٥٩) .

---

(١٥٧) المصدر السابق ص ١٨١ .
(١٥٨) كتاب الصلاة /٦٧٥ ح ١١٣٤ وانظر اقتضاء الصراط ص ١٨٤ .
(١٥٩) انظر الاقتضاء ص ١٨٤ - ١٨٦ .

أما الاجماع : فمما هو معلوم من السير أن اليهود والنصارى والمجوس ما زالوا في أمصار المسلمين بالجزية يفعلون أعيادهم التي لهم ، ومع ذلك لم يكن على عهد السلف من المسلمين من يشركهم في شيء من ذلك .

وكذلك ما فعله عمر بخصوص أهل الذمة ـ سيأتي ذكر ذلك قريباً . وما اتفق عليه الصحابة والفقهاء أن أهل الذمة لا يظهرون أعيادهم في دار الاسلام . واذا كان هذا اتفاقهم فكيف يسوغ للمسلمين فعلها ؟ أو ليس فعل المسلم لها أشد من فعل الكافر لها مظهراً لها ؟

وقد قال عمر رضي الله عنه : « إياكم ورطانه الأعاجم ، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم فان السخطة تتنزل عليهم » رواه أبو الشيخ الاصبهاني ورواه البيهقي باسناد صحيح[١٦٠] .

وأما الاعتبار : فالأعياد من جملة الشرع ، والمناهج والمناسك التي قال الله فيها :

لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا

٤٨ المائدة .

فلا فرق بين مشاركتهم في العيد وبين مشاركتهم في سائر المناهج ، **فان الموافقة في جميع العيد : موافقة في الكفر ، والموافقة في بعض فروعه : موافقة في بعض شعب الكفر ، بل ان الاعياد من أخص ما تتميز به الشرائع ، ومن أظهر ما لها من الشعائر ، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر وأظهر شعائره .**

ولا ريب : ان الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة[١٦١] .

ثم ان عيدهم من الدين الملعون هو وأهله ، فموافقتهم فيه موافقة فيما يتميزون به من أسباب سخط الله وعقابه .

ومن أوجه الاعتبار أيضاً : أنه اذا سوغ فعل القليل من ذلك أدى إلى فعل

---

(١٦٠) نفس المصدر ص ١٨٢ ، ١٩٩ .

(١٦١) نفس المصدر ص ٢٠٨ .

الكثير ، ثم اذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس وتناسوا أصله حتى يصير عادة للناس بل عيداً لهم ، حتى يضاهي بعيد الله ، بل قد يزيد عليه حتى يكاد أن يفضي الى موت الاسلام وحياة الكفر »[١٦٢] .

أما ما ينعكس على نفوسهم اذا تشبه بهم المسلمون في العيد خاصة فهو السرور والفرح لأن في ذلك رفعة لباطلهم وتنافياً لمبدأ القهر والجزية والصغار الواقعين تحته .

وخلاصة المشابهة : انها تفضي الى كفر أو معصية غالباً ، أو تفضي اليهما في الجملة وليس في هذا المفضي مصلحة ، وما أفضى الى ذلك كان محرماً فالمشابهة محرمة ، والمقدمة الثانية لا ريب فيها ، لأن استقرار الشريعة يدل على أن ما أفضى الى الكفر غالباً حرام وما أفضى اليه على وجه خفي حرام وما أفضى اليه في الجملة ولا حاجة تدعو اليه حرام[١٦٣] .

وبعد أن يتمعن المسلم كل هذه الأحكام بخصوص العيد عليه أن يقيس بمقياس الكتاب والسنّة : الأعياد المحدثة اليوم ومن يحدثونها ومن يهنئون بها الكفرة والملاحدة . مثل عيد الثورة ! وعيد الجلوس ! وعيد الميلاد ! وعيد الأم ، وعيد تحكيم القانون ونبذ الشريعة وعيد الوطن وعيد الجلاء . . . إلى آخر هذه المسميات والأسماء الجاهلية التي ما أنزل بها من سلطان ، والتي هي مضاهاة ومنازعة لشريعة الله وحكمه .

فواجب المسلم أن لا يقر بها ولا يهنىء أحداً بها ويكتفي بالعيدين الاسلاميين الفطر والأضحى وفي الأيام الأخرى كالجمعة وغيرها ما يغنينا عن استيراد شعائر وشارات الكفر وأربابه .

صورة مشرقة من صور التميز في المجتمع الاسلامي الأول

كلما عاد الحديث إلى الرعيل الأول كان له حلاوة خاصة تبعث في النفس

(١٦٢) المصدر السابق ص ٢٠٩ .
(١٦٣) المصدر السابق ص ٢١٦ .

الأمل والرجاء بالاقتداء بأولئك العظام ، وتحفز الهمم لتشمر عن ساعد الجد فتلحق بركب قافلة الايمان ، ودعاة الهدى والخير .

ولقد كانت الشروط العمرية التي وضعها الفاروق رضي الله عنه مثالاً رائعاً في تعامل المسلمين مع غيرهم وتميز أهل الذمة عن المسلمين مما يحفظ على المجتمع الاسلامي شخصيته المستقلة ويرعى لأولئك الذميين حقوقهم التي أمر بها هذا الدين الحنيف .

إن الحرص العُمري على تميز المسلمين عن غير المسلمين هو عمق هذه العقيدة في نفسه والقيام بمسؤوليته كراع للأمة يعلم أنه مسؤول عنها كما في الحديث الصحيح « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »(١٦٤) متفق عليه .

والذي جعلني أختار موضوع أهل الذمة في هذه النقطة بالذات هو أن وضع الذميين في الدولة الاسلامية وضع خاص غير وضع الكفار الحربيين أو المهادنين .

وحيث ينشأ ويعيش الذميون وسط المجتمع الاسلامي فان هذا الشيء يجب أن يكون محاطاً بحصانة خاصة للمسلمين لئلا يؤدي احتكاكهم بالذميين الى التشبه بهم وذوبان الشخصية الاسلامية التي أراد لها هذا الدين أن تكون فريدة متميزة في كل شيء .

ثم ان من صفات هذا الدين الحنيف العدل حتى مع الكفار ، ولكن ما حدود هذا العدل وما سماته ؟ خاصة وانه قد أقر « الذميين » على العيش وسط المجتمع الاسلامي ؟

الجواب : هو ما ورد في « الشروط العمرية » التي نصت على حماية المسلمين وكفلت للذميين حقوقهم على أن يكونوا هم أيضاً متميزين بزيهم وديانتهم حتى لا يلتبس المسلم بالذمي : وينتج من ذلك خليط لا يعرف له اتجاه محدد وهوية خاصة . وهذه الشروط ـ كما يقول عنها شيخ الاسلام ابن تيمية ـ منها : ما مقصوده التمييز عن المسلمين في الشعور واللباس ، والأسماء ، والمراكب والكلام

---

(١٦٤) صحيح البخاري كتاب الأحكام ١١١/١٣ ح ٧١٣٨ وصحيح مسلم كتاب الامارة ١٤٥٩/٣ ح ١٨٢٩ .

ونحوها ليتميز المسلم من الكافر ولا يشبه احدهما الآخر في الظاهر . ولم يرض عمر رضي الله عنه والمسلمون بأصل التمييز ، بل بالتمييز في عامة الهدي . . . وذلك يقتضي : اجماع المسلمين على التميز عن الكفار ظاهراً ، وترك التشبه بهم ، ولقد كان أمراء الهدي مثل العمريين وغيرهما يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود .
ومنها : ما يعود باخفاء منكرات دينهم وترك اظهارها ، كمنعم من اظهار الخمر ، والناقوس والنيران في الأعياد . ومنها : ما يعود باخفاء شعار دينهم كأصواتهم بكتابهم .

ومنها : ما يعود بترك اكرامهم والزامهم الصغار الذي شرعه الله[١٦٥] .

واليك نص هذه الشروط :

روى سفيان الثوري عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال : كتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام،وشرط عليهم فيه الا يحدثوا في مدينتهم ولا فيها حولها ديراً ولا كنيسة ، ولا قلاية[١٦٦] ، ولا صومعة راهب ، ولا يجددوا ما خرب ، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم ، ولا يؤوا جاسوساً ، ولا يكتموا غشاً للمسلمين ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يظهروا شركاً ، ولا يمنعوا ذوي قراباتهم من الاسلام ان أرادوه وأن يوقروا المسلمين ، وأن يقوموا لهم من مجالسهم اذا أرادوا الجلوس ، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم ، ولا يتكنوا بكناهم ، ولا يركبوا سرجاً ، ولا يتقلدوا سيفاً ، ولا يبيعوا الخمور ، وأن يجزوا مقادم رؤوسهم ، وأن يلزموا زيهم حيثما كانوا ، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم ولا يظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في شيء من طرق المسلمين ، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ، ولا يضربوا بالناقوس الا ضرباً خفياً ، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من محضرة المسلمين ، ولا يخرجوا شعانين ، ولا يرفعوا أصواتهم مع موتاهم ، ولا يظهروا النيران معهم ولا يشتروا من الرقيق ما جرت فيه سهام المسلمين .

(١٦٥) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ١٢٢ - ١٢٤ .

(١٦٦) القلاية : مبنى يبنيه النصارى كالمنارة ولا تكون الا لواحد ينفرد فيها بنفسه ولا يكون لها باب ، بل فيها طاقة يتناول منها طعامه وشرابه وما يحتاج اليه . انظر أحكام أهل الذمة ٢/ ٦٦٨ .

فان خالفوا شيئاً مما شرطوه فلا ذمة لهم ، وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من أهل المعاندة والشقاق[١٦٧] انتهى .

ولهذه الشروط طرق أخرى في روايتها ، ولكنها كلها تلتقي عند هذا المعنى ، ولذلك عقب ابن القيم رحمه الله على اختلاف تلك الروايات بقوله : وشهرة هذه الشروط تغني عن اسنادها ، فان الائمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها ، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم ، وقد أنفذها من بعده الخلفاء وعملوا بها[١٦٨] .

سبحان الله !!!

ما هذا البون الشاسع بين تلك القمة وبين هذا الغثاء الذي يعيش اليوم على الأرض متميعاً متسكعاً وراء الكفار والملاحدة ؟ ويحسب نفسه مسلماً ؟

أين تلك العزة والقوة والسلطان الربّاني الذي أخذ به ذلك الجيل ، وأين الضعف والاستخذاء والتبعية العمياء التي يعيشها « المسلمون » اليوم ؟

ترى : هل المنتسبون اليوم للاسلام في درجة الذميين الذين طُبقت عليهم هذه الشروط ؟

هل « المسلمون » اليوم ذميون للكفار ؟

إن الذي يظهر لي أنه حتى على هذا الافتراض الأخير فان المسلمين اليوم أقل قدراً من ذميي الأمس . ذميو الأمس : في صغار وفي ذلة وفي زي معين ومكان معين . نعم .

أما مسلمو اليوم ففي صغار وذلة واستكانة عن اسلامهم وتبعية للشرق الملحد والغرب الكافر ، واعجاب وانبهار بما عليه أعداء الاسلام ، وسخرية واستهزاء بما كان علي سلف هذه الأمة !

من هنا فهم أحط قدراً عند الله ـ ما داموا بهذه الصفات ـ وأحقر من أن يُهابوا

---

(١٦٧) أحكام أهل الذمة لابن القيم ٢/٦٦١ ـ ٦٦٢ .

(١٦٨) أحكام أهل الذمة لابن القيم ٢/٦٦٣ وانظر اقتضاء الصراط ص ١٢٢ .

وأصغر من أن يُسمع لهم كلمة في المجتمع الدولي المعاصر .

فعلى المسلم الصادق . المسلم الواعي . المسلم المدرك لحقيقة اسلامه أن يعرف أين يضع قدمه ولمن يهب حبه وولاءه ، وأن يعلم أن حب أعداء الله وموالاتهم والتشبه بهم لا تلتقي مع صدق ايمانه وانما يفعل ذلك من يزعم الاسلام زعماً وبئس ذلك الزعم الكاذب .

وقد ذكر علماء الاسلام ما ينتقض به عهد الذمي حرصاً على حماية المسلمين من أي دخيل يستغل سماحة الاسلام فيغدر بالمسلمين . وهذه النواقض :

(١) الاعانة على قتال المسلمين ، وقتل المسلم أو المسلمة .
(٢) قطع الطريق عليهم .
(٣) ايواء جواسيس المشركين أو التجسس للمشركين بأن يكتب لهم أسرار المسلمين .
(٤) الزنا بالمسلمة أو اصابتها باسم النكاح .
(٥) فتن المسلم عن دينه .
(٦) سب الله أو النبي ﷺ(١٦٩)

والأدلة على انتقاض عهد الذمي بسب الله أو كتابه أو دينه أو رسوله ووجوب قتله ، وقتل المسلم اذا فعل ذلك كثيرة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين والاعتبار(١٧٠) .

أما الكتاب : فقوله تعالى :

وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ

١٢ التوبة .

---

(١٦٩) انظر : الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ٥ - ٢٦ .
(١٧٠) المصدر السابق : والمراد بالاعتبار : القياس .

وقوله تعالىٰ : ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾

٢٩ التوبة .

وقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾

٥٧ ـ ٥٨ الأحزاب .

ومن السنة : ما رواه الشعبي عن عليّ رضي الله عنه أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه ، فخنقها رجل حتى ماتت فأبطل رسول الله ﷺ دمها »[١٧١] رواه أبو داود وابن بطة في سننه ، والحديث متصل لأن الشعبي رأى علياً وكان على عهد عليّ قد ناهز العشرين سنة . ثم ان كان فيه ارسال ـ لأن الشعبي يبعد سماعه من علي ـ فهو حجة وفاقاً، لأن الشعبي عندهم صحيح المراسيل لا يعرفون له مرسلاً الا صحيحاً[١٧٢] .

---

(١٧١) سنن أبي داود وكتاب الحدود ٤/٥٣٠ ح ٤٣٦٢ ، والدارقطني في الحدود ١١٢/٣ ح ١٠٢ قال الحافظ في بلوغ المرام رواته ثقات انظر التعليق المغنى ١١٢/٣ .

(١٧٢) الصارم المسلول ص ٦١ .

وأيضاً ما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع ، فينهاها فلا تنتهي ، ويزجرها فلا تنزجر ، فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه فأخذ المغول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها ، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ فجمع الناس فقال : «أنشد رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق الأقام» قال : فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتدلدل ، حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال يا رسول الله أنا صاحبها ، كانت تشتمك وتقع فيك فانهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر ، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، وكانت بي رفيقة ، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليه حتى قتلها . فقال النبي ﷺ « الا اشهدوا أن دمها هدر » رواه ابو داود والنسائي(١٧٣) .

ومن السنة أيضاً : ما احتج به الشافعي على أن الذمي اذا سب قتل وبرئت منه الذمة وهو قصة كعب بن الاشرف اليهودي . والحديث متفق عليه(١٧٤) .
وأما اجماع الصحابة : فقد نقل ذلك عنهم في قضايا متعددة مستفيضة ولم ينكرها أحد فصارت اجماعاً ومن ذلك : ما رفع الى المهاجرين أبي أمية(١٧٥) ، وكان أميراً على اليمامة ونواحيها : أن امرأتين مغنيتين غنت احداهما بشتم النبي ﷺ فقطع يدها ونزع ثنيتيها وغنت الأخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها ونزع ثنيتيها ، فكتب اليه أبو بكر : بلغني الذي سرت به في المرأة التي غنت وزمزمت بشتم النبي ﷺ فلولا ما قد سبقتني لأمرتك بقتلها ، لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود ، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر(١٧٦) .

---

(١٧٣) أبو داود كتاب الحدود ٥٢٨/٤ ح ٤٣٦١ والنسائي في باب حكم من سب النبي ١٠٨/٧ واسناده حسن .

(١٧٤) صحيح البخاري كتاب المغازي ٣٣٦/٧ ح ٤٠٣٧ ومسلم في الجهاد ١٤٢٥/٢ ح ١٨٠١ .

(١٧٥) المهاجر بن أبي أمية بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ قال الزبير : شهد بدراً مع المشركين ولاه رسول الله على صدقات صنعاء ، ثم ولاه أبو بكر . الاصابة ٤٦٥/٣ .

(١٧٦) انظر الصارم المسلول ص ٢٠٠ .

وفي عهد عمر رضي الله عنه : جاءه رجل من أهل الكتاب ـ حين دخل الشام ـ وهو مشجوج مضروب فغضب لذلك عمر وأمر باحضار عوف بن مالك[177] الأشجعي لأنه هو الذي فعل ذلك بالذمي فلما سأله عمر عن فعله هذا قال : يا أمير المؤمنين رأيت هذا يسوق بامرأة مسلمة على حمار فنخس بها لتصرع ، فلم تصرع ، فدفعها فصرعت فغشيها ، وأكب عليها ، فقال عمر أئتني بالمرأة فلتصدق على ما قلت فأتاها عوف ، فذهب معه أبوها وزوجها فأخبرا عمر بمثل قول عوف ، فأمر عمر باليهودي فصلب وقال : ما على هذا صالحناكم ثم قال : يا أيها الناس اتقوا الله في ذمة محمد ﷺ فمن فعل منهم مثل هذا فلا ذمة له[178] .

وأما الاعتبار : فمن وجوه :[179]

احدها : ان عيب ديننا وشتم نبينا مجاهدة لنا ومحاربة ، فكان نقضاً للعهد كالمجاهدة والمحاربة بطريق الأولى .

الثاني : ـ ان مطلق العهد الذي بيننا وبينهم يقتضي أن يكفوا ويمسكوا عن اظهار الطعن في ديننا ، وشتم رسولنا ، كما يقتضي الامساك عن دمائنا ومحاربتنا .

الثالث : إن الله فرض علينا تعزيز رسوله وتوقيره ، وتعزيزه : نصره ومنعه ، وتوقيره اجلاله وتعظيمه ، وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق . فلا يجوز ان نصالح أهل الذمة ، وهم يسمعونا شتم نبينا واظهار ذلك ، لأنا اذا تركناهم على هذا تركنا الواجب علينا نحو رسول الله ﷺ .

---

(١٧٧) عوف بن مالك الاشجعي قال الواقدي اسلم عام خيبر ونزل حمص ، وقال غيره شهد الفتح وكانت معه راية أشجع ، قال ابن سعد آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء ومات سنة ٧٣ في خلافة عبد الملك . الاصابة ٤٣/٣ .

(١٧٨) الأموال لأبي عبيد ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦

(١٧٩) الصارم المسلول ٢٠٦ ـ ٢٠٩ .

الأمكنة التي يمنع أعداء الله من دخولها والاقامة فيها

قال الله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

٢٨ التوبة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد خرج علينا النبي ﷺ فقال : « انطلقوا إلى يهود » فخرجنا معه حتى اذا جئنا بيت المدارس قام النبي ﷺ فناداهم فقال : « يا معشر اليهود : اسلموا تسلموا » فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله ﷺ ذلك أريد ، فقال : اسلموا تسلموا ، فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله ﷺ : ذلك أريد ، ثم قالها الثالثة فقال : « اعلموا انما الأرض لله ورسوله ، واني أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبعه ، والا فاعلموا انما الأرض لله ورسوله » متفق عليه ولفظه للبخاري(١٨٠) .

وقال ﷺ « اخرجوا المشركين من جزيرة العرب » متفق عليه(١٨١) .

وقال أيضاً « لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها الا مسلماً » رواه مسلم(١٨٢) .

وهذه النصوص الصريحة الواضحة وغيرها توضح ـ بجلاء ـ مدى حرص الاسلام على حماية أمته من معاشرة الكفار ، ومعايشتهم لما في ذلك من جلب

---

(١٨٠) كتاب الاكراه ٣١٧/١٢ ح ٦٩٤٤ ومسلم في الجهاد ١٣٨٧/٣ ح ١٧٦٥ .

(١٨١) صحيح البخاري كتاب الجهاد ١٧٠/٦ ح ٣٠٥٣ وصحيح مسلم في كتاب الوصية ١٢٥٨/٣ ح ١٦٣٧ .

(١٨٢) كتاب الجهاد ١٣٨٨/٣ ح ١٧٦٧ .

لمودتهم وموالاتهم التي نهى الله عنها .

قال الشافعي رحمه الله : يمنعون من الحجاز وهو مكّة والمدينة واليمامة وقراها . أما غير الحرم منه فيمنع الكتابي وغيره من الاستيطان والاقامة به ، وله الدخول باذن الامام لمصلحة كأداء رسالة أو حمل متاع يحتاج اليه المسلمون : وإن دخل لتجارة ليس فيها كثير حاجة لهم يأذن له الا بشرط أن يأخذ من تجارته شيئاً ، ولا يمكن من الاقامة أكثر من ثلاث(١٨٣) . وعقب ابن القيم رحمه الله على كلام الشافعي بقوله : أما حرم مكة فانهم يمنعون من دخوله بالكلية فلو قدم رسول لم يجز أن يأذن له الامام في دخوله ، ويخرج الوالي أو من يثق به اليه . وأما حرم المدينة فلا يمنع من دخوله لرسالة أو تجارة أو حمل متاع(١٨٤) .

اعتراض وجوابــه

إن قيل : ان الله سبحانه انما منع المشركين من قربان المسجد الحرام ولم يمنع أهل الكتاب منه ، ولهذا اذن مؤذن النبي ﷺ يوم الحج الأكبر انه لا يحج بعد العام مشرك . والمشركون الذين كانوا يحجون هم عبدة الأوثان لا أهـل الكتاب ؟(١٨٥)

والجواب : للناس قولان في دخول أهل الكتاب في لفظ المشركين : « فابن عمر رضي الله عنهما وغيره كانوا يقولون : هم من المشركين ، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا أعلم شركاً أعظم من أن يقول المسيح ابن الله وعزير ابن الله ، وقد قال الله فيهم

ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن
دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟

---

(١٨٣) أحكام اهل الذمة ١/١٨٤ وقارن بالأموال لأبي عبيد ص ٩٠ .

(١٨٤) أحكام أهل الذمة ١/١٨٥ .

(١٨٥) المصدر السابق ١/١٨٨ .

إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ

٣١ التوبة .

والثاني « لا يدخلون في لفظ « المشركين » لأن الله سبحانه جعلهم غيرهم في قوله :

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ

الآية ٦٢ البقرة .

. « قال ابن تيمية : والتحقيق : » أن أصل دينهم دين التوحيد فليسوا من المشركين في الأصل ، والشرك طارىء عليهم فهم منهم باعتبار ما عرض لهم لا باعتبار أصل الدين ، فلو قدر أنهم لم يدخلوا في لفظ الآية دخلوا في عمومها المعنوي وهو كونهم نجساً والحكم يعم بعموم علته .

« وجميع الصحابة والائمة فهموا من قوله » فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا « ان المراد مكة كلها والحرم ولم يخص ذلك أحد منهم بنفس المسجد الذي يطاف فيه . ولما نزلت هذه الآية كانت اليهود بخيبر وما حولها ولم يكونوا يمنعون من المدينة »(١٨٦) .

---

(١٨٦) المصدر السابق ١/١٨٩ .

الفصل السابع

تعامل المسلمين مع غير المسلمين وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الفرق بين الموالاة وحسن المعاملة

(كلمة حول ما يسمى بزمالة الأديان)

أجدني مضطراً لذكر هذه المسألة لتوضيح وبيان وجه الحق والصواب حول هذا المفهوم الخاطىء ، الذي خلط فيه الحق بالباطل . وطالب العلم المبتدىء - مثلي - يعجب لمشائخ كبار من أهل العلم « وقعوا في هذا الفخ الذي تولى كبر الدعوة له أعداء هذا الدين من صليبيين ويهود » !

ويراد من وراء هذا التقريب والزمالة المزعومة اضاعة تميز المسلم وانصهار شخصيته في تيار هذه الدعوة المشبوهة .

ونحب أن نقرر - ابتداء - أن الرسالات السماوية التي أنزل الله بها رسله عليهم السلام كلها تدعو إلى عبادة الله وحده قال تعالى

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ

٣٦ النحل .

مع اختلاف في الشرائع اقتضتها حكمة ربانية لا نعلمها .

ولكن الرسالات التي سبقت الرسالة المحمدية الخاتمة : اعتورها التحريف والتبديل الذي صنعته أيد بشرية

يَكْتُبُونَ

ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ

٧٩البقرة

لذلك اقتضت مشيئة الله وحكمته ان تكون رسالة محمد بن عبد الله ﷺ هي خاتمة الرسالات وناسخة لما قبلها من الشرائع .

ولا بد : أن نورد طرفاً من أقوال دعاة التقارب بين الأديان كما يسمون أنفسهم الذين يزعمون أنهم بصنيعهم هذا يخدمون الاسلام والبشرية كلها .

يقول الشيخ مصطفى المراغي في رسالة بعث بها إلى مؤتمر الأديان العالمي : (اقتلع الاسلام من قلوب المسلمين جذور الحقد الديني بالنسبة لاتباع الديانات السماوية الأخرى وأقر بوجود زمالة عالمية بين أفراد النوع البشري . ولم يمانع أن تتعايش الأديان جنباً إلى جنب)[187] ؟

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة : (اذا اختلفت الأديان فان أهل كل دين لهم أن يدعوا الى دينهم بالحكمة والموعظة (!!) من غير تعصب يصم عن الحقائق ولا اكراه ولا اغراء بغير الحجة والبرهان)[188] .

---

١٨٧) نقلاً عن آثار الحرب في الفقه الاسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ص ٦٣ ط ٢/سنة ١٣٨٠ هـ وهذا الرجل دعا إلى أكثر من ذلك في تفسيره لبعض آيات القرآن . وتكلم بكلام لا يقره العامي الموحد فضلاً عن طالب العلم والعلماء !!

(١٨٨) العلاقات الدولية في الاسلام ص ٤٢ الناشر الدار القومية للطباعة سنة ١٣٨٤ هـ .

أما الدكتور وهبة الزحيلي فيقول : (ليس من أهداف الاسلام أن يفرض نفسه على الناس فرضاً حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة ، اذان كل ذلك محاولة فاشلة ، ومقاومة لسنة الوجود ، ومعاندة للارادة الالهية)(١٨٩) وغير هؤلاء الثلاثة خلق كثير . والذي يظهر لي أن هؤلاء وأمثالهم اعتمدوا ما ذكره شيخهم الأول جمال الدين الافغاني الذي كان متأثراً بأفكار الماسونية الخبيثة وهو أول من حمل راية الدعوة إلى زمالة الأديان فهو يقول في خاطراته بعنوان « نظرية الوحدة » ما نصه : « وجدت بعد كل بحث وتنقيب وإمعان أن أديان التوحيد الثلاثة على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية واذا نقص في واحد منها شيء من أوامر الخير المطلق استكمله الثاني (!)

. . . وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير أن تتحد أهل الأديان الثلاثة مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها وأن بهذا الإتحاد يكون البشر قد خطا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة وأخذت أضع لنظريتي هذه خططاً وأخط أسطراً وأحبر رسائل للدعوة كل ذلك وأنا لم أخالط أهل الأديان كلهم عن قرب وكثب ولا تعمقت في اسباب اختلاف أهل الدين الواحد وتفرقهم فرقاً وشيعاً وطوائف . . . (١٩٠) .

وهذه الأقوال فيها من المغالطات ما هو ظاهر لكل ذي عينين ، فمن قال : ان الدين الاسلامي يسمح للنصراني : أن يدعو إلى نصرانيته ، ولليهودي أن يدعو الى يهوديته والبوذي أن يدعو الى بوذيته ، وغير ذلك من أديان البشر الوضعية أو الأديان المحرفة ؟

هل هؤلاء الدعاة يجهلون ما ذكره القرآن عن بني اسرائيل وقتلهم الأنبياء ثم تحريف التوراة والانجيل ، ثم اللعب بالكتب المنزّلة حسبما تمليه عليهم أهواؤهم ؟

---

(١٨٩) آثار الحرب ص ٦٥ .

(١٩٠) خاطرت جمال الدين الافغاني / اختبار عبد العزيز سيد الأهل ص ١٤ وانظر ص ١٥٨ الناشر دار حراء بالقاهرة .

هل هؤلاء يجعلون قوله تعالى :

لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ

٧٣ المائدة .

وقوله تعالى : وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ

٣٠ التوبة .

وقوله تعالى :

وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً

٨٩ النساء .

وقوله تعالى :

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا

١٠٩ البقرة .

وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي تبين عداوة أهل الكتاب للمسلمين . ورحم الله الاستاذ الجليل ، العالم الربّاني سيد قطب حين قال : ان سماحة الاسلام مع أهل الكتاب شيء ؛ واتخاذهم أولياء شيء آخر ، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين وظيفته ، الذي يهدف إلى انشاء ، واقع في الأرض وفق التصور الاسلامي الذي

يختلف في طبيعته عن سائر التصورات التي تعرفها البشرية .

إن هؤلاء الذين تختلط عليهم تلك الحقيقة لأنه ينقصهم الحس التقي بحقيقة العقيدة كما ينقصهم الوعي الذكي لطبيعة المعركة وطبيعة أهل الكتاب فيها : ويغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها ، فهم يخلطون بين دعوة الاسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه وبين الولاء الذي لا يكون الا لله ولرسوله وللجماعة المسلمة ، ناسين ما يقرره القرآن من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة ، وأن هذا شأن ثابت لهم ، وأنهم ينقمون من المسلم اسلامه ، ولن يرضوا عن المسلم الا أن يترك دينه ويتبع دينهم .

وسذاجة أية سذاجة ، وغفلة أية غفلة أن نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحد نسلكه للتمكين للدين ! أمام الكفار والملحدين ! فهم مع الكفار والملحدين اذا كانت المعركة ضد المسلمين !

يقول السذج : اننا نستطيع أن نضع أيدينا في أيدي أهل الكتاب للوقوف في وجه المادية والالحاد - بوصفنا جميعاً أهل دين ! ناسين تعليم القرآن كله . وناسين تعليم التاريخ كله .

فأهل الكتاب هؤلاء هم الذين كانوا يقولون للذين كفروا من المشركين

هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا

٥١ النساء .

وهم الذين ألبوا المشركين على المسلمين في المدينة وكانوا لهم درعاً ورداءاً .

وأهل الكتاب هم الذين سنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام . وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس ، وهم الذين شردوا المسلمين في فلسطين وأحلوا اليهود محلهم ، متعاونين في هذا مع الالحاد والمادية !

وأهل الكتاب هؤلاء هم الذين يشردون المسلمين في كل مكان في الحبشة

والصومال وارتيريا وغيرها حيث يتعاونون في هذا التشريد مع الالحاد والمادية والوثنية في يوغسلافيا والصين والتركستان والهند وفي كل مكان !

إن هؤلاء الذين يظنون - وهم واهمون - انه يمكن أن يقوم بيننا وبين أهل الكتاب هؤلاء ولاء وتناصر ندفع به المادية الالحادية عن الدين : لا يقرأون القرآن . واذا قرأوه اختلطت عليهم دعوة السماحة التي هي طابع الاسلام فظنوها دعوة الولاء الذي يحذر منه القرآن . ومن هنا يحاولون تمييع المفاصلة الحاسمة بين المسلمين وأهل الكتاب ، باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية . فكما انهم مخطئون في فهم الأديان هم أيضاً مخطئون في فهم معنى التسامح .

إن الدين الذي نزل على رسول الله ﷺ هو الدين عند الله . والتسامح يكون في المعاملات الشخصية ، لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي . أما هؤلاء ، فيحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم الذي يقرر أن الله لا يقبل ديناً الا الاسلام ، وأن على المسلم أن يحقق منهج الله الممثل في الاسلام ولا يقبل دونه بديلاً ، ولا يقبل فيه تعديلاً - ولو طفيفاً - قال تعالى :

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ

١٩ آل عمران .

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ

٨٥ آل عمران .

والاسلام قد جاء ليصحح اعتقادات أهل الكتاب كما جاء ليصحح اعتقادات المشركين والوثنيين سواء ، ودعاهم الى الاسلام جميعاً لأن هذا هو « الدين » الذي لا يقبل الله غيره من الناس جميعاً . . والمسلم مكلف أن يدعو أهل الكتاب إلى الاسلام ، كما يدعو الملحدين والوثنيين سواء ، وهو غير مأذون في أن يكره أحد من هؤلاء ولا هؤلاء على الاسلام ، لأن العقائد لا تنشأ في الضمائر بالاكراه ، فالاكراه في الدين فوق أنه منهي عنه ، هو كذلك لا ثمرة له[١٩١] .

(١٩١) بتصرف . انظر في ظلال القرآن ج ٩٠٩/٢ - ٩١٥ .

الفرق بين الموالاة والمعاملة بالحسنى

قلنا قبل قليل ان الولاء شيء والمعاملة بالحسنى شيء آخر والأصل في هذا قوله تعالىٰ :

لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟
إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

٨ الممتحنة .

وقد اختلف أهل العلم في تفسيرها فقال بعضهم أن المعني بها : الذين كانوا آمنوا بمكة ولم يهاجروا فأذن الله للمؤمنين ببرهم والاحسان اليهم والى هذا ذهب مجاهد .

وقال آخرون : عني بها من غير أهل مكّة من لم يهاجر .

وقال آخرون : بل عني بها من مشركي مكّة من لم يقاتل المؤمنين ولم يخرجونهم من ديارهم ونسخ الله ذلك بعدُ بالأمر بقتالهم . ويروى هذا عن قتادة[١٩٢] .

ورجح ابن جرير : أن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عني بذلك : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلونكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان ان تبروهم وتصلوهمْ وتقسطوا اليهم . لأن الله عزّ وجلّ عم بقوله : ﴿الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾. جميع من كان ذلك صفته ، فلم يخصص به بعضاً دون بعض ، ولا معنى لقول من قال : ذلك منسوخ . لأن بر المؤمن أحداً من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب ، أو ممن

(١٩٢) تفسير الطبري ٦٦/٢٨ .

لا قرابة بينهما ولا سب غير محرم ، ولا منهي عنه اذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الاسلام ، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح .

ويبيّن ذلك الخبر المروي عن ابن الزبير في قصة أسماء مع أمها(١٩٣) . والاسلام بفعله هذا - حتى في خالة الخصومة - يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك ، وعدالة المعاملة انتظاراً لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضووا تحت لوائه الرفيع(١٩٤) .

وقد سبق الحديث في أول هذا البحث : أن الله أمر بصلة الاقارب الكفار والمشركين وأن ذلك ليس موالاة لهم في شيء .

ونزيد هذا الأمر ايضاحاً بقصة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها مع أمها .

فقد روى البخاري ومسلم عن أسماء رضي الله عنها قالت - قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : ان أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصل أمي ؟ قال : [نعم صلي أمك](١٩٥) .

قال الخطابي : فيه - أي الحديث - ان الرحم الكفارة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة وان كان الولد مسلماً(١٩٦) .

قال ابن حجر : البر والصلة والاحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالىٰ :

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ٢٢ المجادلة .

---

(١٩٣) تفسير الطبري ٦٦/٢٨ .

(١٩٤) انظر الظلال ٣٥٤٤/٦ .

(١٩٥) صحيح البخاري كتاب الهبة باب الهدية للمشركين ٢٣٣/٥ ح ٢٦٢٠ وصحيح مسلم كتاب الزكاة ٦٩٦/٢ ح ١٠٠٣ .

(١٩٦) فتح الباري ٢٣٤/٥ .

فانها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل(١٩٧) .

وقال ابن القيم : الذي يقوم عليه الدليل وجوب الانفاق ، وان اختلف الدينان لقوله تعالىٰ :

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ
حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى
وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ
بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا
مَعْرُوفًا

١٤ ـ ١٥ لقمان .

وليس من الاحسان ولا من المعروف ترك أبيه وأمه في غاية الضرورة والفاقة وهو في غاية الغنى . وقد ذم الله قاطعي الرحم وعظم قطيعتها وأوجب حقها وان كانت كافرة لقوله تعالىٰ :

وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ

١ النساء .

وفي الحديث « لا يدخل الجنة قاطع رحم »(١٩٨) .

وصلة الرحم واجبة ، وان كانت لكافر ، فله دينه وللواصل دينه . وقياس النفقة على الميراث قياس فاسد . فان الميراث مبناه على النصرة والموالاة بخلاف النفقة فانها صلة ومواساة من حقوق القرابة .

---

(١٩٧) فتح الباري ٥/٢٣٣ .

(١٩٨) صحيح البخاري كتاب الأدب باب أثم القاطع ١٠/٤١٥ ح ٥٩٨٤ وصحيح مسلم في كتاب البر والصلة ٤/١٩٨١ ح ٢٥٥٦ ويلاحظ هنا أن النكرة وقعت في سياق النفي فتعم .

وقد جعل الله للقرابة حقاً ـ وان كانت كافرة ـ فالكفر لا يسقط حقوقها في الدنيا . قال تعالىٰ :

وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ

٣٦ النساء .

وكل من ذكر في هذه الآية فحقه واجب وان كان كافراً ، فما بال ذي القربى وحده يخرج من جملة من وصى الله بالاحسان اليه[١٩٩] ؟

من هنا : يتضح لنا : ان الموالاة الممثلة في الحب والنصرة شيء . والنفقة والصلة والاحسان للأقارب الكفار شيء آخر . وسماحة الاسلام أيضاً تتضح في معاملة الأسرى والشيوخ والأطفال والنساء في الحرب . كما هو معلوم من صفحاته المشرقة .

---

(١٩٩) أحكام أهل الذمة ٤١٧/٢ ـ ٤١٨ .

المبحث الثاني

التعامل مع الكفار

١ ـ البيع والشراء

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : الأصل أنه لا يحرم على الناس من المعاملات التي يحتاجون اليها الا ما دل الكتاب والسنة على تحريمه ، كما لا يشرع لهم من العبادات التي يتقربون بها إلى الله الا ما دل الكتاب والسنة على شرعه . اذ الدين ما شرعه الله ، والحرام ما حرمه الله ، بخلاف الذين ذمهم الله حيث حرموا من دون الله ما لم يحرمه الله وأشركوا به ما لم ينزل به سلطاناً ، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله(٢٠٠) .

وانطلاقاً من هذه القاعدة وبناء على النصوص الشرعية وسيرة رسول الله ﷺ وأصحابه الراشدين وأئمة المسلمين نقول : ان التعامل مع الكفار في البيع والشراء والهدية وخلاف ذلك لا يدخل في مسمي الموالاة ، بل يباح للمسلم البيع والشراء مع الكفار فهذا شيخ الاسلام ابن تيمية يُسأل عن معاملة التتر فيقول :

« يجوز فيها ما يجوز في معاملة أمثالهم ، ويحرم فيها ما يحرم في معاملة أمثالهم ، فيجوز أن يبتاع الرجل من مواشيهم وخيلهم ونحو ذلك كما يبتاع من مواشي الأعراب والتركمان والأكراد ويجوز أن يبيعهم من الطعام والثياب ونحو ذلك ما يبيعه لأمثالهم .

---

(٢٠٠) السياسة الشرعية ص ١٥٥ .

« فأما إن باعهم أو باع غيرهم ما يعنيهم به على المحرمات ، كبيع الخيل والسلاح لمن يقاتل به قتالاً محرماً فهذا لا يجوز قال تعالى

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ ٢ المائدة .

واذا كان الذي معهم أو مع غيرهم ، أموال يعرف أنهم غصبوها من معصوم فذلك لا يجوز اشتراؤ ها لمن يمتلكها لكن إذا اشتريت على طريق الاستنقاذ لتصرف في مصارفها الشرعية فتعاد إلى أصحابها ـ ان أمكن ـ والا صرفت في مصالح المسلمين : جاز هذا . واذا علم أن في أموالهم شيئاً محرماً لا تعرف عينه ، فهذا لا تحرم معاملتهم فيه كما اذا علم أن في الأسواق ما هو مغصوب ومسروق ولم يعلم عينه »[٢٠١] .

وقد روى البخاري في كتاب البيوع باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب عن عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ ثم جاء ، رجل مشرك مشعان[٢٠٢] طويل بغنم يسوقها فقال النبي ﷺ : « بيعاً أم عطية » أو قال : أم هبة ؟ فقال : لا . بيع فاشترى منه شاة[٢٠٣] .

قال ابن بطال : معاملة الكفار جائزة الا بيع ما يستعين به أهل الحرب على المسلمين[٢٠٤] .

وثبت أيضاً عن النبي ﷺ أنه أخذ من يهودي ثلاثين وسقاً من شعير ورهنه درعه .[٢٠٥] قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ـ

« واذا سافر الرجل إلى دار الحرب ليشتري منها جاز عندنا ، كما دل عليه

---

(٢٠١) المسائل الماردينية ١٣٢ ـ ١٣٣ تحقيق الشاويش ط ٣ سنة ١٣٩٩ هـ .
(٢٠٢) أي طويل مشعث الشعر .
(٢٠٣) ٤/٤١٠ ح ٢٢١٦ .
(٢٠٤) فتح الباري ٤/٤١٠ .
(٢٠٥) مسند احمد ٥/١٣٧ ح ٣٤٠٩ تحقيق احمد شاكر وقال : اسناده صحيح .

حديث تجارة أبي بكر رضي الله عنه في حياة رسول الله ﷺ الى أرض الشام وهي حينذاك دار حرب وغير ذلك من الأحاديث.

« فأما بيع المسلم لهم في أعيادهم ما يستعينون به على عيدهم من الطعام واللباس والريحان ونحو ذلك ، أو اهداء ذلك لهم : فهذا فيه نوع اعانة على اقامة عيدهم المحرم ، وهو مبنى على أصل وهو : انه لا يجوز ان يبيع الكفار عنباً أو عصيراً يتخذونه خمراً .

وكذلك لا يجوز بيعهم سلاحاً يقاتلون به مسلماً(٢٠٦) .

٢ ـ الوقف عليهم أو وقفهم على المسلمين

قال ابن القيم : أما ما وقفوه . فينظر فيه ، فان وقفوه على معين أو جهة يجوز للمسلم الوقف عليها كالصدقة على المساكين والفقراء واصلاح الطرق والمصالح العامة ، أو على أولادهم وأنسالهم وأعقابهم : فهذا الوقف صحيح . حكمه حكم وقف المسلمين على هذه الجهات لكن اذا شرط في استحقاق الأولاد والأقارب بقاءهم على الكفر « فان أسلموا لم يستحقوا شيئاً » : لم يصح هذا الشرط ، ولم يجز للحاكم أن يحكم بموجبه باتفاق الأمة لأنه مناقض لدين الاسلام ، مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ .

أما وقف المسلم عليهم : فانه يصح منه ما وافق حكم الله ورسوله ، فيجوز أن يقف على معين منهم ، أو على أقاربه ، وبني فلان ونحوه .

ولا يكون الكفر موجباً ولا شرطاً في الاستحقاق ولا مانعاً منه ـ فلو وقف على ولده أو أبيه أو قرابته استحقوا ذلك وان بقوا على كفرهم ، فان أسلموا فأولى بالاستحقاق .

وأما الوقف على كنائسهم وبيعهم ومواضع كفرهم التي يقيمون فيها شعار

(٢٠٦) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢٩ .

الكفر : فلا يصح من كافر ولا مسلم . فان في ذلك أعظم الاعانة لهم على الكفر والمساعدة والتقوية عليه ، وذلك مناف لدين الله[٢٠٧] .

٣ ـ عيادتهم وتهنئتهم

روى البخاري في كتاب الجنائز عن أنس رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له : أسلم . فنظر الى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول : « الحمد لله الذي أنقذه من النار »[٢٠٨] .

وروى أيضاً : قصة أبي طالب حين حضرته الوفاة فزاره النبي ﷺ وعرض عليه الاسلام[٢٠٩] .

قال ابن بطال : انما تشرع عيادته اذا رجي أن يجيب إلى الدخول في الاسلام ، فأما اذا لم يطمع في ذلك فلا[٢١٠] .

قال ابن حجر : والذي يظهر : أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد ، فقد يعق بعيادته مصلحة أخرى[٢١١] .

« أما تهنئتهم بشعائر الكفر المختصة بهم فحرام بالاتفاق ، وذلك مثل أن يهنأهم بأعيادهم فيقول : عيدك مبارك ، أو تهنأ بهذا العيد ، فهذا ان سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات ، وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب ، بل ذلك أعظم اثما عند الله ، وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه .

---

(٢٠٧) أحكام أهل الذمة ١/٢٩٩ ـ ٣٠٢ وانظر مجموعة الرسائل والمسائل ١/٢٢٩ .
(٢٠٨) ٣/٢١٩ ح ١٣٥٦ .
(٢٠٩) صحيح البخاري كتاب الجنائز ٣/٢٢٢ ح ١٣٦٠ .
(٢١٠) ، (٢١١) فتح الباري ١٠/١١٩ .

وكثير مما لقدر للدين عنده يقع في ذلك ، ولا يدري قبح ما فعل . فمن هنأ عبداً بمعصية ، أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه ، وقد كان أهل الورع من أهل العلم يتجنبون تهنئة الظلمة بالولايات ، وتهنئة الجهال بمنصب القضاء والتدريس والافتاء تجنباً لمقت الله وسقوطهم من عينه . « وان بلي الرجل فتعاطاه دفعاً لشر يتوقعه منهم فمشى اليهم ولم يقل لا خيراً ودعا لهم بالتوفيق والتسديد فلا بأس بذلك »[٢١٢] .

ويدخل في هذا أيضاً : تعظيمهم ومخاطبتهم بالسيد والمولى وذلك حرام قطعاً ، ففي الحديث المرفوع « لا تقولوا للمنافق سيد فانه إن يك سيداً فقد اسخطتهم ربكم عزّ وجلّ »[٢١٣] .

ولا يجوز أيضاً تلقيبهم ـ كما يقول ابن القيم ـ بمعز الدولة أو فلان السديد ، أو الرشيد أو الصالح ونحو ذلك . ومن تسمى بشيء من هذه الاسماء لم يجز للمسلم أن يدعوه به ، بل ان كان نصرانياً قال : يا نصراني ، يا صليبي ، ويقال لليهودي ، يا يهودي .

ثم قال ابن القيم بالنص (. . وأما اليوم فقد وقفنا الى زمان يصدرون في المجالس ، ويقام لهم وتقبل أيديهم ويتحكمون في أرزاق الجند ، والأموال السلطانية ، ويكنون بأبي العلاء وأبي الفضل ، وأبي الطيب ، ويسمون حسناً وحسيناً وعثمان وعلياً ! وقد كانت أسماؤهم من قبل : يوحنا ومتى وجرجس وبطرس وعزرا وأشعيا ، وحزقيل وحبيي ، ولكل زمان دولة ورجال)[٢١٤] ا هـ .

واذا كان هذا كلام العلاّمة ابن القيم وهو المتوفى سنة ٧٥١ هـ رحمه الله . . فلينظر المسلم اليوم إلى هذا الغثاء الذي هو كغثاء السيل ، ينتسبون للاسلام وهم

---

(٢١٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم ٢٠٥/١ ـ ٢٠٦ .

(٢١٣) سنن أبي داود كتاب الأدب ٢٥٧/٥ ح ٤٩٧٧ قال الالباني اسناده صحيح . انظر المشكاة ١٣٤٩/٣ ح ٤٧٨٠ .

(٢١٤) أحكام أهل الذمة ٧٧١/٢ .

يتبعون أعداء الله في كل صغيرة وكبيرة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلوه، وليست تبعية لهم فحسب بل انها تبعية باعجاب وانبهار ! فما تمر بأعدائنا مناسبة الا وتنهال التهاني عليهم من كل حدب وصوب بالتهنئة والتبريك ومعسول الأماني !!

٤ - حكم السلام عليهم

اختلف العلماء في معنى قوله تعالىٰ عن ابراهيم عليه السلام حين دعا أباه فأبى قال ابراهيم

سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ

٤٧ مريم .

فأما الجمهور فقالوا : المراد بسلامه المسالمة التي هي المشاركة لا التحية . وقال الطبري : معناه : أمنة مني لك . وعلى هذا لا يبدأ الكافر بالسلام(٢١٥) . وقال بعضهم في معنى تسليمه : هو تحية مفارق . وجوز تحية الكافر وأن يبدأ بها قيل لابن عيينة : هل يجوز السلام على الكافر ؟ قال نعم : قال الله تعالىٰ

لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ
فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ
إِلَيۡهِمۡ

٨ الممتحنة .

وقال

قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ

٤ الممتحنة

، وقال ابراهيم لأبيه « سلام عليك » .

قال القرطبي : قلت : والأظهر من الآية ما قاله سفيان بن عيينة(٢١٦) .

---

(٢١٥) ،(٢١٦) تفسير القرطبي ١١/١١١ - ١١٢ .

وفي هذا الشأن حديثان : فقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام ، فاذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه »[٢١٧] .

وفي الصحيحن عن أسامة بن زيد أن النبي ﷺ ركب حمارا عليه اكاف تحته قطيفة فدكية ، وأردف وراءه اسامة بن زيد ، وهو يعود سعد بن عبادةفي بني الحرث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر ، حتى مر في مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان ، واليهود ، وفيهم عبد الله بن أبي سلول ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال : لا تغبروا علينا ، فسلم عليهم النبي ﷺ[٢١٨] الحديث .

قال القرطبي : « فالأول يفيد ترك السلام عليهم ابتداء ، لأن ذلك اكرام والكافر ليس أهله والثاني : يجوز ذلك . قال الطبري : ولا يعارض ما رواه اسامة بحديث أبي هريرة ، فانه ليس أحدهما خلاف للآخر ، وذلك أن حديث أبي هريرة مخرجه العموم ، وخبر اسامة يبيّن أن معناه الخصوص : قال النخعي اذا كانت لك حاجة عند يهودي أو نصراني فأبدأ بالسلام .

فبان بهذا أن حديث أبي هريرة « لا تبدؤهم بالسلام » اذا كان لغير سبب يدعوكم إلى أن تبدؤهم بالسلام من قضاء ذمام أو حاجة تعرض لكم قبلهم ، أو حق صحبة أو جوار أو سفر .

قال الطبري : قد روي عن السلف أنهم كانوا يسلمون على أهل الكتاب وفعله ابن مسعود بدهقان صحبه في طريقه قال له علقمة : يا أبا عبد الرحمن اليس يكره أنه يبدؤا بالسلام ؟ قال : نعم . ولكن حق الصحبة .

وقال الأوزاعي : ان سلمت فقد سلم الصالحون قبلك وان تركت فقد ترك الصالحون قبلك وروي عن الحسن البصري أنه قال اذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلم عليهم)[٢١٩] .

---

(٢١٧) صحيح مسلم كتاب السلام ١٧٠٧/٤ ح ٢١٦٧ وأبو داود في الأدب ٣٨٤/٥ ح ٥٢٠٥ .

(٢١٨) صحيح البخاري كتاب الاستئذان ٣٨/١١ ح ٦٢٥٤ ومسلم في الجهاد ١٤٢٢/٣ ح ١٧٩٨ .

(٢١٩) تفسير القرطبي ١١٢/١١ .

قال ابن القيم : إن صاحب هذا الوجه ـ أي من أجاز ابتداءهم بالسلام ـ قال يقال له ـ السلام عليك . فقط بدون ذكر الرحمة ، وبلفظ الافراد[٢٢٠] .

(أما رد السلام عليهم فاختلف في وجوبه : فالجمهور على وجوبه وهو الصواب . وقالت طائفة : لا يجب الرد عليهم كما لا يجب على أهل البدع وأولى .

والصواب الأول : والفرق : أنا مأمورون بهجر أهل البدع تعزيزاً لهم وتحذيراً منهم بخلاف أهل الذمة »[٢٢١] .

قلت : ومما يرجح رأي الجمهور في وجوب الرد على أهل الكتاب قوله ﷺ « اذا سلم عليكم اليهود فانما يقول احدهم : السام عليكم . فقل وعليك[٢٢٢] وقوله ﷺ « اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم »[٢٢٣] .

---

(٢٢٠) زاد المعاد ٤٢٥/٢ .

(٢٢١) زاد المعاد ٤٢٥/٢ .

(٢٢٢) صحيح البخاري كتاب الاستئذان ٤٢/١١ ح ٦٢٥٧ ومسلم في السلا، ١٧٠٦/٤ ح ٢١٦٤ .

(٢٢٣) صحيح البخاري كتاب الاستئذان ٤٢/١١ ح ٦٢٥٨ ومسلم في السلا، ١٧٠٥/٤ ح ٢١٦٣ .

المبحث الثالث

الانتفاع بالكفار وبما عندهم

إن الاسلام يتسامح في أن يتلقى المسلم من غير المسلم ما ينفعه في علم الكيمياء والفيزياء والفلك والطب والصناعة والزراعة والأعمال الادارية وأمثال ذلك . وهذا حين تنعدم الاستفادة من هذه العلوم من مسلم تقي[٢٢٤] .

كذلك يجوز الانتفاع بهم في دلالة الطريق وما عندهم من سلاح وملابس وغير ذلك من الحاجات التي يحتاجها الناس ، وجرت العادة فيها أن المسلم والكافر يستويان في الانتفاع بها .

ولكن الاسلام لا يبيح بل يرفض أن يتلقى المسلم أي شيء يتعلق بعقيدته أو مقومات تصوره ، أو تفسير قرآنه وسنة نبيه ﷺ أو منهج تاريخه أو نظام حكمه ومنهج سياسته أو موجبات أدبه وتعبيره ممن لا يؤمن بهذا الاسلام[٢٢٥] .

وقد سبق في أول هذا البحث أن قلنا : ان المسلمين وقعوا في غلطة كبرى حين استوردوا فلسفة اليونان وتصوف الهنود والفرس لأنها غثاء إذا مزج بالتصور الاسلامي التقي نتج من ذلك خليط من غبش العقيدة وانحراف التصورات .

واحسنوا حين ترجموا كتب الطب والكيمياء ودفعهم ذلك إلى اكتشاف علوم جديدة منها علم الجبر . فقد كانت العقلية الاسلامية المتنورة بنور الله قادرة على الابتكار والابداع في المجال العلمي بكل ميادينه وفي المجال الأدبي والثقافي .

---

(٢٢٤) انظر معالم في الطريق ص ١٣١ - ١٣٢ وانظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١١٤/٤ .
(٢٢٥) انظر المصدر السابق معالم في الطريق ص ١٣١ .

ذلك أن لديهم من مقومات هذه العقيدة ومقتضياتها ما يدفعهم للعمل بجد وصبر . وهم يعلمونَ أن ذلك جزء من عبادة الله . لأن نفع ما توصلوا اليه لم ينفعهم هم فحسب بل تعدى ذلك إلى كافة الناس حتى أن أوروبا ظلت قروناً طوالاً تعتمد على النظريات الاسلامية والأبحاث التي ابتكرها المسلمون . وانعكس هذا على التقدم العلمي الذي توصل اليه الغرب في القرون الأخيرة ، بعد أن نام المسلمون ، وتركوا مركز القيادة والريادة في كل شيء حتى جاءت الأجيال التي نشهدها اليوم فاذا بها عالة على تلاميذ اجدادها بالأمس !

من أجل ذلك نقول: ونحن نستبشر بالخير حيث بدأ الزحف الاسلامي اليوم في كل أرض ـ انه ينبغي للمسلمين أن يعرفوا ماذا يأخذون من غيرهم فيستفيدون به ، وماذا يتركونه لئلا يقعوا فيما وقع فيه من قبلهم .

إن عليهم أن يجعلوا هذه العقيدة الاسلامية هي القاعدة التي يقوم عليها البناء الاسلامي من جديد ثم يستوردون من غير المسلمين ما ينقصهم في المجال (العلمي البحث) ويكون هذا الاستيراد بحذر وذكاء ، حيث تصاغ هذه العلوم بصياغة علمية مؤمنة سليمة من صياغة الملاحدة ودعاة « اللادين » .

وقد يقول قائل : وما دخل الاسلوب العلمي البحت في الأسلوب الديني ؟

والجواب : انه لا فصل بين دين وعلم ، بل الدين الاسلامي هو دين العلم . وصياغة الاسلوب العلمي من منطلق اسلامي صحيح يغرس في النفوس ايماناً عميقاً بقدرة الخالق سبحانه وتعالىٰ وعظيم صنعه وابداعه في هذا الكون بكل ما فيه .

ثم ان هذا الاعتراض فيه مغالطة ظاهرة : فانه مهما ادعى المتجردون للأسلوب العلمي أنهم « حياديون » فانه يستحيل أن تكون صياغة من تلقي نظرية ماركس أو فرويد أو دوركايم لنظرية علمية ما ، مثل صياغة من كان بنفس الكفاءة العلمية ولكنه تلقى عقيدة « لا إله إلا الله » من مشكاة محمد بن عبد الله ﷺ .

وهذا أمر ظاهر لا يستطيع أن ينكره الا مكابر أو جاهل يجهل أنه يغالط نفسه .

وأدلة الانتفاع بالكفار نجدها في سنة رسول الله ﷺ فقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره في كتاب الاجارة باب استئجار المشركين عند الضرورة أو اذا لم يوجد أهل الاسلام عن عائشة رضي الله عنها واستأجر النبي ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديّل ثم من بنى عبد بن عدي هادياً خريتاً - الخريت : الماهر بالهداية - قد غمس يمين حلف في آل العاصي بن وائل وهو على دين كفار قريش فأمناه ، فدفعا اليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ، فأتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا[٢٢٦] الحديث . قال ابن القيم : اسمه عبد الله بن اريقط الدؤلي وفي استئجاره وهو كافر : دليل على جواز الرجوع إلى الكافر في الطب والأدوية والحساب والعيوب ونحوها ، ما لم يكن ولاية تتضمن عدالة ولا يلزم من مجرد كونه كافراً أن لا يوثق به في شيء أصلاً ، فانه لا شيء أخطر من الدلالة في الطريق ولا سيما في مثل طريق الهجرة[٢٢٧] .

قال ابن بطال : عامة الفقهاء ، يجيزون استئجارهم - أي المشركين - عند الضرورة وغيرها لما في ذلك من المذلة لهم ، وانما الممتنع أن يؤاجر المسلم نفسه من المشرك لما فيه من اذلال المسلم[٢٢٨] . ولكن ما هو الحكم لو آجر المسلم نفسه من كافر ؟

والجواب على ذلك ما رواه البخاري أيضاً عن خباب رضي الله عنه قال : كنت رجلاً قيناً فعملت للعاص بن وائل فاجتمع لي عنده ، فأتيته أتقاضاه فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : أما والله حتى تموت ثم تبعث فلا . قال : واني لميت ثم مبعوث ؟

قلت : نعم . قال : فانه سيكون لي ثَمّ مال وولد ، فأقضيك : فأنزل الله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[٢٢٩] ٧٧ مريم .

---

(٢٢٦) صحيح البخاري كتاب الاجارة ٤٤٢/٤ ح ٢٢٦٣ .

(٢٢٧) بدائع الفوائد ٢٠٨/٣ .

(٢٢٨) فتح الباري ٤٤٢/٤ .

(٢٢٩) صحيح البخاري كتاب الاجارة باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب ٤٥٢/٤ ح ٢٢٧٥ .

قال المهلب : كره أهل العلم ذلك - أي مؤاجرة نفسه من مشرك في أرض الحرب - الا لضرورة بشرطين احدهما أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله . والآخر : أن لا يعينه على ما يعود ضرره على المسلمين[٢٣٠] .

أما استئجار المشرك في الغزو فقد ورد النهي بذلك : ففي الحديث الذي رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج رسول الله ﷺ قبل بدر ، فلما كان بحرة الوبرة[٢٣١] أدركه رجل ، قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه . فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ : جئت لاتبعك وأصيب معك قال له رسول الله ﷺ « تؤمن بالله ورسوله »؟ قال : لا . قال : « فأرجع فلن استعين بمشرك » قالت : ثم مضى حتى اذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة : فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة قال : « فأرجع فلن استعين بمشرك» قال : ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة « تؤمن بالله ورسوله » ؟ قال : نعم . فقال له رسول الله ﷺ « فانطلق »[٢٣٢] .

ولكن الحازمي[٢٣٣] قال : اختلف أهل العلم في هذا الباب :

فذهبت جماعة إلى منع الاستعانة بالمشركين مطلقاً ، وتمسكوا بظاهر هذا . الحديث . وقالوا : هذا حديث ثابت عن النبي ﷺ وما يعارضه لا يوازيه في الصحة والثبوت فتعذر ادعاء النسخ لهذا .

وذهبت طائفة : إلى أن للامام أن يأذن للمشركين أن يغزوا معه ويستعين بهم ولكن بشرطين :

(١) أن يكون في المسلمين قلة وتدعو الحاجة إلى ذلك .

(٢) أن يكونوا ممن يوثق بهم فلا تخش ثائرتهم .

---

(٢٣٠) فتح الباري ٤٥٢/٤ .

(٢٣١) موضع على بعد أربعة أميال من المدينة .

(٢٣٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد ٣/ ١٤٤٩ ح ١٨١٧ .

(٢٣٣) هو الامام أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم المعروف بالحازمي من رجال الحديث أصله من همذان، ولد سنة ٥٤٨ هـ وتوفي ببغداد سنة ٥٨٤ هـ . الاعلام للزركلي ١١٧/٧ ط ٤ .

فمتى فقد هذان الشرطان لم يجز للامام أن يستعين بهم ، قالوا : ومع وجود الشرطين يجوز الاستعانة بهم : وتمسكوا في ذلك بما رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ استعان بيهود بني قينقاع ، واستعان بصفوان بن أمية في قتال هوازن يوم حنين ، قالوا : وتعين المصير الى هذا لأن حديث عائشة رضي الله عنها كان يوم بدر وهو متقدم فيكون منسوخا[٢٣٤] . ثم قال : «ولا بأس أن يستعان بالمشركين على قتال المشركين اذا خرجوا طوعاً ولا يسهم لهم[٢٣٥] .

ويدعم ابن القيم هذا الرأي وهو يتحدث عن فوائد صلح الحديبية فيقول : الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة لأن عينه ﷺ الخزاعي كان كافراً اذ ذاك ، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو وأخذه أخبارهم[٢٣٦] .

وقال في فوائد غزوة حنين . للامام أن يستعير سلاح المشركين وعدتهم لقتال عدوه ، كما استعار رسول الله ﷺ أدرع صفوان بن أمية وهو يومئذ مشرك[٢٣٧] .

وتبعه الامام محمد بن عبد الوهاب فقال : الانتفاع بالكفار في بعض أمور الدين ليس مذموماً لقصة الخزاعي[٢٣٨]

ونخلص الى القول :

إن الانتفاع بالكفار وبما عندهم من العلوم التي هي من اجتهاد الانسان أمر جائز في الاسلام وأدلته كثيرة سبق ذكر بعضها ، ومنها أيضا : مزارعة رسول الله ﷺ لليهود في خيبر على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها[٢٣٩]

---

(٢٣٤) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي ص ٢١٩ تحقيق راتب حاكمي .
(٢٣٥) المصدر السابق ص ٢٢٠ .
(٢٣٦) زاد المعاد ٣٠١/٣ وقصة الخزاعي في تاريخ الطبري ٦٢٥/٢ .
(٢٣٧) زاد المعاد ٤٧٩/٣ والقصة في السيرة لابن هشام ٨٣/٤ وتاريخ الطبري ٧٣/٣
(٢٣٨) ملحق مصنفات الامام محمد بن عبد الوهاب ص ٧ .
(٢٣٩) الحديث في صحيح البخاري كتاب المزارعة باب المزارعة مع اليهود ١٥/٥ ح ٢٣٣١ .

أما اجارة المسلم نفسه لهم فجائز اذا لم يكن في ذلك تعظيم لدينهم أو شعائرهم أو ما فيه ذلة ومهانة له . وأما الاستعانة بهم في الغزو فجائز ولكن ذلك منوط بامام المسلمين اذا رأى أن المصلحة تقتضي استخدامهم والا فلا .

ومع هذا فانه يجب الاحتراز ومنع استعمال الكفار في شيء من ولايات المسلمين التي يكون فيها سلطة لهم على المسلمين كالدواوين فان في ذلك جناية على الاسلام والمسلمين ، ففضلاً عن أن ذلك مخالفة صريحة لحكم الشرع الاسلامي وهيمنته على الأرض فانه أيضاً اذلال صريح للمسلمين حتى الذين توهموا أن ذلك أمر جائز . واليك بعضاً من النصوص والحوادث التاريخية الهامة التي يبدو فيها كيد أعداء الله للاسلام والمسلمين حين تولوا هذه المناصب الهامة .

روى الامام أحمد باسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قلت لعمر رضي الله عنه أن لي كاتباً نصرانياً . قال : مالك ؟ قاتلك الله ؟ أما سمعت الله يقول :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ

٥١ المائدة .

ألا اتخذت حنيفاً؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته، وله دينه، قال: لا أكرمهم اذا أهانهم الله ولا أعزّهم اذا أذلهم الله ، ولا أدنيهم اذا أقصاهم الله »[٢٤٠] .

وكتب عمر رضي الله عنه أيضاً إلى أبي هريرة كتاباً جاء فيه : « .. ولا تستعن في أمر من أمور المسلمين بمشرك . وساعد على مصالح المسلمين بنفسك فانما أنت رجل منهم غير أن الله تعالى جعلك حاملاً لأثقالهم[٢٤١] .

---

(٢٤٠) هكذا ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٥٠ ان هذا الحديث رواه أحمد ولم اجده في مسند أبي موسى ، وقد أورده البيهقي في السنن الكبرى ١٠/١٢٧ كتاب د القاضي .

(٢٤١) احكام أهل الذمة ١/٢١٢ ٧

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى بعض عماله : (أما بعد : فانه بلغني أن في عملك كاتباً نصرانياً يتصرف في مصالح الاسلام ، والله تعالى يقول :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

٥٧ المائدة .

فاذا أتاك كتابي هذا افأدع حسان بن زيد - يعني ذلك الكاتب - إلى الاسلام فان أسلم فهو منا ونحن منه ، وان أبى فلا تستعن به ولا تتخذ أحداً على غير دين الاسلام في شيء من مصالح المسلمين فأسلم حسان وحسن اسلامه)[٢٤٢] .

ولما فشا استخدام أهل الكتاب في مصالح المسلمين أيام الخلافة العباسية نهض أحد العلماء بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا الشأن وهو شبيب بن شيبة[٢٤٣] فقد استأذن على أبي جعفر المنصور فاذن له فقال (. . يا أمير المؤمنين اتق الله فانها وصية الله ، اليكم جاءت وعنكم قبلت ، واليكم تؤدى ، وما دعاني الى قولي الا محض النصيحة لك والاشفاق عليك ، وعلى نعم الله عندك . اخفض جناحك اذا علا كعبك وابسط معروفك اذا أغنى الله يديك . يا أمير المؤمنين إن دون بابك نيراناً تأجج من الظلم والجور لا يعمل فيها بكتاب الله ولا سنة نبيه محمد ﷺ .

يا أمير المؤمنين سلطت الذمة على المسلمين ، ظلموهم وعسفوهم ، وأخذوا ضياعهم وغصبوهم أموالهم ، وجاروا عليهم ، واتخذوك سلماً لشهواتهم ، وانهم

---

(٢٤٢) المصدر السابق ٢١٤/١ .

(٢٤٣) شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي المنقري الأهتمي . أديب الملوك وجليس الفقراء ، وأخو المساكين كان يقال له « الخطيب » لفصاحته وكان شريفاً من الدهاة ، يفزع اليه أهل بلده في حوائجهم انظر ترجمته في شذرات الذهب ٢٥٦/١ وتهذيب التهذيب ٣٠٧/٤ والاعلام ١٥٦/٣ .

لن يغنوا عنك من الله شيئاً يوم القيامة . فقال المنصور خذ خاتمي فأبعث به إلى من تعرفه من المسلمين وقال : يا ربيع : اكتب الى الأعمال واصرف من بها من الذمة . ومن أتاك به شبيب فأعلمنا بمكانه لنوقع باستخدامه ، فقال شبيب : يا أمير المؤمنين : ان المسلمين لا يأتونك وهؤلاء الكفرة في خدمتك ، ان اطاعوهم اغضبوا الله ، وان أغضبوهم أغروك بهم ، ولكن تولي في اليوم الواحد عدة ، فكلما وليت رجلاً عزلت آخر(٢٤٤) .

وخلاصة القول : انه ينبغي التفريق بين استخدام الكافر كشخص بمفرده في أمر من الأمور وبين استخدامه كصاحب سلطة ونفوذ في أمر من أمور الدولة الاسلامية .

فالأول جائز وبه وردت أدلة سبق ذكرها كما علمت .

والثاني لا يجوز لمنافاته مضمون وروح الشريعة الاسلامية وهدفها الاساسي وهو أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

والخير كل الخير في أن يعتمد المسلمون على أنفسهم من أجل أن تبقى الأمة الاسلامية أمة متميزة ذات طابع خاص ، مصبوغة بصبغتها الربّانية التي أرادها الله لها .

سائلين المولى سبحانه أن يأتي باليوم الذي يعود فيه المسلمون لدينهم الصحيح وقد استغنوا في كل أمورهم وشؤونهم عن الكفار وسائر الأعداء ، وما ذلك على الله بعزيز .

التقية والإكراه

وهما أمران ورد حكمهما في الشريعة الاسلامية لبيان حالات معينة من حالات الضرورة التي قد تعرض للمسلم .

---

(٢٤٤) المصدر السابق ٢١٥/١ . هذا وقد وردتني ملاحظات قيمة من إخوة فضلاء بخصوص هذا الموضوع حيث مالوا فيها إلى ترجيح عدم الاستعانة بالمشرك . وأنا قد ذكرت الرأيين في هذا ولعلي في طبعة قادمة إن شاء الله أتوسع في هذا الموضوع وأعيد صياغته ، والله الموفق .

تعريف التقية :

عرفها حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيما روي عنه أنه قال : التقاة : التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان[٢٤٥] .

وقال أبو العالية : التقية باللسان وليس بالعمل[٢٤٦] .

وقال ابن حجر العسقلاني : التقية الحذر من اظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير[٢٤٧] .

وقال الاستاذ سيد قطب : التقية : تقية اللسان لا ولاء القلب . ولا ولاء العمل وليس من التقية المرخص بها أن تقوم المودة بين المؤمن وبين الكافر ، كما أنه ليس من التقية أن يعاون المؤمن الكافر بالعمل في صورة من الصور باسم التقية فما يجوز هذا الخداع على الله[٢٤٨] .

متى تكــون التقيــة ؟

قال تعالى :

﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾

٢٨ آل عمران .

قال البغوي : نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان

---

(٢٤٥) ، ٢٤٦) تفسير الطبري : ٢٢٨/٣ ، ٢٢٩ .

(٢٤٧) فتح الباري : ٣١٤/١٢ .

(٢٤٨) انظر الظلال : ٣٨٦/١ .

وقلبه مطمئن بالايمان دفعاً عن نفسه من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً ، أو يظهر الكفار على عورة المسلمين . والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية قال تعالى : ﴿الا من أكره وقلبه مطئمن بالايمان﴾ ثم هذه رخصة فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم(٢٤٩) .

وقال ابن القيم : معلوم أن التقاة ليست بموالاة ، ولكن لما نهاهم عن موالاة الكفار اقتضى ذلك معاداتهم والبراءة منهم ، ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال الا اذا خافوا من شرهم فأباح لهم التقية وليست التقية موالاة لهم(٢٥٠) . (ولأن باب التقاة باب يمكن أن ينفذ منه الشيطان بسهولة يزين للضعفاء ومرضى القلوب أن يركنوا إلى أعداء الله قال بعدها مباشرة : (ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) يحذركم في الدنيا أن تتخذوا هذا الباب تكأة ، وتستسهلوا هذه الكبيرة ـ وهي موالاة اعداء الله ـ وينذركم أن اليه المصير فيجازيكم على ما فعلتم في الدنيا ، فلا تحسبوا أن ترتكبوا هذه الكبيرة في الأرض ـ مخادعين أنفسكم أو مخادعين الناس ـ ثم تنجوا من عذاب الله في الآخرة)(٢٥١) .

وقال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى :

إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ٢٨ آل عمران

أي الا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة ، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل(٢٥٢) .

---

(٢٤٩) تفسير البغوي ٣٣٦/١ وانظر أحكام القرآن للجصاص ٢٨٩/٢ .
(٢٥٠) بدائع الفوائد ٦٩/٣ .
(٢٥١) دراسات قرآنية ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .
(٢٥٢) التفسير ج ٢٢٨/٣ .

الاكـراه

قال تعالى :

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾

١٠٦ ـ ١٠٧ النحل .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت الآية ـ الأولى ـ في عمار بن ياسر ، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه وأمه سمية وصهيباً وبلالاً وخبابا وسالما . فأما سمية فانها ربطت بين بعيرين ووجيء قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر ، وهما أول قتيلين قتلا في الاسلام وأما عمار فانه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً ، فأخبر النبي ﷺ بأن عماراً كفر ، فقال : « كلا : ان عماراً ملىء ايماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الايمان بلحمه ودمه »[٢٥٣] فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال : « ان عادوا لك فعد لهم بما قلت »[٢٥٤] فأنزل الله هذه الآية[٢٥٥] .

قال الطبري في معنى الآية : من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره على

---

(٢٥٣) هذا اللفظ ضعيف وانما اللفظ الصحيح هو ما رواه الحاكم في مستدركه ٣/٣٩٢ ـ ٣٩٣ وكذلك النسائي في كتاب الايمان ٨/١١١ هكذا : (ملىء عمار ايماناً الى مشاشه) وهو حديث صحيح كما قال الالباني . انظر صحيح الجامع الصغير ٥/٢١١ ح ٥٧٦٤ وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٤٦٦ ح ٨٠٧ .

(٢٥٤) حديث مرسل ورجاله ثقات . انظر فتح الباري ١٢/٣١٢ .

(٢٥٥) اسباب النزول للواحدي ١٦٢ وانظر تفسير الطبري ١٤/١٨٢ وتفسير ابن كثير ٤/٥٢٥ .

الكفر فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان ، موقن بحقيقته ، صحيح عليه عزمه ، غير مفسوخ الصدر بالكفر ، لكن من شرح بالكفر صدراً فاختاره وأثره على الايمان ، وباح به طائعاً : فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم[٢٥٦] .

وسبب ذلك : انهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا[٢٥٧] .

شروط الاكراه

قال ابن حجر : شروط الاكراه أربعة :

(١) ان يكون فاعله قادراً على ايقاع ما يهدد به ، والمأمور عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار .

(٢) أن يغلب على ظنه انه اذا امتنع أوقع به ذلك .

(٣) أن يكون ما هدد به فورياً ، فلو قال : ان لم تفعل كذا ضربتك غداً ، لا يعد مكرهاً . ويستثنى ما اذا ذكر زمناً قريباً جداً ، أو جرت العادة بأنه لا يخلف .

(٤) ان لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره .

ولا فرق بين الاكراه على القول والفعل عند الجمهور ، ويستثنى من الفعل ما هو محرم على التأبيد كقتل النفس بغير حق[٢٥٨] .

قال الخازن : قال العلماء : يجب أن يكون الاكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب

---

(٢٥٦) تفسير الطبري ١٨٢/١٤ .
(٢٥٧) تفسير ابن كثير ٥٢٥/٤ .
(٢٥٨) فتح الباري ٣١١/١٢ - ٣١٢ .

الشديد ، والايلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه[٢٥٩] . وأجمعوا أيضاً : على أن من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة تصريحاً ، بل يأتي بالمعاريض وبما يوهم أنه كفر ، فلو أكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الايمان ، غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ، ولو صبر حتى قتل كان أفضل لفعل ياسر وسمية وصبر بلال على العذاب[٢٦٠] .

لقد كان بلال رضي الله عنه تفعل به الافاعيل حتى انهم ابضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبى عليهم ويقول : أحد . أحد .ويقول ـ والله لو أعلم كلمة أغيظ لكم منها لقلتها[٢٦١] .

وكذلك حبيب بن زيد الانصاري[٢٦٢] لما قال مسيلمة الكذاب : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟

قال : نعم . فيقول أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع فلم يزل يقطعه ارباً أرباً وهو ثابت على ذلك[٢٦٣] .

وكما فعل الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي :[٢٦٤] فانه لما أسرته الروم جاءوا به الى ملكهم فقال له: تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي،فقال له:لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت . فقال : اذاً أقتلك

---

(٢٥٩) ، ٢٦٠) تفسير الخازن : ١١٧/٤ .

(٢٦١) انظر تفسير ابن كثير ٥٢٥/٤ .

(٢٦٢) حبيب بن زيد بن عاصم بن عمرو الانصاري أخو عبد الله بن زيد ذكره ابن اسحاق فيمن شهد العقبة من الانصار وقال هو الذي أخذه مسيلمة فقتله . قال ابن سعد شهد حبيب أحداً والخندق والمشاهد الاصابة ٣٠٧/١ .

(٢٦٣) تفسير ابن كثير ٥٢٥/٤ .

(٢٦٤) هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي وأمه آمنة بنت حرثان من بني الحارث ، وهو من السابقين الأولين ، يقال أنه شهد بدراً ، ولم يذكره موسى بن عقبة ولا ابن اسحاق ولا غيرهما من أصحاب المغازي . وقصته مع ملك الروم ذكرت سابقاً انظر ترجمته في الاصابة ٢٩٦/٢ وتهذيب التهذيب ١٨٥/٥ .

قال : أنت وذاك ، فأمر به فصلب ، وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ، ثم أمر به فأنزل ، ثم أمر بقدر ، في رواية ببقرة من نحاس فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر ، فاذا هو عظام تلوح ، وعرض عليه فأبى ، فأمر به أن يلقى فيها ، فرفع في البكرة ليلقى فيها ، فبكى فطمع فيه ودعاه فقال له : اني انما بكيت لأن نفسي انما هي نفس واحدة تلقى في هذه القدر الساعة في الله ، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله !

وفي بعض الروايات : أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أياماً ثم أرسل اليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ، ثم استدعاه فقال : ما منعك أن تأكل ؟ قال : أما أنه قد حل لي ولكن لم أكن لأشمتك فـي ، فقال له الملك : فقبل رأسي وأنا أطلقك ، فقال : وتطلق معي جميع أسارى المسلمين ، قال : نعم فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب : حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ ، فقام فقبله رأسه(٢٦٥) .

أنواع الاكراه

(١) الالجاء حيث ينعدم الرضا والاختيار ، وتنتفي الارادة والقصد ، وذلك بالوقوع تحت التعذيب الشديد أو نحو ذلك ، وهذه الحالة هي التي نزلت فيها آية النحل

مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا
مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ (٢٦٦)

١٠٦ النحل .

(٢٦٥) تفسير ابن كثير ٤/٥٢٦ .

٢) التهديد : حيث ينعدم الرضا ، ولا ينعدم الاختيار تماماً وهذه في مثل الحالة التي يختار فيها الانسان أخف الضررين مثل حال شعيب عليه السلام مع قومه اذ خيروه بين العودة الى الكفر أو الخروج من قريتهم

قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟

مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ

٨٨ - ٨٩ الأعراف .

فلا تجوز الاستجابة لمثل هذا الاكراه لهذا النص ولقوله تعالىٰ :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٦٧)

١٠ العنكبوت .

---

(٢٦٦) ،(٢٦٧) كتاب : حد الاسلام وحقيقة الايمان للاستاذ عبد المجيد الشاذلي ص ٥٢٣ مكتوب بالآلة الكاتبة .

(٣) الاستضعاف : وهنا لا تعذيب ولا تهديد ولكن المستضعف داخل تحت وضع مفروض عليه من غيره كالمقيم في مكّة بعد هجرة المسلمين عنها ، فاذا كان دخوله تحت هذا الوضع لعجزه عن دفعه وعن الخروج منه ، ولو أمكنه ذلك لفعل مهما كانت تضحياته وتكاليفه فهذا قد عفا الله عنه[٢٦٨] . أما اذا كان قادراً على الدفع أو الخروج ولم يفعل ذلك ايثاراً للعاقبة فقد سبق كلام الشيخ ابن عتيق وغيره في ذلك .

قال ابن تيمية : تأملت المذاهب فوجدت الاكراه يختلف باختلاف المكره عليه فليس الاكراه المعتبر في كلمة الكفر كالاكراه المعتبر في الهبة ونحوها ، فان أحمد قد نص في غير موضع ، ان الاكراه على الكفر لا يكون الا بالتعذيب من ضرب وقيد ، ولا يكون الكلام اكراهاً[٢٦٩] .

كلمة أخيرة حول الاكــراه

انه من المهم والواجب التفريق بين الاكراه وبين مشاعر الخوف التي تتزاوج مع مشاعر الرجاء والتعظيم فان هذه مشاعر عبادة .

كما أنه يجب أن نفرق بين الاستضعاف وبين الهزيمة الداخلية ، والاستكانة للعدو والركون اليه وفقدان الثقة في الله وترك التوكل عليه .

ذلك أن الانسان يملك في أحلك الظروف قوة عظيمة ـ هي قوة الرفض بقلبه ـ وهذه القوة سماها رسول الله ﷺ جهاداً في قوله « . . . ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »[٢٧٠] .

فالانهزام أمام الباطل والموالاة التي يحتاجها الباطل حتى وهو قوي لا بد من

---

(٢٦٨) المصدر السابق : ٥٢٦ .

(٢٦٩) نقلاً عن الدفاع لابن عتيق ص ٣٠ .

(٢٧٠) صحيح مسلم كتاب الايمان ١/ ٧٠ ح ٥٠

الامتناع عنها وهذا هو جهاد القلب ، والله سبحانه يقول للمؤمنين بعد وقعة أحد

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ

١٤٦ - ١٥٠ . آل عمران .

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود : « بحسب امرىء يرى منكراً لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله من قلبه انه له كاره » ودلالة الكره : الاعتزال وعدم المشايعة بالعمل .

إن استعلاء القلب على الهزيمة الداخلية ، وبقاء قوة رفضه للباطل مهما استطال وانتفش وقوة ضبطه للسلوك لتأكيد الاعتزال وعدم المشايعة بالعمل هو جهاد القلب وانه لجهاد له أثره الواقع في حياة الناس[٢٧١] .

---

(٢٧١) بتصرف : حد الاسلام للشاذلي ٥٢٧ - ٥٢٨ .

البابُ الثالِث

الصورة التطبيقية للولاء والبراء في الماضي والحاضر

الفصل الأول

كيف طبق السلف الولاء والبراء

تحدثت فيما سبق عن أمثلة من الأمم الماضية التي سبقت الأمة المحمدية ومر معنا بعض الأمثلة والنماذج في عهد النبوة . ولكن ذلك الجيل مليء بالصور المشرقة . لذلك رأيت أن أزيد هذا الأمر وضوحاً وتحليلاً بذكر نماذج أخرى لما لها من أهمية كبرى .

وكل قول لا يدعمه التطبيق العملي يعد زعماً باطلاً لا يمت للحقيقة بصلة ولا للواقع ببرهان .

لذلك فان التطبيق الواقعي للولاء والبراء هو المقتضى الصحيح والوجه المشرق لمبدأ كلمة التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وانه من المعلوم بالضرورة أن سلف الأمة رضوان الله عليهم هم خير من طبق هذه العقيدة بكل مقتضياتها وتكاليفها .

والحديث عن السلف ممتع وجميل ، بل هو من الحوافز العملية التي سجلها

تاريخ الأمة المسلمة ليكون ذلك مَعَلماً من معالم الهداية والرشاد لمن جاء بعدهم ، ليستن بسنتهم وينهج نهجهم .

وقد كانوا رضوان الله عليهم يقدرون النعمة التي أنعم الله بها عليهم وهي نعمة الايمان .

ويقدرون أيضاً فضل نور الله وشريعته الغرّاء التي بعث بها نبيه محمداً ﷺ

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا

١٢٢ الأنعام

وقدروا رحمهم الله تربية المصطفى ﷺ وأهمية سنته الشريفة قولاً وفعلاً وادركوا أنهم (لم يكونوا خدمة جنس ، ورسل شعب أو وطن ، يسعون لرفاهيته ومصلحته وحده ، ويؤمنون بفضله وشرفه على جميع الشعوب والأوطان ، ولم يخرجوا ليؤسسوا امبراطورية عربية ينعمون ويرتعون في ظلها ، ويشمخون ويتكبرون تحت حمايتها ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس إلى حكم العرب والى حكمهم أنفسهم . انما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعا إلى عبادة الله وحده كما قال ربعي بن عامر رسول المسلمين في مجلس يزدجرد « الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده . ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام » . . « فالأمم عندهم سواء والناس عندهم سواء . الناس كلهم من آدم وآدم من تراب . . لم يبخلوا بما عندهم من دين وعلم وتهذيب على أحد ، ولم يراعوا في الحكم والامارة والفضل نسباً ولوناً ووطناً ، بل كانوا سحابة خير انتظمت البلاد وعمت العباد ، وغوادي مزنة اثنى عليها السهل والوعر ، وإنتفعت بها البلاد والعباد على قدر قبولها وصلاحها)[1] .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٢٦ - ١٢٧ بتصرف بسيط .

ويصعب علي هنا أن أذكر معظم الوقائع والمواقف التي برز فيها تطبيق الولاء والبراء عند سلف الأمة رحمهم الله . ولكنني اقتصر على القليل من ذلك لاعطاء فكرة صادقة وصورة حية ، وأمثلة مشرقة لتلك النماذج الايمانية التي أراد الله أن يحقق بها مثالية هذا الدين ، ليعلم الناس أن هذا الدين مثالي واقعي[٢] في آن واحد اذا وجد الاكفاء الجديرون بحمله وتبليغه للناس بصدق ، وأمانة ، وطهر ونقاء ، واخلاص وتجرد وابتغاء ما عند الله .

ومن هذه الأمثلة : موقف صحابة رسول الله ﷺ من كعب بن مالك رضي الله عنه ومن معه من المخلفين الثلاثة ، حيث قاطعوهم وهجروهم لتخلفهم عن غزوة تبوك .

وانظر الى هذه القاطعة لثلاثة من صحابة رسول الله ﷺ يصلون خلف رسول الله في مسجد أسس على التقوى : لقد هجروهم ولم يكلموهم حتى في التحية الاسلامية !!

فمن يا ترى من المسلمين اليوم يتبرأ من الذين يحادون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ؟ !

أما الموقف العظيم الذي يبرز فيه ولاء المسلم لدينه واخوانه المؤمنين ، حتى وهذا المؤمن مهجور من اخوانه وأحبابه ، مقاطع عنهم حتى في رد السلام . مبتلى باغراء مادي عظيم ، ومحسّن له المنصب ورفعة المكان في الدنيا : فهو موقف الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه ، فانه ـ كما جاء في حديثه الطويل ـ لما أمر الرسول ﷺ صحابته بهجره ومن معه ، حتى زوجته ذهبت إلى أهلها فاجأه أمر عجيب وخطير في آن واحد .

يقول كعب رضي الله عنه (. . فبينا أنا أمشي بسوق المدينة اذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن

---

(٢) للوقوف على فكرة صحيحة فيما يتعلق بمثالية الاسلام وواقعيته حبذا مراجعة كتاب خصائص التصور الاسلامي للاستاذ سيد قطب فصل الواقعية . وكتاب منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ج ١ الفصل الأخير وكتاب الانسان بين المادية والاسلام فصل نظرة الاسلام .

مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له ، حتى اذا جاءني دفع الي كتابا من ملك غسان فإذا فيه : أما بعد فانه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاء ، فتيممت بها التنور فسجرته بها »[٣] .

لقد صدق كعب رضي الله عنه في قوله : « وهذا أيضاً من البلاء» أجل أنه بلاء عظيم ، ولقد كان ولاء كعب رضي الله عنه رغم ما هو فيه من شدة وهجر ومع دواعي الاغراء والاغواء لله ولدينه ورسوله والمؤمنين ، وكان براؤه من ملك غسان واضحاً في حرقه لكتاب ذلك الملك .

فانظر إلى هذه العظمة وهذا الصدق في الولاء والحب للاسلام والمسلمين والبعد عن كل ما يصرف عن ذلك من متاع الدنيا ووجاهتها التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة .

قال ابن حجر وهو يشرح قصة كعب : دل صنيع كعب هذا على قوة ايمانه ومحبته لله ولرسوله والا فمن صار في مثل حاله من الهجر والاعراض قد يضعف عن احتمال ذلك ، وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره ، ولا سيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه اليه أنه لا يكرهه على فراق دينه لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب . . ورجح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعي اليه من الراحة والنعيم حباً في الله ورسوله كما قال ﷺ : « وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[٤] .

ومثال آخر : قصة الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي وموقفه مع ملك الروم ، حيث أغراه حتى بمشاطرته ملكه فرفض ، وهدده بالقتل والحرق فأبى أن يتنصر . كل ذلك دلالة واضحة ، وبرهان صادق لعمق ذلك الولاء ورسوخ هذه العقيدة في تلك النفوس العظيمة . ولئن كان موقف عبد الله بن عبد الله بن أبي - الذي تحدثنا عنه سابقاً - عظيماً في منعه اباه من دخول المدينة الا باذن رسول

---

(٣) القصة بطولها في صحيح البخاري كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك ٨/١١٣ ح ٤٤١٨ وانظر القصة أيضاً في تفسير الطبري ١١/٦٠ وابن كثير ٤/١٦٦ - ١٦٨ .

(٤) فتح الباري ٨/١٢١ والحديث سبق تخريجه ص ٤٠ وانظر تعليق ابن القيم على القصة في زاد المعاد ٢/٥٨١

الله ﷺ : فإن موقف أبي عبيدة رضي الله عنه اعجب من ذلك وأعظم فلقد قتل أباه في معركة بدر لأنه كان كافراً محارباً لله ورسوله ، ولم تكن صلة الابوة لتمنعه دون تنفيذ الولاء والنصرة لله ورسوله ودينه والمؤمنين . والبراءة والجهاد لعدو الله الذي رضي بالبقاء في حزب الشيطان ليكون حرباً على المؤمنين .

ومثال آخر : فقد روت كتب السير أن زيد بن الدثنة[٥] رضي الله عنه ، اشتراه صفوان بن أمية - بعد يوم الرجيع - ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، وخرجوا بزيد إلى التنعيم حيث اجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟

قال زيد : **والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي** فقال : أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ، ثم قتلوا زيداً رضي الله عنه[٦] .

فانظر إلى هذا الحب وهذا التفاني وذلك الولاء ، وقوة النصرة ! انه رضي الله عنه وهو في مكانه البعيد عن رسول الله - لا يرضى أن تمس رسول الله ﷺ شوكة ، فضلاً عن أن يصيبه أكبر من ذلك !!

هذا هو الولاء الصادق الذي بنته هذه العقيدة في النفوس فأخرجت للناس هذه النماذج العظيمة التي تقصر دون عظمتها كل عظمة أرضية .

ومثال آخر : روى الامام أحمد وغيره أن أنس بن النضر رضي الله عنه غاب عن قتال بدر فقال : غيبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين ؟ لئن الله أشهدني قتالاً للمشركين ليرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال : اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ دون أحد فقال: أنا

---

(٥) زيد بن الدثنة : بفتح الدال وكسر المثلثة ابن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الانصاري شهد بدراً وأحداً وكان في غزوة بئر معونه فأسره المشركون وقتلته قريش بـ التنعيم . انظر الاصابة ٥٦٥/١ .

(٦) انظر القصة في السيرة لابن هشام ١٨١/٣ .

معك ، قال سعد فلم استطع أن أصنع ما صنع ، قال فوجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنه رمح ورمية سهم فكانوا يقولون فيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى :

﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ (٧)

٢٣ الأحزاب .

إن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم كانوا شديدي الاعتزاز بدينهم فلم تخدعهم المظاهر الجوفاء ، ولا القوى والاعتبارات التي تتعبد الناس في الجاهلية ، وأصدق مثال على ذلك قصة ربعي بن عامر رضي الله عنه حين قابل رستم ، فقد كان الفرس مدججين بالسلاح وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، ووضعوا البسط والنمارق في مجلس رستم وله سرير من الذهب ، فأقبل ربعي يسير على فرس له زباء(٨) قصيرة ، معه سيف غمده لفافة ثوب خلق ، ورمح وجحفة(٩) وقوس فلما انتهى الى أدنى البسط قيل له أنزل فحملها على البساط فلما استوت عليه نزل عنها وربطها بوسادتين فشقهما ثم أدخل الحبل فيهما ، فلم يستطيعوا أن ينهوه ثم قالوا له : ضع سلاحك ، فقال : اني لم آتكم فاضع سلاحي بأمركم أنتم دعوتموني ، فان أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت ، فأخبروا رستم فأذن له وقال : هل هو الا رجل واحد ! فأقبل ربعي يتوكأ على رمحه وزجه نصل يقارب الخطو ، ويزج النمارق والبسط ، فما ترك لهم نمرقة ولا بساطاً الا أفسده وتركه منهتكاً مخرقاً ، فلما دنا من رستم تعلق به الحرس ، وجلس على الأرض وركز رمحه بالبسط ، فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : انا لا نستحب القعود على زينتكم هذه ! فكلمه فقال : ما جاء بكم ؟ قال : الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم اليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى

---

(٧) مسند أحمد ٣٠١/٣، وتفسير ابن كثير ٣٩٤/٦ .

(٨) الزباء : أي طويلة الشعر كثيرته .

(٩) الجحفة : الترس .

قاتلناه أبداً ، حتى نفضي إلى موعود الله ، قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي . فقال رستم : قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟ قال : نعم . كم أحب اليكم ؟ أيوماً أو يومين ؟ قال : لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا ، وأراد مقاربته ومدافعته فقال : ان مما سن لنا رسول الله ﷺ وعمل به ائمتنا ألا نمكن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً فانظر في أمرك وأمرهم ، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، اختر الاسلام وندعك وأرضك ، أو الجزاء فنقبل ونكف عنك . وان كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه ، وان كنت اليه محتاجاً منعناك أو المنابذة في اليوم الرابع ، ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع الا أن تبدأنا ، وأنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى ، قال : أسيدهم أنت؟ قال : لا ولكن المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم(١٠) .

ومما يوضح أيضاً صورة الولاء في نفوس أولئك الاخيار قوله ﷺ في غزوة تبوك « إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً الا كانوا معكم قالوا : وهم بالمدينة ؟

قالوا : « وهم بالمدينة حبسهم العذر » متفق عليه(١١) .

فانظر إلى هذا الولاء والتناصر حتى ممن حبسهم العذر ، لأن هذا أمر لا عذر لهم في تركه ، فهم مع اخوانهم بالدعاء والمتابعة .

أما اليوم فيرى المغرورون والمبهورون والمنهزمون أن الكفار ـ كما قال أحدهم ـ خصوم شرفاء ، بل يرونهم أصدقاء أوفياء .

ولكن الذي يجب على المسلمين اليوم أن يفهموه : هو أن الاقتداء بسيرة رسول الله ﷺ وسلفنا الصالح في كل شيء ، وفي قضية الولاء والبراء من باب

---

(١٠) تاريخ الطبري ٥١٩/٣ ـ ٥٢٠ .

(١١) صحيح البخاري كتاب المغازي ١٢٦/٨ ح ٤٤٢٣ وصحيح مسلم كتاب الامارة ١٥١٨/٣ ح ١٩١١ .

أخص هو الأمر المطلوب منهم وليس عليهم بعد ذلك أن تقوم أصوات أرباب التبعية والولاء للغرب الكافر والشرق الملحد لتنادي بما قاله وردده من قبلهم أن هذا الفعل رجعية وتقهقر . بل أن عزم المسلمين المخلصين على تحقيق مقتضيات هذه العقيدة والاصرار على تحكيم الشريعة الربانية هو سبيل النجاح وطريق الفلاح ، في الدنيا والآخرة وجدير بهم أن يرتفعوا إلى المستوى المطلوب منهم

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

١٣٩ ال عمران .

الفصـــل الثانـــي

صورة الولاء والبراء في عصرنا الحاضر

إنه بعد أن سبق بيان قضية الولاء والبراء في التصور الاسلامي ، ووقفنا على مدى أهمية هذا الموضوع ، وبعد سياق تلك الأمثلة المشرقة من تاريخ الصدر الأول من هذه الأمة : لا بد أن نقف عند وضع المسلمين في العصر الحاضر ، لنرى أين يقف المسلمون اليوم من هذه القضية وما مدى التزامهم بها أو تخليهم عنها ؟ وما الذي حل بهم ؟ وهل هناك مبشرات لتغيير هذا الواقع المؤلم ؟

وانه لمن البدهي هنا أن نقول : أن العالم الاسلامي في العصور المتأخرة قد بلغ دركات الانحطاط والتخلف في كل شيء .

انحطاط في عقيدته حيث ترك ما عليه السلف الصالح وذهب إلى خزعبلات وحواشي علم الكلام الدخيل والخوض في نقاشات بيزنطية لا تمت للواقع ولا تصلحه بأي حال بل تزيده فساداً وانهياراً .

وانحطاط في التزامه بمقتضيات هذه العقيدة من الجهاد والتميز والعزة حيث استبدل بذلك كله التصوف والخرافات والتواكل ، مما اطمع العدو فيهم على هذه الحال .

وتخلف في جميع المجالات العلمية وترك مكان القيادة إلى ذلة التبعية فبعد أن كان المسلمون هم الرواد في كل علم نافع جاء الخلف ليترك ذلك الميراث العظيم الذي أخذه أعداء هذا الدين واستفادوا به ودفعهم إلى ما وصلوا اليه الآن .

وأخيراً فقد أعطى هؤلاء الخلف للناس : صورة هزيلة رديئة عن الاسلام ، جعلت أعداء هذا الدين يتكالبون عليه من كل حذب وصوب طامعين في اطفاء نور الله ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . ولقد غزت العالم الاسلامي جيوش كثيرة وعديدة ، وهي على كثرتها وضراوتها العسكرية لم تكتف بهذا بل نوعت أساليب الهجوم ، فاستخدمت بعد الهجوم العسكري - الغزو الفكري الخبيث الذي فعل في (المسلمين) ما لم تفعله الجيوش الجرارة ! .

وأول ما حرص عليه الأعداء هو بث سموم التشكيك وقلب المفاهيم حيث أخذ ينشر أمثال هذه الأفكار : « ما للدين ونظام المجتمع ؟ ما للدين والاقتصاد ؟ ما للدين وعلاقات الفرد بالمجتمع وبالدولة ؟ ما للدين والسلوك العملي في واقع الحياة ، ما للدين والملبس وخاصة ملابس المرأة ؟ ما للدين والفن ؟ ما للدين والصحافة والاذاعة والسينما والتلفزيون ؟ وباختصار : ما للدين والحياة ؟ ما للدين والواقع الذي يعيشه البشر على الأرض ؟ »[١٢] .

وكان هدف الاستعمار - كما يقول الشيخ محمد الغزالي - (تكوين جيل يستحي من الانتساب للاسلام ، ويكره أن يرى وهو يقوم بشيء من شعائره ، خصوصاً بين المثقفين الكبار ! والطبقات التي تهيأ للحكم والنفوذ .

الواحد من هؤلاء يجب أن يراه الناس خارجاً من حانة ، ولا يجب أن يروه خارجاً من مسجد ومن السهل عليه أن يوصف بأنه زنى بعشر نسوة ، لكن وجهه يسود لو قيل : متزوج من اثنتين أما أن يفكر في تلاوة آيات من القرآن أو يرجع إلى شيء من سنّة رسول الله فذلك ما لا يخطر له ببال[١٣] .

وأفلح الاستعمار أيضاً في تكوين جيل يرفض العمل تحت لواء الاسلام ،

---

(١٢) هل نحن مسلمون ص ١١٠ .

(١٣) كفاح دين ص ١٤٧ ط/٣ .

وهذا الجيل هو « الطابور الخامس » الذي ألحق بنا الهزائم في كل ميدان[١٤] .

وحتى لا يكون الحديث مجرد عاطفة أو هجوم ـ كما يقال ذلك ـ أرى أن أثبت هنا نصوصاً صريحة واضحة نطق بها أعداؤنا الكفار ونفذوها تدل على مدى عمق عداوتهم للاسلام والمسلمين وانهم لا يريدون الا الشر والكيد بهذا الدين وطمس معالمه ، وفي هذه النصوص أيضاً عظة وعبرة للمتغافلين والمنهزمين والمبهورين بهم من أبناء جلدتنا ومن الذين ينطقون بلغتنا ويتسمون بأسمائنا . ثم يحكم المنصف بعد قراءتها هل تحقق شيء منها أم لا ؟

يقول القس زويمر في مؤتمر القدس سنة ١٩٣٥ م وهو يخاطب المبشرين بالنصرانية في العالم الاسلامي ما نصه (.. إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ـ ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية ـ فان في هذا هداية لهم وتكريماً (!!) وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الامم في حياتها ، ولذلك تكونـون أنتم بعملكم هذا طليعـة الفتح الاستعماري في الممالك الاسلامية . وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً من أجله كل التهنئة)[١٥] وسترد بقية هذه الكلمة . ومـع وضوح هذا النص الصليبي الحاقد وجد من (المستسلمين) ـ وهو محسوب من العلماء ـ من يقول أن قضية زمالة الأديان والتسامح بينها والتقارب والالتقاء بينها أمر محبب كما قد سبق ذكر ذلك في الباب الثاني . مما يدل على مدى الغفلة وعمق الجهل بحقيقة الاسلام وبحقيقة عداوة أعدائه له .

ويقول لويس التاسع : أن الغزو العسكري لا يكفي لهزيمة المسلمين ولكن لا بد من غزو عقيدتهم .

ثم نجد عدواً آخر يقول ـ وهو يتابع عودة المسلمين إلى اسلامهم ـ (الا أن

---

(١٤) انظر حصاد الغرور ص ٣٩ .

(١٥) جذور البلاء للاستاذ عبد الله التل ص ٢٧٥ ط ٢ .

ثمة قوة جديدة بدأت تظهر ألا وهي الدعوة إلى اسلام « متزمت » والسعي عن طريق الاسلام إلى نظام حياة لا يكون نسخة عن نظام آخر ولا تقليداً له ، بل يكون خاصاً بهويته وتقاليده ومصالحه المعنوية والمادية)[١٦] .

ويقول وليم جيفورد بالكراف : متى توارى القرآن ومدينة مكّة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه »[١٧] .

وبالرغم من مئات النصوص التي تشبه ما ذكرنا ، والتي مؤداها جميعاً : طمس الاسلام واخراج المسلمين من اسلامهم فقد وجد للأسف في بلاد المسلمين من كان عوناً لهؤلاء الأعداء على خططهم ، أو من ميع قضايا الاسلام في سبيل ملاينة أعداء الله .

يقول الاستاذ عبد القادر عودة رحمه الله : أن بعض الأقطار التي تسمي نفسها اسلامية ، تبيح للمبشرين من الانجليز والفرنسيين والايطاليين والأمريكيين أن ينشئوا مدارس للتبشير بالدين المسيحي في بلادهم حتى تفتن أطفال المسلمين عن دينهم ، بل أن بعض الأقطار منع تعليم الدين الاسلامي في المدارس الحكومية وأهمل دراسة التاريخ الاسلامي في الوقت الذي يركز فيه الاهتمام بتدريس تاريخ أوروبا وتمجيد حضارتها وأنها هي قبلة الرقي والمدنية[٨] .

واذا كان هذا على مستوى الحكومات ، فان الأفراد أشد ايغالاً في ذلك وهم صنفان :

(١) صنف من العلماء الذين لهم مكانة في التاريخ الحديث ، وكتب عنهم مجلدات فيها من المدح والقاب الاصلاح ما الله به عليهم ، ولكن التاريخ كشف عن هوياتهم ومواقفهم . ومنهم **عبد الرحمن الكواكبي** ، هذا الرجل الذي يعتبر من أسبق الناس ظهوراً في الدعوة إلى التفريق بين السلطة الدينية والسلطة

---

(١٦) الجنرال بيار غالوا . عن مجلة المجتمع الكويتية العدد ٤٥٠ ص ٤ سنة ١٣٩٩ هـ .

(١٧) الغارة على العالم الاسلامي ص ٩٤ ط ٢ .

(١٨) انظر الاسلام وأوضاعنا القانونية ص ٧٥ ط ٢ .

السياسية . وقد أصدر كتاب (أم القرى) سنة ١٨٩٩ م . وورد في هذا الكتاب آراء لم تخل من اشارات مريبة إلى موالاة الدول الأوروبية المستعمرة حيث قال فيها قال : « وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من ارشاداتها وان كانت غير مسلمة ، وسد أبواب الانقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب »[١٩] .

أما الشيخ **محمد عبده** فكما يقول عنه الاستاذ غازي التوبة : قد تجاوز تعاونه مع الانجليز المحتلين لمصر إلى التعاون مع الجواسيس المستشرقين في انكلترا نفسها ، حيث تتضح ثقتهم المطلقة به ، وتعاونه البعيد معهم في الرسالتين المبعوثتين إلى « المستر بلنت » جواباً على سؤال الأخير عن رأي المفتي في الحالة السياسية الجديدة في مصر ، وعن رأيه في الدستور المناسب لمصر . وقد أورد محمد رشيد رضا نص الرسالتين في الجزء الأول من تاريخه ص ٨٩٩ - ٩٠٢ وورد في الرسالة الثانية الفقرة الثالثة قوله (اذا فرض أن كان بعض الوزراء من الانكليز وكان لهم مرؤوسون من المصريين فانه ينبغي أن يعطى هؤلاء المرؤوسون المصريون أو الوزراء الثانويون سلطة تسمح لهم بأن يفصلوا في جميع المسائل المختصة بالدين وما أشبه ذلك تحت مراقبة الوزراء الاصليين بحيث لا يكون الموظفون المصريون مجرد العوبة في أيديهم كما هو الحال الآن)[٢٠] .

أما **عباس محمود العقاد** فيقول في كتابه : « التفكير فريضة اسلامية » ما الذي يمنع المسلم أن يعمل للديموقراطية أو يعمل للاشتراكية . أو يعمل للوحدة العالمية ؟

وما الذي يمنع المسلم من أحكام دينه أن يقبل مذهب التطور أو يقبل الوجودية في صورتها المثلى ؟

الى أن قال : ان عقيدة المسلم لا تمنعه من أن يكون اشتراكياً[٢١] . وأنا أعلم مثل ما علم غيري أن هذا الكلام قد يقابل بالاستنكار والاستغراب لأنه خلاف

(١٩) انظر كتاب أزمة العصر للدكتور محمد محمد حسين ١٨ - ٢٠ حول هذا الموضوع .

(٢٠) الفكر الاسلامي المعاصر . دراسة وتقويم ٣٥ - ٣٧ .

(٢١) موسوعة العقاد ٩٥٨/٥ وانظر الفكر الاسلامي لغازي التوبة ص ١٧١

المعهود ولكن أقول ما قاله الاستاذ الدكتور محمد محمد حسين في كتابه القيم « الاسلام والحضارة الغربية » حيث قال : (نحن حين ندعو الى اعادة النظر في تقويم الرجال لا نريد أن ننقص من قدر أحد ، ولكننا لا نريد أن تقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبودة لأناس يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ ، وأن أعمالهم كلهاحسنات لا تقبل القدح والنقد ، حتى أن المخدوع بهم والمتعصب لهم والمروج لآرائهم ليهيج ويموج اذا وصف أحد الناس اماماً من أئمتهم بالخطأ في رأي من آرائه ، في الوقت الذي لا يهيجون فيه ويموجون حين يوصف أصحاب رسول الله ﷺ بما لا يقبلون أن يوصف به زعماؤ هم المعصومون فيقبلون أن يوصم سيف الاسلام خالد بن الوليد بأنه قتل مالك بن نويرة في حرب الردة طمعاً في زوجته ، ويرددون ما شاع حول ذلك من أكاذيب . ويقبلون أن يلطخ تاريخ ذي النورين عثمان بن عفّان بما ألصقه به ، ابن سبأ اليهودي، من تهم . . يقبلون ذلك كله ثم يرفضون أن يمس أحد أصنامهم بما هو أيسر منه ، ويحتمون بحرية الرأي في كل ما يخالفون به اجماع المسلمين ، ويأبون على مخالفيهم في الرأي هذه الحرية . يخطئون كبار المجتهدين من أئمة المسلمين ويجرحونهم بالظنون والأوهام ويثورون لتخطئة ساداتهم أو تجريحهم بالحقائق الدامغة[٢٢] .

إننا لا بد أن نقول للمخطىء أنت مخطىء وللمصيب نقول : أحسنت وبارك الله فيك . لذا فان انزلاق هؤلاء العلماء . أو غيرهم في قضية موالاة الكفار أو التساهل معهم في بعض الأمور بغير دليل شرعي أمر يرفضه الاسلام ويأباه لأن موضع القدوة لنا هو رسول الله ﷺ وصحابته الأجلاء وسلفنا الصالح وكفي . وليس من حق فرد ـ كائناً من كان ـ أن يجعل من آرائه وعلمه سلما يرتقي عليه الموالون للكفار ، ثم يزعم بعد هذا انه داعية اسلامي ، أو مصلح عظيم !!

(٢) أما الصنف الثاني : فهم الذين صنعهم الاستعمار على عينه ، ورباهم تربية أوروبية خالصة في التفكير والسلوك من أجل أن يكونوا أداة للتقريب بين المسلمين وبين المستعمر الأوروبي .

---

(٢٢) الاسلام والحضارة الغربية ص ٥٠ .

ومن هذا الصنف طه حسين الذي يقول في كتابه مستقبل الثقافة في مصر : (لكن السبيل إلى ذلك ـ أي الرقي ـ ليست في الكلام يرسل ارسالاً ، ولا في المظاهر الكاذبة والأوضاع الملفقة ، وانما هي واضحة بينة ومستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء ، وهي واحدة فذة ليس لها تعدد ، وهي : أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب[٢٣] .

وما دام اننا عرفنا هدف أعدائنا بصورة عامة ، ووقفنا على حقيقة بعض مواقف المخدوعين بهم : فانه لحري بنا أن نعرف بعض تفاصيل خططهم ووسائلهم التي منها :

١ ـ التربية والتعليم

العلم كما يقال ـ سلاح ذو حدين ، ومن هذا المنطلق أدرك أعداء الله من جميع الكفار أن صخرة العقيدة الاسلامة لا يمكن النيل منها عن طريق القوة والسلاح فهي قد أدمتهم كثيراً ، ولا يستطيعون الصمود أمام هتاف المجاهدين الصادقين في سبيل الله ، ولذلك لجأوا إلى وسيلة أخرى هي أخبث في التأثير وأشد في الدهاء . وهذه الوسيلة هي غزو مناهج التربية والتعليم في العالم الاسلامي بأفكار ونظريات وشبهات وشكوك يضفي عليها ـ كذباً وبهتاناً ـ ثوب التجرد العلمي ، والبحث العلمي !! وسلك أعداء الاسلام في هذا سبيلين : الأول : السيطرة على التعليم في الداخل والثاني عن طريق الابتعاث إلى الدول الكافرة .

فأما الأمر الأول فيقول عنه القس زويمر الذي أوردنا صدر كلمته سابقاً يقول أيضاً (. . لقد قبضنا أيها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع

(٢٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/٢٢٩ ط بيروت والفكر الاسلامي للتوبة ص ١٠٤ .

عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية المستقلة أو التي تخضع للنفوذ المسيحي أو التي يحكمها المسيحيون حكماً مباشراً ، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات وفي المدارس الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية وفي مراكز كثيرة ولدى شخصيات لا تجوز الاشارة اليها ، الأمر الذي يرجع الفضل فيه اليكم أولاً وإلى ضروب كثيرة من التعاون بارعة باهرة النتائج ، وهي من أخطر ما عرف البشر في حياته الانسانية كلها . انكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الاسلامية الى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد (اخراج المسلم من الاسلام) انكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي : جاء النشيء الاسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار ، لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ، فاذا تعلم فللشهوات ، واذا جمع فللشهوات ، وان تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء[٢٤] .

أجل صدق هذا القس وهو كافر أن هناك جيلاً تربى على ثقافة الغرب فخرج لا يعرف الصلة بالله أبداً .

وانطلاقاً من مبدأ هذا الصليبي الحاقد قام « اللورد كرومر » - المعتمد البريطاني في مصر أيام الاحتلال - بانشاء كلية فكتوريا حيث قصد بها تربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط أنجليزي ليكونوا من بعدهم أدوات المستعمر الغربي في ادارة شؤون المسلمين[٢٥] .

وجاء « دنلوب » المتخرج من كلية اللاهوت البريطانية ليرسم سياسة التعليم في مصر ، حيث وضع مناهج كفيلة باخراج النماذج التي عناها القس زويمر (لا تعرف الصلة بالله) .

ومصداق ذلك أن درس الدين لا يدرس منه الا بنتف يسيرة مثل : أن

(٢٤) جذور البلاء ٢٧٦ .

(٢٥) الاسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين ص ٤٦ .

الاسلام جاء ليبطل عبادة الأوثان ويعبد الله الواحد ، ويحرم وأد البنات . واستاذ هذه المادة يختار من أسن الاساتذة وبمظهر رث ، ثم تلغى مادة الدين في نهاية العام الدراسي (٢٦) .

أما مادة التاريخ فكان يخفي على الطالب فيها : أن الاسلام جاء ليحارب الشرك بكل مظاهره ويعطي نبذاً عن دراسة صدر الاسلام ، وأن مهمة الاسلام تغيير ما كان عليه العرب في جاهليتهم ويركز فيه أيضاً على الجانب السياسي والصراع بين الطبقات الحاكمة . أما حياة المجتمع الاسلامي فلا شيء يذكر من ذلك .

وكذلك البطولات الاسلامية والحركة العلمية الاسلامية . كل ذلك يخفى عن الطلاب في الوقت الذي يدرس فيه بتوسع تاريخ أوروبا ونهضتها ورجالها وأبطالها وانها بلد التقدم والرقي ومهبط المدنية لأن فيها فحم وحديد (٢٧)!!

وخلاصة القول أنه كان يلقن الطلاب ان « أوروبا هي العملاق الضخم الذي لا يقهر . والاسلام هو القزم الضئيل الذي عليه أن يتحدى هذا العملاق ليعيش (٢٨) !

وأما السبيل الثاني : وهو الابتعاث الى الخارج أي الى الدول الكافرة فقد حقق هذا نتائج ترضي من خطط له . ذلك أن هذا الابتعاث ـ في الغالبية العظمى منه ـ يكسر صفة التميز بين المسلم والكافر ، ويجعل ولاء المسلم متذبذباً وهو يرى ما بُهر به ، ثم أنه يزيد الطالب جهالة بدينه وقيمه ومثله ، ويزيده تعلقاً بالغرب أو الشرق ويبدأ بتطبيعه بطابع غير اسلامي ، ثم يصير هذا التطبع ـ مع الزمن ـ طبعاً ، ثم انسلاخاً من حيث يشعر الطالب أو لا يشعر فتجده في لبسه ومأكله ومشربه وكلامه وطريقة تعامله ، غربياً ، أو شرقياً بل ربما أكثر من ذلك (٢٩) .

---

(٢٦) انظر هل نحن مسلمون ١٣٦ ـ ١٣٨ ومذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة للاستاذ محمد قطب لطلاب السنة المنهجية بالدراسات العليا في كلية الشريعة .

(٢٧) انظر المصدرين السابقين .

(٢٨) هل نحن مسلمون ص ١٤١ .

(٢٩) انظر أساليب الغزو الفكري للدكتور علي جريشة وزميله ٦٤ ـ ٦٥ .

وكان من أوائل المبتعثين وأولهم سبقاً في خدمة ما أريد له : **رفاعة الطهطاوي** حيث مكث في فرنسا خمس سنوات من ١٨٢٦ - ١٨٣١ م ولما رجع بدأ ينشر كلاماً يسمع للمرة الأولى في البيئة الاسلامية مثل : الوطن والوطنية والاهتمام بالتاريخ القديم ليدعم به المفهوم الوطني الجديد ، ثم يتحدث عن الحرية وانها سبيل التقدم وكذلك طالب بتقنين الشريعة على نمط المدونات القانونية الأوروبية ، ثم يتحدث بكلام كثير وطويل عن المرأة . كتعليمها ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق واختلاط الجنسين[٣٠] .

وخلاصة ما يريده أعداء الاسلام في قضية التربية والتعليم هو ما قاله المستشرق « جب » في كتابه « وجهة الاسلام » حيث قال :

« . . والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب (أو الفرنجة) هو أن نتبينّ إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادىء الغربية ، وعلى التفكير الغربي . والاساس الأول في كل ذلك : هو أن يجرى التعليم على الاسلوب الغربي وعلى المبادىء الغربية ، وعلى التفكير الغربي . . هذا هو السبيل الوحيد ، ولا سبيل غيره ، وقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الاسلامي ، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين ، وقليل من الزعماء الدينيين »[٣١] .

إن العالم « الاسلامي » كله اليوم يسير في تعليمه وتربيته العلمية على النهج الغربي والشرقي بدليل أن كل الجامعات - مثلاً - تدرس نظرية فرويد في البحوث النفسية ونظرية دوركايم في علم الاجتماع ونظرية ماركس الاشتراكية والشيوعية ، ونظرية فريزر في علم مقارنة الأديان .

.. وينادى باحياء الجاهليات التي سمّاها الله في كتابه وسنّة رسوله جاهلية : تدرس على أنها حضارة راقية ضاربة في أعماق التاريخ أكثر من سبعة آلاف سنة !!

---

(٣٠) يراجع في هذا بتوسع كتاب الاسلام والحضارة الغربية د . محمد محمد حسين ص ١٧ - ٣٠ .
(٣١) عن الاتجاهات الوطنية ٢/٢١٧ ط ٣ .

وكذلك التغني بأمجاد أوروبا ومعرفة « أبطال » حضارتها ، وفصل الدين عن الدولة ، وأن الدين علاقة بين العبد وربه ولا دخل له في شؤون الحياة . . كل ذلك كان ثماراً طبعية للغزو الثقافي[٣٢] .

وأخيراً : فان هذه المناهج التعليمية قد جردت المسلم من ولائه لله ورسوله ودينه واخوانه المؤمنين ومحت عداوته لأعداء الله ، فنشأ جيل لا يعرف الصلة بالله ، ولا يقيم ولاءه وانتماءه على أساس عقيدته بل على ما تعلمه وانتسب اليه من المذاهب والانتماءات الجاهلية .

صورة من صور الولاء الفكري المعاصر

وتستوقفني هنا صورة واحدة أجد أن ذكرها هنا ذو أهمية بالغة ذلك أن هذه الصورة يظهر فيها بوضوح حب التبعية للغرب ، مع الاعتزاز والفخار بالتعليم العلماني والمطالبة ـ وبالحاح شديد ـ بعودته ـ ان كان قد فقد ـ والا ففتح الأبواب له على مصارعها اذا كان مضيقاً عليه .

كتب رئيس تحرير جريدة يومية مقالاً طويلاً بعنوان « الانسان العربي ومعضلة التعليم » وجاء هذا المقال في صفحتين كاملتين من الجريدة هما الصفحة الثانية والثالثة .

واليك مقتطفات من هذا المقال لترى فيه الصورة الصادقة للولاء والتبعية لأعداء الله .

قال الكاتب : (ان التعليم في البلاد العربية ارتبط بأسلوبين مختلفين : **الأول** : المنهج الذي وضعه دنلوب باشا البريطاني ناظر المعارف في مصر ، والذي انعكست آثاره على بقية الرقعة العربية من خلال الاتفاقيات الثقافية الثنائية أو

---

(٣٢) حبذا الاطلاع بتوسع على رسالة « العلمانية وأثرها في العالم الاسلامي » للاستاذ سفر بن عبد الرحمن الحوالي .

الجماعية ويقوم هذا المنهج التعليمي على أبطال القدرة على التفكير (وتفريخ) العديد من الكتبة الذين يؤدون وظائف روتينية لا تحتاج الى أكثر من معرفة متقنة لقواعد القراء والكتابة . . وبنظرة مجردة نجد أن غالبية المتعلمين في بلادنا ينتمون الى هذه المدرسة») .

وصدق الكاتب في أكثر ما قاله هنا وان كان اعتراضنا على منهج دنلوب لا يقتصر على هذه النقطة انما ينصب ابتداء على نقطة أخطر منها بكثير هي تخريج أجيال من المسلمين لا تعرف حقيقة الاسلام بل تتجه إلى الانسلاخ من الاسلام والارتماء في تبعية ذليلة للغرب . ثم تابع معي ما يقول :

« والاسلوب الثاني في التعليم داخل الوطن العربي . بريطاني أيضاً ، ويهدف هذا الأسلوب ـ على خلاف الأول ـ الى خلق مجموعات بشرية **تمتلك القدرة على التفكير السليم بالأنماط الغربية(!!)** .

« وتجسد هذا الأسلوب في مدرستي كلية فكتوريا في الاسكندرية والقاهرة . . وعلى خلاف ما قيل عن هذه المدارس التي اتهمت بالتربية الاستعمارية أو الأدوار البشرية فان الأدلة الدامغة تثبت أن معظم مفكري أبناء الأمة العربية الذين تلقوا تعليمهم الأولي والثانوي داخل منطقة الشرق الأوسط ينتمون إلى احدى هاتين المدرستين ذلك لأن النظام التعليمي بهما يعتمد على أسلوب البحث العلمي(!) الذي ينمي في الطفل والشاب طوال مدارج التعليم : القدرة على التفكير السليم وايجاد العلاقات بين الظواهر المختلفة .

« وتتضح جدية هذا الدور التعليمي من واقع المناهج الدراسية المقررة التي كانت هي ذات المناهج المقررة على الطلبة البريطانيين بأسلوب اكسفورد وكامبردج في مراحل التعليم العام ، المبدئي والاعدادي والثانوي . . **فالباعث الحقيقي لوضع هذا الأسلوب التربوي والتعليمي من خلال فكتوريا الاسكندرية والقاهرة كان يهدف « الى » ايجاد مجموعات من أبناء البلاد العربية ، بمستوى ثقافي قادر على التفاهم والتعامل مع الغرب في مواطن المعرفة العلمية ، التي تربط بينهم بأسلوب المخاطبة المتعارف عليها(!)** .

« واستطاع بالفعل أبناء الأمة العربية المتخرجون من هاتين المدرستين حتى بعد تلقيهم التعليم الجامعي سواء في بريطانيا أو أمريكا أو حتى داخل الوطن العربي أن يقوموا بأدوار واضحة في خدمة مصالح بلادهم من المواقع المختلفة نتيجة توافر القدرة لديهم في مخاطبة الغرب بالأسلوب العلمي المقبول والمفهوم نتيجة انسجام منطق التفكير عندهم مع المعطيات الحضارية المعاصرة(!) .

ثم تحدث الكاتب ـ وهو يؤدي دوره ـ عن الصراع بين مدرسة فكتوريا ومدرسة دنلوب وعن الرابطة التي جمعت بين خريجي كلية فكتوريا ثم قال ان هذه الرابطة ألقيت ولكن مع هذا الالغاء (ظل الترابط والود) قائماً بين هؤلاء الخريجين ، حتى قامت رابطتهم الجديدة المنظمة بشكل دقيق في العاصمة البريطانية لندن . ولقد أقيم هذا الاحتفال الجديد في يوم الجمعة ٤ مايو سنة ١٩٧٩ م .

وبعد هذا تساءل الكاتب : لماذا ألغيت هذه الكلية مع أن مدرسة دنلوب لا تزال قائمة ؟ ثم تحدث عن البديل للمناهج الهزيلة التي تدرس الآن فقال : ـ

(وبغض النظر عن تعاطفي الشخصي مع كلية فيكتوريا كمدرسة أجنبية وجدت على التراب العربي ، تشرفت بالانتماء اليها : فانني أجد أن الاسراع في فتحها الآن بالأنماط التعليمية التي كانت تمارسها من المنابع الفكرية السائدة في اكسفورد وكامبردج كفيلة بأن تمثل أولى الخطوات السليمة على الخط العلمي الذي نهدف اليه . . . ومن الممكن التوسع في فتح المدارس الأجنبية المختلفة البعيدة عن السمات التبشيرية وهي كثيرة وكفيلة باخراج أنماط متعددة من التفكير العلمي السليم الذي يلتقي مع غيره من أنماط علمية سليمة أخرى ، ليؤدي التفاعل بينها إلى خلق القدرة العربية في الوصول الى أسلوب المخاطبة مع الغرب ، والتعبير عن مصالحنا وأهدافنا القومية)[٣٣] .

إنني أعتقد أن هذه الفقرات التي أوردتها كافية في الدلالة على صدق صورة هذه الموالاة للغرب ، وهي صادقة أيضاً في براء هذا الفكر من الفكر الاسلامي السليم .

---

(٣٣) جريدة عكاظ / العدد الاسبوعي رقم ٤٧٢٨ بتاريخ ١٣٩٩/٦/١٦ هـ .

فالكاتب لا يرى في الاسلام بديلاً صالحاً للمناهج الهزيلة التي تدرس الآن في العالم الاسلامي ، لأنه غير مقتنع بصلاحية الاسلام ، الذي يربي المؤمنين على العقيدة الاسلامية الصحيحة وعلى الولاء الخالص الصادق لهذه العقيدة . مع البراء من كل دخيل عليها ، والشعور بالاعتزاز بهذه المكرمة الربانية التي لا يستحق هذا الكاتب وأمثاله أن يتحلوا بها . لأنها لا تكون إلا للمؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وليست لمجموعة من (أفراخ) التعليم الغربي الكافر .

فهل وعى ذو الحجى منا خطورة هؤلاء التلاميذ الذين ينشرون هذا الكلام في صحفنا ويضعون مناهج التعليم في بلادنا ؟

اللهم بلغت اللهم فأشهد .

٢ ـ وسائل الاعــلام

لوسائل الاعلام ـ الكتاب ، القصة ، الاذاعة ، التلفزيـون ، المجلة ، الجريدة ، السينما وأخيراً الفيديو ـ أثر كبير وخطير على جميع طبقات المجتمع وقد أدرك أعداء الاسلام خطورة هذه الوسائل وما لها من تأثير عميق فاحكموا قبضتهم عليها ، وبثوا من خلالها ما رسموه لافساد المسلمين واخراجهم من اسلامهم .

وجميع هذه الوسائل تحرص ـ وبكل ما أوتيت ـ على فسخ وخلع ولاء المسلم لدينه واخوانه المؤمنين وتركز بكل قوة على تذويب تميز المسلم عن غيره ، وعلى زعزعة برائه وعداوته للكفار ، حيث تحسن للناس : ان البلاد الصناعية هي بلاد الحرية وبلاد التقدم وبلاد العلم والرقي والمدنية وان الذي يشعر أو يدين بالعداوة الدينية لهذه الشعوب العظيمة هو انسان لم يعرف روح العصر وروح العلم الذي مزق الحواجز بين الأجناس ووصل القارات وجعل الناس اخوة في الشرق والغرب!! وهي البلاد التي يستطيع الانسان فيها أن يمارس ما يشاء وكيف شاء !!

ولقد قامت وسائل الاعلام في البلاد الاسلامية ـ ولا تزال تقوم ـ بحرب شعواء على الدين الاسلامي وعلى المسلمين ففضلاً عن أنها تحسن وتدعو إلى موالاة الكفار : هي أيضاً حريصة على نشر الفاحشة في الذين آمنوا .

والمتتبع للصحف الصادرة في أوائل هذا القرن الميلادي يجد فيها صورة صادقة لما نقول فصحيفة المقطم - مثلاً - تجدها موالية للانجليز ، تعمل لحسابهم ، وتصور أفعالهم بأنها أفعال انسانية ، حيث أنهم - أي الانجليز - لم يقيموا في مصر الا لرفع الظلم واحياء العدل ، واليهم وحدهم يرجع الفضل في انقاذ مصر من كل ما أصابها !! وكذلك كانت مجلة المقتطف تدور كتابتها وآراؤها حول هذا الموضوع[٣٤] .

وقد عملت هذه الصحف والمجلات المأجورة على اماتة الجهاد بمفهومه الاسلامي الصحيح ، وتردد ما يقوله أسيادها من أن المسلمين أناس همج يحبون الحروب وسفك الدماء ، ولا تتسع صدورهم للتسامح « لأنهم أناس متعصبون » ؟ !

فاذا أرادوا الخروج من هذه الوصمة فعليهم بالتسامح والتحبب للآخرين وتغيير النظرة اليهم ، ويجب عليهم أن يبرأوا من ذلك « التراث » الذي يعمق تلك الروح المتعصبة في نفوسهم[٣٥] !

وكذلك كانت مجلة الهلال والمقتطف تعملان على (تطوير الفكر الاسلامي واشرابه الروح العلمانية التحررية التي سادت أوروبا في القرن التاسع عشر)[٣٦] .

ومن المهام التي عنيت بها وسائل الاعلام : اشاعة الفاحشة ، والاغراء بالجريمة ، والسعي بالفساد في الأرض لخلخلة العقيدة وتحطيم الأخلاق واذا انهدم الركنان الأساسيان - وهما العقيدة والأخلاق - فكيف يرجى بعد ذلك قيام بناء سليم[٣٧] ؟

واذا كان هذا هو تأثير وسائل الاعلام بوجه عام ، فكيف اذا علمنا أن معظم

---

(٣٤) انظر بتوسع : الاتجاهات الوطنية ١/٩٠ - ١١٣ .

(٣٥) انظر المصدر السابق ١/١١٢ .

(٣٦) الاسلام والحضارة الغربية ص ٦٠ .

(٣٧) انظر أساليب الغزو الفكري ص ٧١ ط ٢ .

القائمين على هذه الصحف والمجلات ، أناس كفار ، قد ملئت صدورهم حقداً وكراهية لهذا الدين ، وامتلأت نفوسهم غيظاً من شدة ما يرون من تأثير هذا الدين ، وما تصنعه هذه العقيدة .

وهؤلاء كثير . منهم على سبيل المثال لا الحصر : جورجي زيدان مزيف التاريخ وهو صاحب دار الهلال وسليم تقلا مؤسس جريدة الاهرام ، ويعقوب وفؤاد صروف صاحبا المقتطف .

وهذه الوسائل قد قامت بمحاربة الله في الأرض ، تريد أن تحلل ما حرم الله ، وتحرم ما أحل الله ، فنصبت نفسها طاغوتاً يعبد من دون الله .

ومصداق ذلك : أن الصحافة المأجورة أيام تأسيسها في مصر ظلت تكتب عن مشلكة البغاء ثلاثين سنة ، وكذلك عن مشكلة المرأة واختلاطها بالرجال ، وتحطيم هيبة الدين ووصمه بالرجعية والجمود والتقاليد البالية ، وأنه لم يعد صالحاً لمواكبة العصر ، كما قال ذلك الصحافي المأجور « هيكل » حين قال : (ان التقدم التكنولوجي قد أحال أقدس الكتب الدينية ـ أي القرآن ـ الى أوراق صفراء تحفظ في المتاحف)[٣٨] . بل تعدت وسائل الاعلام المأجورة من قبل أعداء الاسلام على الألوهية . فقال نجيب محفوظ في احدى قصصه ان الله قد مات[٣٩] « ألا لعنة الله على الظالمين » .

أما عن قضية حجاب المرأة المسلمة فهذا شيء هاجت له جميع وسائل الاعلام ولا تزال وأول من قاد هذه الدعوة المجموعة قاسم أمين في كتابه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » ونادى بالمرأة المصرية أن تجاري أختها الأوروبية في كل شيء ، ومن ثمار هذه الدعوة من سميت أمينة وهي ليست أمينة ، انها أمينة السعيد التي قالت وهي تهاجم الحجاب « عجبت لفتيات مثقفات كيف يلبسن أكفان الموتى وهن على قيد الحياة » ، وقبلها كانت « الزعيمة » هدى شعراوي وصفية زغلول ، وغيرهما من اللائي أحرقن الحجاب في ميدان الاسماعلية الذي سمي بعد ذلك

(٣٨) نقلاً عن مذكرة المذاهب الفكرية للاستاذ محمد قطب .

(٣٩) انظر المصدر السابق .

« ميدان التحرير »[٤٠] !

وخلاصة ما يمكن أن نقوله عن وسائل الاعلام ومن يخطط لها : انها قلبت المنكر معروفاً وأمرت به ، وقلبت المعروف منكراً ونهت عنه .

ومن يراجع بروتوكولات حكماء صهيون يجد مصداق ما ذكرنا كله حرفاً بحرف بل وأكثر من ذلك ، واليك هذا النص الصريح من نفس البروتوكولات .

جاء في البروتوكول الثالث عشر ما نصه : (ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية من أن تكشف بنفسها أي خط عمل جديد لنا سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب وهلم جرا .

« وسرعان ما سنبدأ الاعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما اليها .

« إن هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد هو : اننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيد بين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة .

« وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها ، من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا .

« إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا وسيؤدون لنا خدمة طيبة حتى يحين ذلك الوقت ، ولهذا السبب سنحاول أن نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة التي يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية .

« لقد نجحنا نجاحاً كاملاً بنظرياتنا على التقدم في تحويل رؤوس الأميين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية . ولا يوجد عقل واحد بين الأميين يستطيع أن

---

(٤٠) راجع كتب الدكتور الاستاذ محمد محمد حسين (الاتجاهات الوطنية) ، والاسلام والحضارة الغربية وحصوننا مهددة من داخلها .

يلاحظ أنه في كل حالة وراء كلمة « التقدم » يختفي ضلال وزيغ عن الحق »[٤١] .

وأحسب أن كل عاقل سيقف بروية عند قولهم « وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا . . الخ .

ولكن مع هذا أيضاً نقول : ان هذا الغزو الفكري مهما كان من الشراسة والحنكة والتخطيط مع الدقة وضبط التوقيت المناسب للمادة المناسبة مع هذا كله فان المسلمين أو أكثر المحسوبين على الاسلام قد أسهموا في عمل هذه الوسائل الخبيثة لأنهم ابتعدوا عن دينهم وتخلوا عن مفاهيم عقيدتهم والله سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

٣ ـ نشر كتب المستشرقين

لئن كانت حركة الترجمة الأولى قد صحبها من الانحرافات ما سبقت الاشارة اليه ، فان حركة الترجمة المعاصرة أشد خبثاً من سابقتها وأكثر افساداً منها .

ذلك أن الترجمة الحديثة لم تلكن في غالب الأحوال عن طريق غير المسلمين فحسب ، بل اتجهت إلى ترجمته كتب المستشرقين الحاقدين الذين قاموا بأعمال فكرية كثيرة هدفها الأساسي تشويه مصادر التلقي عند المسلمين وتكديرها بالأفكار المغرضة والدسائس الحاقدة لينشأ جيل اسلامي مفصول العرى عن دينه وأمته ، يتخذ من الطرائق الغربية في التفكير والبحث قبلته الوحيدة ، ولا يشعر بالانتماء للاسلام ديناً ومنهجاً وحضارة .

وكتابة المستشرقين تتفق في معظمها على أسلوب واحد هو : : نها دراسات

(٤١) بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٦٨ ترجمة محمد خليفة التونسي ط ٤ وانظر مكائد يهودية للميداني ص ٣٤٦ .

موجهة من قبل المستشرقين أنفسهم ومن قبل من يمولهم في عملهم فهي ليست دراسات علمية يقصد بها وجه العلم ، يدل على ذلك قول « سمث » في كتابه « الاسلام في التاريخ الحديث » في الفصل الثالث الذي تكلم فيه عن العرب : ان الاسلام كان عاملاً أساسياً وسبباً مهماً من أسباب وجود الهوة التي تفصل بين الغرب والعرب ثم يقول : « لقد أصبح من الحقائق الجديدة في مدنيتنا العصرية أن من الواجب سد هذه الثغرات ببناء قنطرة فوق مثل هذه الهوة ، وخلق الاسباب الموصلة للتفاهم والتواصل . . وخلق مثل هذا التفاهم بين المدنيات المختلفة والأديان المتباينة يتطلب جهوداً مبتكرة لا يتوصل اليها الا بصعوبة[٤٢] .

« ولقد قام المستشرقون بجهود كبيرة تمثلت في احياء بعض النصوص والمخطوطات الاسلامية وكان لهم في ذلك طرق منظمة إلى حد ما ، ولهم أيضاً في ذلك أخطاء كثيرة في فهم النصوص وتفسير الأحداث ، ولكن مع كل ذلك فليست العبرة بالجهد الذي بذل وانما العبرة بالهدف الذي بذل هذا الجهد من أجله هل كان هذا الهدف هو « خدمة » الاسلام أم تشويه الاسلام وتلويث صورته في النفوس »[٤٣] ؟

ويدعي المستشرقون في كل ما يكتبون الروح العلمية أو الروح المتجردة ! وغير ذلك من الشعارات التي تكذبها كتابة المستشرقون أنفسهم ، ودليل ذلك أن مرجليوث ـ وهو من أئمتهم ـ يقول في فصل له منشور في موسوعة « تاريخ العلم » ان محمداً ﷺ رجل مجهول النسب لأنه محمد « بن عبد الله » وقد كان العرب يطلقون على من لا يعرفون نسبه اسم عبد الله !!!

أوليس منبع هذا هو الحقد الصليبي لا الروح العلمية المتجردة ؟

أوليس دافع هذا : التشكيك في الحقائق المسلمة البدهية ؟

كيف يقال هذا الكلام ورسول الله ﷺ من قوم لا تعرف شيئاً كما تعرف

---

(٤٢) ص ١٠٢ ـ ١٠٣ نقلاً عن الاسلام والحضارة الغربية ص ١٠٩ .

(٤٣) هل نحن مسلمون ص ١٧٤ بتصرف بسيط .

الانساب ولا تعتز بشيء كاعتزازها بالانساب ؟

أي سخف وأي تفاهة في هذا التفكير الاستشراقي الخبيث ؟[٤٤]

وماذا ينتظر من هؤلاء وواحد من زعمائهم « جولد تسيهر » يقول في كتابه « العقيدة والشريعة » ان النظام الفقهي الاسلامي الدقيق مستمد من « القانون الروماني » ونظامه السياسي متأثر بالنظريات السياسية الفارسية ، وتصوفه يمثل الآراء الهندية والافلاطونية الجديدة!!![٤٥] .

ولو أردنا تتبع الأمثلة لطال الحديث في ذلك .

ولكننا نقول : ما دام هؤلاء الناس بهذه الروح الحاقدة والنية السيئة والفعل الخبيث . سلاحهم التشكيك ، وديدنهم الكذب والتزوير وطابعهم الحقد الصليبي القديم ، ما داموا كذلك فما هو ـ يا ترى ـ قيمة كل ما كتبوه ؟

وماذا يرتجي من تلاميذهم الذين ينظرون اليهم بروح الاجلال والاكبار وانهم هم أساطين البحث العلمي المتجرد ؟

إن كثيراً من تلاميذهم يستطيع أن يغالط نفسه وغيره ممن هو على شاكلته كثيراً ولكنه لا يستطيع أن ينكر واقعاً مشهوداً في حياة المستشرقين أنفسهم غير ما ذكرنا من الأمثلة السابقة .

ذلك أن الطلاب المبتعثين للدراسةعلى أيدي المستشرقين لا بد أن يختاروا بحوثهم العلمية على ما يريده لهم أساتذتهم . فان لم يكن كذلك وأعطي الطالب حرية الاختيار فلا بد أن تكون الكتابة في أي موضوع خاضعة لما يمليه هذا المستشرق وما يصبوا اليه من الطعن في الاسلام شريعة وعقيدة ونظام حياة . خاصة اذا كان البحث في « قضايا الاسلام » .

وخير مثال على ذلك ما ذكره الاستاذ الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله حيث قال : (حدثني البروفسور « اندرسون » نفسه أنه **أسقط** أحد المتخرجين من الأزهر الذين أرادوا نوال شهادة الدكتوراه في التشريع الاسلامي من جامعة

---

(٤٤) انظر المصدر السابق ص ١٧٢ .

(٤٥) المصدر السابق ص ١٧٦ .

لندن ، لسبب واحد هو أنه قدم أطروحته عن حقوق المرأة في الاسلام ، وقد برهن فيها على أن الاسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة ، فعجبت من ذلك ، وسألت هذا المستشرق : وكيف أسقطته ومنعته من نوال الكتوراه لهذا السبب ، وأنتم تدعون حرية الفكر في جامعاتكم ؟

قال : لأنه يقول : الاسلام يمنح المرأة كذا والاسلام قرر للمرأة كذا ، فهل هو ناطق رسمي باسم الاسلام ؟)[٤٦] !!

لقد أحدثت كتب المستشرقين زعزعة كبيرة في نفوس ضعاف الايمان ، فخرج من هذه المدرسة التشكيكية أجيال تولت القيادات الفكرية والعلمية في العالم الاسلامي وأخذت تردد كالببغاء ما أملاه عليها اساتذتها « العلماء » .

ولقد كان من أهم أهداف المستشرقين وتلاميذهم الطعن في سنّة رسول الله ﷺ ومحاولة النيل منها . ومصداق ذلك أن أحد هؤلاء التلاميذ وهو الدكتور علي حسن عبد القادر قال لتلاميذه بعد أن رجع « دكتوراً » اني سأدرس لكم تاريخ التشريع الاسلامي ولكن على طريقة علمية لا عهد للأزهر بها ، واني أعترف لكم بأني تعلمت في الأزهر قرابة أربعة عشر عاماً فلم أفهم الاسلام ولكنني فهمت الاسلام حين دراستي في المانيا[٤٧] !! قال الاستاذ السباعي رحمه الله : ثم تبين لنا فيما بعد أنه يملي علينا ترجمة حرفية لكتاب « جولد تسيهر » دراسات اسلامية !![٤٨] .

أما أكثر ما يعتمدون عليه في الطعن في السنة من غير الشبه والشكوك فهو حكاية عرض الحديث على « العقل » وهي حكاية قديمة نادى بها المعتزلة ، وتبعهم عليها المستشرقون وتلاميذهم أمثال أحمد أمين وأبي رية وغيرهم كثير .

وللمستشرقين أيضاً كتابات أخرى دس فيها السم بالعسل وذلك أنهم

---

(٤٦) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ص ١٣ ط ٢ وذكر أيضاً ـ رحمه الله ـ أمثلة كثيرة حول هذا الموضوع فليراجعها من شاء في ذلك الكتاب القيم .

(٤٧) السنة للسباعي ص ١٩ .

(٤٨) نفس المصدر ص ١٩ .

يصدرون كتاباتهم بقليل من المدح للاسلام وأنه فعل كذا وكذا . . الخ ، وهم يهدفون من وراء ذلك إلى كسب ثقة القارىء ، ثم يبدأون بنفث الحقد الدفين في نفوسهم بأن يشككوا في العقيدة والشريعة ويوردوا سيلاً من الشبه التافهة من اجل زعزعة ثقة المسلم بدينه[٤٩] تحقيقاً لقوله تعالى :

وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

٧٢ آل عمران .

ومما لا شك فيه أن هناك أموالاً وحكومات وراء نشر كتب المستشرقين في العالم الاسلامي لأن هذا الغزو يحقق لأعداء الاسلام ما لم يحققه لهم الغزو العسكري .

على أنه من المهم أن نقول هنا : أن تخلي المسلمين عن منهجهم العلمي بعد تخليهم عن مفاهيم العقيدة الصحيحة وترك منهج المحدثين الذي هو أعظم منهج علمي وضع في تاريخ البشرية سبب مباشر يقف إلى جانب كيد المستشرقين في ازدياد هوة هذا الانحراف الذي وقع في حياة المسلمين :

وخلاصة القول : ان كل من تأثر بالمستشرقين ـ فكراً أو منهجاً ـ لا يمكن أن يكون ولاؤه لدينه وأمته صافياً صادقاً كما أن براءة لن يكون وفق التصور الاسلامي الصحيح .

---

(٤٩) الاستاذ الدكتور محمد محمد حسين جزاه الله خيراً تتبع مزيداً من هذه البحوث في كتابه الاسلام والحضارة الغربية خاصة في الفصول الرابع والخامس والسادس فليراجع .

٤ ـ المذاهب اللادينية

إن من أخبث وأخطر ما واجه المسلمين في عصرهم الحاضر انتشار المذاهب اللادنيية بينهم ، حيث أريد لهذه المذاهب الهدامة أن تمحو شريعة الله من الأرض وتقصيها من واقع حياة المسلمين . وتشتت ولاء المسلمين الواحد إلى ولاءات جاهلية متعددة ، فاذا انتزع ولاء المسلم لدينه سهل حينئذ تقبله لأي فكر ، ورضي بأي وضع يعيش فيه مهما كان في ذلك من التبعية والانهزام .

من هنا عمل أعداء الاسلام على بث هذه المذاهب مستخدمين لذلك وسيلتين :

(١) الهجوم الشرس على العقيدة الاسلامية والشريعة ورميها بأحط ما وضعوا من عبارات مسفة كقولهم أن الشريعة الاسلامية شريعة بربرية تشوه يد السارق ، وترتكب جريمة فظيعة برجم الزاني المحصن ولا تساير روح العصر الذي سيطرت عليه المعارف « التكنولوجية » بل ليس في الاسلام مواد قانونية تنظم حياة الناس . . الى آخر ذلك الهراء .

(٢) اضفاء صبغة البهرجة الكاذبة ، والدعاية لتلك المذاهب الهدامة ووصفها بأنها هي علامة التقدم ومسايرة الركب الحضاري العالمي ، وهى التي تعطي الناس الحرية في كل شيء . وهي مذاهب لا تقيد الانسان بدين معين ، بل يأخذ ما يريد ويدع ما لا يريد مذاهب تخلو من التزمت وضيق الأفق . . إلى آخر ما هنالك مما يقال .

ولقد وقع كثير من المنتسبين للاسلام فريسة لهذا الغزو الفكري الماكر ولا أريد هنا أن أدخل في قضية الردود على كل جزئية فان ذلك ليس من منهج هذا البحث ، كما قد أشرت إلى ذلك سابقاً وصدق القائل .

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً   لأضبح الصخر مثقالاً بدينار .

ثم اننا لم نعد بحاجة كبيرة لتتبع الرد على شبهات الأعداء وقولهم ان هذا العصر لم يعد بحاجة الى الدين ، لأن هذا كلام يكذبه واقعهم هم ، بدليل ما نشاهده اليوم في البلاد الكافرة كأمريكا وأوروبا من حالة الضياع والانتحار والقتل وفظائع الجريمة والخواء الروحي . وبحثهم عما يشبع جوعهم الروحي الذي لا يملأه الا الاسلام .

وأما ما يتعلق ببهجرة مذاهبهم الالحادية فأكبر مثال يكذبها عندهم هم هو فشلها في بلادهم .

ثم ما كتبه مفكروهم عن تدهور الحضارة الغربية ، حيث ذكروا أنها في طريقها إلى الزوال وهذا أمر ثابت لا يحتاج الى جدال . فان كل بناء قام على غير ما شرع الله ، مصيره الزوال والدمار كما قال تعالى

فَلَمَّا نَسُوا۟
مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟
بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ

٤٤ الأنعام .

وأوروبا اليوم قد فتح عليها كل شيء في العلم المادي والتقدم الصناعي والسياسة والمال والاقتصاد وغير ذلك ، ولكنها مع هذا كله في طريقها للزوال وفق سنن الله التي لا تتبدل ولا تتحول .

هذا وبالرغم من أنني سأعطي فكرة موجزة عن هدف كل مذهب يتعلق ببحثي الا أنني أبادر إلى القول بأن الهدف الأول والأخير من كل هذه المذاهب الكافرة هو : اخراج المسلم من اسلامه وقطع ولاء المسلم بربه ودينه واخوانه المؤمنين ، ثم العودة إلى روح الجاهلية التي تتمثل في الطاعة والانقياد والخضوع لهذه المذاهب الكافرة ولطواغيتها الذين يخططون لها . والعودة أيضاً بالمسلمين إلى جاهلية العرق والنسب والتراب وسائر أنواع النتن التي أمر الله المسلمين بتركها

لأنها تنقض عرى الاسلام عروة عروة . وهذا الهدف تتفق عليه كل المذاهب الكافرة باتجاهاتها المختلفة وانتماءاتها المتنوعة ولكنني ـ وأنا أكتب عن عقيدة الولاء والبراء ـ سأقتصر على تلك المذاهب التي تبدو فيها صورة منافاتها لهذه العقيدة واضحة جلية ، وتناقضها معها أمراً ظاهراً .

ومن ذلك القومية والوطنية ، اللتان تحصران الولاء في دائرة الجنس أو التراب فيلتقي فيها مثلاً اليهودي العربي والنصراني العربي والمشرك العربي ، والبعثي العربي مع المسلم العربي لأن رابطة القومية العربية تجمعهم !! وهذا أمر يرفضه الدين الحنيف لأن الرابطة فيه هي رابطة العقيدة ، فضلاً عن أن الوطنية والقومية ضيقتا دائرة الولاء .

إن العالم الإسلامي كان أمة واحدة تظلله راية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ورغم خط الانحراف الذي يرتفع ويهبط في تاريخ المسلمين الا أنهم الى ما يقرب من ثلاثة قرون كانوا يشعرون أنهم أمة واحدة لأنهم يدينون بدين واحد ويؤمنون بكتاب واحد وسنة واحدة ويتحاكمون الى شريعة واحدة .

ولقد كان المسلم يخرج من طنجة حتى ينتهي به المقام في بغداد لا يحمل معه جنسية قومية أو هوية وطنية وانما يحمل شعاراً اسلامياً هو كلمة التوحيد ، فكلما حل أرضاً وجد فيها له إخوة في الايمان وان كانت الألسنة مختلفة والألوان متباينة لأن الاسلام أذاب كل تلك الفوارق واعتبرها من شعارات الجاهلية .

ولكنه نتيجة لضعف المسلمين وتمكينهم عدوهم من أنفسهم سهل استعمارهم من قبل أرذل خلق الله . وهم اليهود والنصارى ومن جاء بعدهم كالملاحدة الشيوعيين .

وبعد أن تمكن العدو من السيطرة على أرض السلام أخذ يبث سمومه ويغرس في نفوس الضعاف والسذج والعملاء حبه ونصرته وموالاته ، واستحسان ما هو عليه من باطل وكفر ، وهنا نزع الولاء الاسلامي ليحل محله الولاء الجاهلي الكافر .

ومصداق هذا الكلام قول أحد المستشرقين في كتاب « الشرق الأدنى مجتمعه

وثقافته » وهو يتحدث عن أسلوب نزع ولاء المسلمين فيقول (اننا في كل بلد اسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنحصل على تراث الحضارات القديمة قبل الاسلام ، ولسنا نعتقد بهذا أن المسلم سيترك دينه ولكنه يكفينا منه تذبذب ولائه بين الاسلام وتلك الحضارات)[٥٠] .

وهذا الكلام صادق في ذاته ، لأن نشوء فكرة احياء الحضارات والنعرات الجاهلية أمر خطير على قضية الولاء ، حيث ينشأ من ذلك نظام نكد ، ويبتدىء الميل والحب - بفعل شياطين الجن والانس - يكبر تجاه هذه الحضارات ويقل ثم يضمحل الولاء الاسلامي الخالص لله رب العالمين .

وبعد أن كان البراء أمراً ملازماً للولاء تجاه هذه النعرات الجاهلية أصبح أمراً لا وجود له - الا عند من رحم الله - لأن هذه الأفكار كفيلة بغسل فكرة البراء من النفس عند ضعاف الايمان ، أو المغالطة عند البعض بأن هذه الأفكار والمذاهب لا تتعارض مع الاسلام ! ويقال : ما الذي يمنع المسلم أن يكون مسلماً وقومياً أو مسلماً علمانياً أو مسلماً اشتراكياً . . الخ .

ولما أدرك أعداء الاسلام مدى جدوى وفاعلية هذه الفكرة التي تمسخ المسلم حتى يصبح مخلوقاً لا صلة له بالله - كما قالوا - بدأوا ببث فكرة القومية والوطنية ، مبتدئين بتركيا مقر آخر خلافة اسلامية ، حيث نشأت هناك : القومية الطورانية وتزعم هذه الدعوة حزب « الاتحاد والترقي » فبدأ بالمطالبة « بتتريك » تركيا ، وعودة القومية الطورانية متخذين لذلك شعار : الذئب الأغبر الذي هو معبود الأتراك قبل أن يعرفوا الاسلام .

وبهذا (التتريك) أخذت الدولة العثمانية تضغط على العرب ، حيث تعطي الأتراك امتيازات خاصة بهم لأنهم ترك ! وهذا الفعل فضلاً عن كونه يعارض مبدأ العدل الاسلامي هو أيضاً مؤشر للعرب أن يتحدوا في قومية عربية جديدة ! وهذا هو الذي حصل فعلاً .

فلقد قام الجاسوس لورنس - الذي سماه المغفلون - « لورنس العرب »

---

(٥٠) نقلاً عن مذكرة المذاهب الفكرية .

بالتخطيط لقيام ما يسمى بالثورة العربية الكبرى ضد الخلافة العثمانية وانضم العرب الى جيوش الحلفاء الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ولا يراعون في مسلم عهداً و لا حرمة[٥١] . ومن المضحك المخزي أن محرك هذه الجيوش العربيه هو لورنس العرب !!

فانظر أيها القارىء إلى جيوش عربية تزعم أنها مسلمة وولاؤها لجاسوس غربي كافر اسمه لورنس!!

وبعد انتهاء مهمة هذه الجيوش قال أحد القادة الانجليز - « اللينبي » - قولته المشهورة « الآن انتهت الحروب الصليبية » !! يقصد بذلك أن الحقد الصليبي ظل كامناً في نفوس الصليبيين إلى أن استردوا بيت المقدس »[٥٢] .

وانفصل العرب عن اخوانهم المسلمين في أنحاء المعمورة واعتنقوا القومية العلمانية من أجل تقليد الغرب الذي آمن بها بالأمس وكفر بها اليوم . وأصبح « كل تجمع أو حتى تضامن أو تقارب على أساس العقيدة والدين مظهراً من مظاهر التخلف والرجعية يجب أن تبرأ منه الجماهير لتكون عصرية تقدمية »[٥٣] .

ولما انتكست العرب وعادت إلى نعرة الجاهلية ، فقدت روح التضحية والجهاد ، وولت وجهها تجاه اليمين واليسار ، حيث اليمين له ألوان وضروب من واشنطن الى باريس إلى لندن واليسار له ألوان أحمر وأصفر وبينهما بعد ما بين موسكو وبكين[٥٤] .

ولما وقعت هذه النعرة الجاهلية ، وقع معها كل باطل وكل شر .

فأما شريعة الله وحكمها وقيامها بما يحتاج اليه البشر لأنها من عند الله وهو العليم سبحانه بما يصلح أحوال البشر : فقد أقصيت وحل محلها قانون البعث العربي الاشتراكي الذي أخذ يردد هذا الشعار .

(٥١) العرب والاسلام للندوي ص ٩ .
(٥٢) انظر المحاضرة القيمة : المخططات الصهيونية للاستاذ محمد قطب الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ المختار الاسلامي بالقاهرة .
(٥٣) درس النكبة الثانية للاستاذ يوسف القرضاوي ص ٣٥ ط الأولى .
(٥٤) درس النكبة الثانية ص ٣٦ .

لا تسل عن ملتي أو مذهبي أننا بعثي اشتراكي عربي

ومن المضحك أن صاحب هذا الشعار حين تلقى صفعة موجهة من اليهود بالرغم من ولائه لهم ـ مسح ذلك الشعار وكتب مكانه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله !!!(٥٥) .

أما ثمار هذا (الفتح الجديد) بعد الرضى بالقومية فشيء يصعب حصره ، حيث انطلقت الغرائز البهيمية وطغت الشهوات ، وانتشر المجون والفسق ، وتحللت الأخلاق وغربت الفضائل ، فأصبح العفاف والاحتشام والحياء : رجعية متزمتة لم تر نور القرن العشرين ، وأصبح اللهو والخلاعة والصور العارية والقصص الخليعة والأدب الرخيص ، والأزياء المثيرة والغناء والرقص والاختلاط سمات الحضارة وعنوان التقدم وشارة التحرر من ربقة التقاليد البالية!!(٥٦) .

وأعجب من ذلك كله أن اليهود الذين هم وراء هذه الردة الجديدة يعلنون وبصراحة وجدية واضحة أنهم لم ولن يتخلوا عن دينهم فهذا موشي ديان حين سئل هل كنتم تشعرون أن الله معكم في معركة ٥ حزيران ؟

قال : كنا نشعر أننا في جانب الله »(٥٧) .

ويقول زعيم الصهيونية الأول « هرتزل » : ان العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودة إلى اليهودية(٥٨) .

ونشطت الدعوات الهدامة ، فهذه النعرة الفرعونية تطل برأسها وتسفر عن وجهها بعد أن كانت لا تظهر الا مقنعة أو من خلف ستار .

نشط دعاتها في الصحف والندوات ورسموا رأس « أبي الهول » على طوابع

---

(٥٥) نظرة التربية الاسلامية للشيخ محمد الغزالي . وهو بحث قدم لندوة اسس التربية الاسلامية بمكة في ١١/٦/١٤٠٠ هـ .

(٥٦) انظر درس النكبة الثانية ص ٣٩ .

(٥٧) المصدر السابق ص ٨٢ .

(٥٨) نفس المصدر ص ٨٢ .

البريد وعلى أوراق النقد ، واجتاحت مصر موجة من الفرعونية ، تحاول غزو سائر النواحي الثقافية ، وتدعو إلى اقامة الفنون على أسس فرعونية ، وتزعمت صحيفة « السياسة الأسبوعية » هذا الاتجاه الجديد ، فأفسحت صدرها لهؤلاء الدعاة ولم يخل عدد من أعدادها من حديث عن حضارة الفراعنة وثقافتهم ومجدهم[٥٩] .

وكثر التغني بهذه الأمجاد من أجل ذبذبة ولاء المسلم ، فهذا حافظ ابراهيم يقول :

أنـا مـصـري بنـانـي مـن بنـى هـرم الـدهـر الـذي أعيى الفنـى

ورجعت العراق لعنصرية الأشوريين ، وكل بقعة أخذت تنادي بهذه الردة الجديدة .

أما الشعار الوطني الجديد : فهو ما أعلنه سعد زغلول بقوله : الدين لله والوطن للجميع ! أي الوطن ليس لله ، ثم قال : لا تنادوا بشعارات اسلامية خشية أن يغضب اخواننا الأقباط[٦٠] .

ونادى دعاة القومية الناس بأسلوب ماكر فقالوا : ما المانع أن يكون المسلم العربي ـ عربياً مسلماً ، ثم قالوا : يكون عربياً فقط . اليس الاسلام عربياً ؟ اذن ما هو عيب القومية العربية ؟ ان العرب اذا ذلوا ذل الاسلام فلنناد بالقومية العربية !!

وهذا كلام غير صحيح لأنه يوم ذل العرب جاء صلاح الدين الكردي ، وجاء قطز المملوكي فانقذوا المسلمين من ذلك الهوان ، وانتصر القائدان بقولهما واسلاماه .

ولم يكن في حسهم ولا في عقيدتهم هذه التفرقة ولا هذه النعرة الجاهلية[٦١] .

إن الاسلام يكذب ذلك الزعم الذي يزعمه القوميون لأنه جاء لانتزاع هذه النعرات فجمع في دعوته بل في أول دعوته : أبا بكر العربي القرشي وبلال

(٥٩) انظر : ازمة العصر للدكتور محمد محمد حسين ٤٣ ـ ٥٣ .

(٦٠) ، (٦١) مذكرة المذاهب الفكرية .

الحبشي وصهيباً الرومي وسلمان الفارسي . وكما قال عمر رضي الله عنه : نحن قوم أعزنا الله بالاسلام فاذا التمسنا العزة بغيره أذلنا الله .

إن تقليد الغرب في استيراد مبدأ القومية أو العلمانية أو أي مذهب أو فكر : يعيد للأذهان تلك القصة الرمزية القديمة التي تتحدث عن حمارين كان أحدهما يحمل ملحاً وكان الآخر يحمل اسفنجاً . فرأى حامل الاسفنج صاحبه ينزل إلى الماء فيذيب بعض الملح ويخرج منه أخف حملاً ، فخطر له أن يحصل على المزية نفسها بالأسلوب نفسه ، فكانت النتيجة على عكس ما توقعه ، وخرج من تجربته أثقل حملاً(٦٢) .

وخلاصة القول في القومية : انها شرك بالله لأنها بايجابها العمل لها وحدها . والتضحية والجهاد في سبيلها ، وصرف الكره والبراء وما يتبعهما ضد كل خارج عن القومية ، وصرف الحب والولاء وما يتبعهما للقوميين ومن والاهم : هي بهذا تكون نداً يعبد من دون الله لأن ذلك يقوم مقام النفي والبراء والاثبات والولاء وهما ركنا الألوهية ، أو العبادة في قول « لا إله الا الله » فلا « إله » نفي وبراء ، و « الا الله » اثبات وولاء لله لا شريك له . والدليل على ذلك قوله تعالى :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ
ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ (٦٣)

١٦٥ البقرة .

---

(٦٢) الاسلام والحضارة الغربية ص ٢٣٧ .

(٦٣) انظر فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام ص ١٢٩ للشيخ صالح العبود وهي أوسع كتاب فيما أعلم في قضية القومية العربية مكتوبة بالآلة الكاتبة في الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة . ويراجع أيضاً كتاب الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية للندوي ص ١٢٤ ـ ١٦٢ الطبعة الثالثة ، وكتاب الاتجاهات الوطنية ٦٧/١ ، ١٠٥ ، ٢٩٢/٢ وكتاب الشعوبية الجديد لمحمد مصطفى رمضان .

وليس بعد الحق الا الضلال . فليحذر كل مسلم على نفسه من الوقوع في هذا الشرك المقنع .

وأما العالمية : أو « الانسانية » فهي تتفق أيضاً مع القومية والوطنية في مناقضة عقيدة الولاء والبراء ، ولكن هذا التناقض يتخذ شكلاً آخر : هو توسيع دائرة الولاء بحيث يدخل فيها كل الأقوام والأديان والأوطان . وهذا في حقيقة الأمر ضياع للولاء ومسخ للبراء حتى لا يعود المسلم يشعر بالفارق بينه وبين أي كافر في بقاع الأرض .

ويقوم هذا المبدأ على الفاظ خادعة وموهمة مثل : الحرية والاخوة والعدل والمساواة .

وفي ذلك يقول « كالفرلي » : (وحينما يصبح في مقدور الجميع الوقوف على كل المعلومات المجردة عن الهوى ، وحينما يصبح الجميع أحراراً في تفكيرهم ، لهم من الشجاعة ما يجعلهم يتقبلون ما هو خير وعدل وجميل ، وعندئذ يكون من المحتمل أن يسود العالم دين واحد . واني سأكون سعيداً باتباع دين عالمي موحد ، تنبع مصادره من حقائق التاريخ ، وتشمل مبادئه العدالة الاجتماعية ، وتقوم بفضله مظاهر الحب والاخاء على انقاض الكراهية والخصومة[٦٤] .

وهذا الكلام هدم صريح للاسلام ، ومعول هدم لطمس الجهاد الاسلامي الذي يقوم على تحرير الناس من عبودية بعضهم لبعض ، ومن انقسامهم إلى « ملأ » وهم السادة الأقوياء و « عبيد » وهم التابعون الأذلاء : الى جعلهم كلهم عباداً لله .

وكما نعلم جميعاً أن الجهاد يرهب أعداء الله ، ويخافونه كثيراً ، ولذلك ما فتؤوا يبحثون عن وسائل متنوعة لابطاله ومحوه من أفكار المسلمين ، ، انهم تارة يقولون : الاسلام انتشر بالسيف ، وتارة يقولون ، انه دين وحشي لا يرحم الناس وقد لا تكون هذه مجدية لما يريدون ، فقالوا : العالمية والانسانية هي المذهب الجديد الذي يعيش فيه الناس بأمن وسلام وعدالة واخوة ، بصرف النظر

---

(٦٤) الاسلام والحضارة الغربية ص ١٣٢ .

عن الأديان والأوطان !

ويزيد هذا الأمر ايضاحاً ما قاله معروف الدواليبي (.. اننا نشاهد منذ المنتصف الثاني لعصرنا الحاضر من القرن العشرين تطلعاً كبيراً نحو اقامة الحياة البشرية على مفاهيم وقواعد انسانية ، ورغبة أكيدة من قبل رجال الفكر والعلم وقادة السياسة للانتقال بالمجتمع الانساني المتمايز المتناحر الى مجتمع انساني واحد متعاون وذلك في اطار « وحدة الأسرة البشرية » من غير تفاضل بين الأقوام الا بالتقوى ، وفي اطار « حق الجميع في الحياة الكريمة » من غير تمايز في الاعراق أو في الأجناس أو في الأديان وفي اطار « وحدة المصالح الاقتصادية للجميع » من غير استئثار من قبل الكبار والأقوياء على حساب الصغار والضعفاء . وفي اطار « العدالة المطلقة بين الجميع حماية لسلام الانسان » ، ثم ذكر أن هيئة الامم المتحدة أخذت تدعو لهذه المفاهيم العالمية الجديدة التي (تدعو الى محو التمايز فيما بين الأسرة البشرية وأجناسها ، قومياً وعرقياً واقتصادياً وفقاً لمبادىء حقوق الانسان)[٦٥] .

---

(٦٥) مجلة رابطة العالم الاسلامي الشهرية العدد الخامس ، السنة التاسعة عشرة ، جمادي الأولى سنة ١٤٠١ هـ هذا ومن الجدير بالذكر أنه قد ورد في مجلة العربي الكويتية في العدد ٢٦٧ ربيع الأول سنة ١٤٠١ هـ مقالان حول هذه الدعوة .

الأول منها : ص ١٨ للدكتور محمد فتحي عثمان تحدث فيه عن « المسلمون والآخرون » وطالب المسلمين المعاصرين في اعادة النظر حول قضية دار الحرب ودار الاسلام ، وأن هذا تقسيم غير صحيح ، ولا يدل عليه الكتاب ولا السنة ، بل هو من صنيع الفقهاء مبيناً أن الخلافة الاسلامية كانت صورة تاريخية وهي لم تعش طويلاً فعلى المسلمين ألا يفكروا فيها مرة أخرى ، وعليهم اعادة النظر في قضية العلاقات الدولية مع العالم المعاصر ، لكي يتقنوا فن التعاون الدولي مستفيدين من اعادة نظر الولايات المتحدة العملاقة في سياستها ازاء الكساد الاقتصادي في الثلاثينات من القرن العشرين . وكذلك ما حدث في الكتلة الشرقية حين عدل خروشوف عن سياسة سلفه ستالين .. الخ .

والكاتب يرى التعديل في المفاهيم الاسلامية مثلما يرى أرباب القانون الوضعي تعديل قوانينهم القاصرة وكأنه يجهل أو يتجاهل أنه لا مقارنة بين الدين الرباني الذي نزل من الحكيم الخبير وبين أفكار البشر القاصرة الهزيلة ، وهذه الدعوة فيها خدمة لمبدأ العالمية ودعوة غير مباشرة لابطال شرعية الجهاد في الاسلام .

=

ونتساءل بعد هذا الكلام . أي قانون بشري يريد دعاة العالمية أن يعيش الناس تحت لوائه ؟

هل هو ميثاق هيئة الامم المتحدة ؟ فهي . منظمةٌ السيطرة فيها لليهود والنصارى والشيوعيين وأكبر دليل على ذلك ما يسمى بـ « حق الفيتو » الذي يرفض كل ما يتعارض مع مبدأ أولئك المسيطرين أم أنها الغفلة والانخداع بما خطط له دعاة هذا المذهب الفاسد ؟

أم أنه الخبث والدهاء في تخدير الأمة الاسلامية بأن الجهاد أمر لم يعد يصلح لمسايرة العصر الحديث لأن العالمية لا تقره.ولا ترضيه ؟

وأقرب الاجابات الى نفسي هو جواب السؤال الأخير ذلك الجواب الذي يعرفه كل مخلص لدينه وربه وكل مؤمن يعرف كيد الجاهلية المعاصرة فيبرأ بنفسه أن ينخدع بأي دعوة لا تنبثق من مشكاة النبوة المحمدية والرسالة الربانية الخالدة .

ونحن اذ نقرر هذا الجواب المؤكد ، فليس ذلك تجنباً أو مجرد ثورة عاطفة ضد هذا المذهب الالحادي الكافر ، بل هو عين ما يهدف اليه دعاة الماسونية العالمية التي تولت كبر الدعوة إلى هذه النحلة الجديدة بجميع أهدافها وشعاراتها .

ولذلك يقول أحد الماسون « ان ما تبغيه الماسونية هو ، وصول الانسانية شيئاً فشيئاً إلى النظام الأمثل الذي تتحقق فيه الحرية بأكمل معانيها وتزول منه الفوارق

= أما المقال الثاني : وهو أخبث من سابقه فهو لفهمي هويدى بعنوان « المسلمون والآخرون أشواك وعقد على الطريق » ص ٤٩ وهذا المقال يدعو لما دعا اليه الكاتب السابق مع زيادة هي : تجهيل علماء المسلمين ووصمهم بعدم معرفة دلالات النصوص وملابساتها ، قائلاً : إن تلك المرحلة - يريد مرحلة التاريخ الاسلامي الطويلة المشرقة - كانت لها حساباتها وموازينها الخاصة التي لا يمكن تعميمها على بقية مسيرة التاريخ البشري ومؤكداً « انه ليس صحيحاً أن المسلمين صنف متميز ومتفوق لمجرد كونهم مسلمين ، وليس صحيحاً أن الاسلام يعطي أنفضلية لهم ، ويخص غيرهم بالدونية لأنهم كفار » ويكفي أن هذا الكلام فضلاً عن كونه دعوة لمبدأ الانسانية الماسوني هو أيضاً صورة واحضة من صور الولاء للكفار لأن هذا الكلام الذي ساقه هويدى أمنية للكفار أن يتحدث به أبناء المسلمين لكسر التميز الذي ينبني على الولاء والبراء والحب والبغض حسب المقياس الاسلامي الصحيح فعلى المسلمين أن يتبينوا مواقع الزلل والانحرافات في مثل هذه الدعوات الالحادية .

بين الأفراد والشعوب ويسود فيه العلم والجمال والفضيلة »[٦٦] .

وختاماً نقول : إن كل المذاهب البشرية القائمة اليوم في الأرض التي لا تستمد وجودها من الكتاب والسنّة محادة لله ولدينه وكتابه وسنّة رسوله ﷺ ، وأي تقبل لها أو عمل بمبادئها فان ذلك موالاة صريحة للكفار ، وبراءة صريحة من الاسلام والله قد بين لنا في كتابه العزيز أن من تولى الكفار فهو منهم

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ

٥١ المائدة .

والاسلام هو الدين الذي يجمع ولا يفرق ، وهو الذي يجعل الناس في ميزانه الايماني سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أبيض الا بالتقوى .

وهو الذي تتحقق فيه العدالة في أسمى صورها ، ويتحقق فيه الأمن لأنه لا خوف الا من الله وهو الذي يكسر شوكة كل طاغوت يريد اذلال الناس له من دون الله .

وهو الذي فيه الطمأنينة والسعادة

أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ

٢٨ الرعد .

وهو الذي تتحقق فيه الحياة الكريمة

مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

---

(٦٦) الاسلام والحضارة الغربية ص ١٩٧ .

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

٩٧ النحل .

وهو الذي يحصل به التمكين الربّاني

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ
وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ
وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى
شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ .

٥٥ النور .

الخاتمــة

الاسلام طريق الخلاص وسبيل النجـاة

ما الخلاص من هذا الهوان والتبعية للذين أصيبت بها الأمة الاسلامية اليوم ؟

ما سبيل النجاة مما يراد بالمسلمين اليوم في جميع أنحاء الأرض ؟

هل من سمات معينة لذلك المخلص ؟ ولمن المستقبل في نهاية الأمر ؟

الجواب : انه الاسلام ولا شيء غيره فهو الذي ينقذ الناس مما هم فيه من حالة الضياع والهبوط والعبودية لغير الله ، فيخرجهم كما أخرج سلف هذه الأمة من الظلمات إلى النور ، ومن الجور إلى العدل ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا ونعيم الآخرة .

ولكن هذا الطريق المستقيم يحتاج الى سالك جاد ، وسائر يسير فيه دون الالتفات الى اليمين أو اليسار

وَأَنَّ هَٰذَا
صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ
عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

١٥٣ الأنعام .

« والحق أنه لا يمكن أن ينهض صرح الحياة الاسلامية الكاملة الخالصة الا على دعائم الاقرار بالتوحيد الذي يحيط بجميع نواحي الحياة الانسانية الفردية

والجماعية ، والذي يحسب[1] الانسان بموجبه انه هو وكل ما بيده من شيء ملك لله ، ويرى أن الله هو المالك الشرعي الحقيقي له وللعالم كله ، المعبود المطاع الذي له الأمر والنهي .

وأن لا ينبوع للهداية الا هو ، وتطمئن نفسه بكل شعور إلى أن الانحراف عن طاعة الله أو الاستغناء عن هداية أو اشراك غيره به في ذاته وصفاته وحقوقه وتصرفاته أن هو الا امعان في الضلالة من أي ناحية جاء أو في أي لون كان .

ثم ان هذا البناء ـ بناء الايمان بالله ـ لا يمكن توطيد دعائمه الا اذا رأى المرء في باطن أمره رأياً جازماً ، وقطع على نفسه بشعور كامل وارادة قوية أنه هو وكل ما بيده ملك لله وراجع الى مرضاته ، وقضى على ما في نفسه من مقياس للرضا والسخط وجعله مذعناً لرضاء الرب تعالىٰ وسخطه ، ونفى عن نفسه الاثرة والكبرياء ، وصاغ نظرياته وأفكاره وآراءه ونزعاته ومناهج تفكيره في قالب ذلك العلم الذي قد أنزله الله تعالىٰ في كتابه العزيز .

وخلع عن عنقه ربقة جميع أنواع الولاء الذي لا يذعن لطاعة الله . . ومكن محبة الله تعالىٰ ومودته من سويداء قلبه ، ونفى عن أعماق فؤاده كل صنم ياطلبه باجلاله واكباره أكثر من الله تعالىٰ وأدغم حبه وبغضه وصداقته وعداوته ورغبته ونفوره وصلحه وحربه . . الخ في مرضاة الله تعالىٰ حيث لا ترضى نفسه الا بما يرضى به الله ، ولا تكره الا ما يكرهه الله . . وهذه مرتبة الايمان الحقيقية وغايته المرموقة »[2] .

إن الوضع الذي تعيشه البشرية اليوم في جميع بقاع الأرض والذي يتوجه الضياع والخواء الروحي ، وهذه الهتافات التي ترتفع من كل مكان تنادي بمنقذ ومخلص يخلصها من ذلك الهوان لأمر بشيء بأنه هو الاسلام لأنه دين الله العليم بما يصلح النفوس والخبير بجميع مكنونات الضمائر .

إن الاسلام « هو المنهج الوحيد الذي يعطي الفطرة ما يلائمها وهو الذي

---

(١) هكذا بالص ولعل المراد : يحس .

(٢) الاسس الأخلاقية للمودودي ص ٤٩ ـ ٥٠ ط ١ سنة ١٩٧١ بيروت . بتصرف بسيط .

ينسق خطاها في الابداع المادي وخطاها في الاستشراف الروحي وهو وحده الذي يملك أن يقيم لها نظاماً واقعياً للحياة يتم فيه هذا التناسق الذي لم تعرفه البشرية قط الا في ظل النظام الاسلامي ـ وحده ـ على مدى التاريخ »[٣]

وأعداء الاسلام يعرفون جيداً أن عدوهم الوحيد هو الاسلام ، ومن أجل ذلك فهم يسعون جادين إلى تحطيم هذا الجبل الشامخ لأنه يعوقهم عن أهدافهم الاستعمارية كما يعوقهم عن الطغيان والتأله في الأرض كما يريدون ، لذلك فهم يضعون التصورات والمناهج التي لا تمت إلى هذا الدين بصلة من أجل أن تكون هي البديلة عن هذا الدين القيم[٤] .

وليكن من المعلوم لكل مسلم جاد : أن هذا الدين لا يقوم بألف كتاب تكتب عن الاسلام ولا بالخطب والمواعظ ولا بأفلام الدعاية للاسلام ، وانما يقوم على واقع حي متحرك ـ يتمثل هذا في المسلمين الصادقين ـ واقع تراه العين وتلمسه اليد وتلاحظ آثاره العقول[٥] . ومن سماته أصحاب هذا الواقع الذي يغير مجرى حياة البشرية المعاصر أن يستعلوا بأنفسهم من موالاة أعداء الله ـ سواء من الكافرين أو المنافقين أو الملحدين ـ فلا يخدعهم هيلمان الباطل المعاصر ، وان الشرق والغرب يملك القنبلة الذرية ، والصواريخ العابرة للقارات بل يعلمون أن الله هو الأكبر ، وهو الولي الناصر ، وأن الغلبة للحق مهما استطال الباطل

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

٢٤٩ البقرة .

(٣) المستقبل لهذا الدين ص ١٠٩ بقليل من التصرف .
(٤) انظر الفصل الأخير من كتاب المستقبل لهذا الدين .
(٥) انظر فصل طريق الاخلاص ص ١٨٢ من كتاب الاسلام ومشكلات الحضارة للاستاذ سيد قطب رحمه الله .

وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ

١٧٣ الصافات .

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ

٥١ غافر .

ويقول سبحانه في شأن الأعداء ،

وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ

١١١ آل عمران .

ولن يصل المسلمون الصادقون إلى هذه الدرجة الرفيعة الا بالبراءة من كل منهج وتشريع يخالف شريعة الله ، والبراءة أيضاً من كل فكر يناقض هذه العقيدة التي كانت سبب نصر وعزة السلف الصالح . واستمداد حكم كل صغيرة وكبيرة من هذه الشريعة الربّانية التي هي « صراط الله المستقيم الذي لا أمت فيه ولا عوج ، وملته الحنيفية التي لا ضيق فيها ولا حرج .. لم تأمر بشيء فيقول العقل لو نهت عنه لكان أوفق ، ولم تنه عن شيء فيقول الحجى ، لو أباحته لكان أرفق ، بل أمرت بكل صلاح ، ونهت عن كل فساد ، وأباحت كل طيب ، وحرصت كل خبيث أوامرها غذاء ودواء ، ونواهيها حمية وصيانة من كل داء ، ظاهرها زينة لباطنها وباطنها أجمل من ظاهرها . شعارها الصدق وقوامها الحق ، وميزانها العدل

وحكمها الفصل ، لا حاجة بها البتة إلى أن تكمل بسياسة ملك أو رأي ذي رأي .
أكملها الله بقوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ ٣ المائدة .

وقال ﷺ « لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك »[٦] .

وحري بدعاة الخير الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أن يعودوا بالأمة إلى صفاء العقيدة الممثل في :

(١) تصحيح مفهوم لا إله إلا الله محمد رسول الله . ودعوة الناس إلى فهم هذه الكلمة العظيمة كما فهمها رسول الله ﷺ وأصحابه الأخيار ، ومحو ذلك المفهوم الخاطىء الذي يردده المتأخرون وهي أنها مجرد لفظ عار من كل تكليف .

مع بيان أن من تكاليفها موالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين ، وتحكيم شريعة الله واتباع ما أنزله الله والكفر بالآلهة المزيفة والأرباب المتعددة من العرف والهوى والعادات والمتألهين الذين يشرعون للناس بغير ما أنزل الله .

(٢) تصحيح مفهوم العبادة وأنه مفهوم شامل كامل وليس مجرد شعائر تؤدى بينما نظام الحياة والممات قائم على مناهج وضعها البشر تفصل بين الدين والدولة ، وبين الدين والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية .

فالعبادة هي عقيدة وشريعة ونظام حياة . قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ١٦٢ - ١٦٣ الأنعام .

(٦) أنظر أعلام الموقعين لابن القيم ٢٠٧/٣ والحديث سبق تخريجه ص ٨٠ .

(٣) تربية جيل على منهاج الكتاب والسنّة . لأن هذا هو الطريق الصحيح الذي به ترجع الأمة إلى ربّها ودينها .

(٤) طرد آثار الغزو الفكري وذلك بتعرية الجاهلية الحديثة ، وتمزيق زيفها وبهرجتها فتبينّ انرحافاتها مع ايجاد البديل الاسلامي الصحيح .

(٥) تعميق قضية ولاء المسلم للمسلم وانتمائه لاخوانه المؤمنين فقط ، وخلع الولاءات الجاهلية من قومية وعرقية ووطنية وعالمية وغيرها فالمسلم أخو المسلم في أي بقعة كانت ، دار الاسلام هي دار كل مسلم في جميع أنحاء الأرض .

ومن تاريخنا ما يشهد بكل جلاء على أهمية هذه القضية . فان امرأة مسلمة أهينت بعمورية فاستغاثت ، وامعتصماه . فقال المعتصم لبيك أيتها المرأة المسلمة وجهز الجيوش وفتح عمورية ونصر المرأة المؤمنة ، ولم يقل أنها في وطن وأنا في وطن بل انطلق من واقع مسؤوليته كخليفة مسلم . كل الأمة المسلمة أمانة في عنقه وهو مسؤول عنها يوم يلقى الله .

ومن هنا فان نصرة المسلمين المصطهدين في كل بقعة من بقاع الأرض أمر واجب تفرضه هذه العقيدة . ويكون واجب المؤمن ـ حينئذ ـ محبة هؤلاء المسلمين ومناصرتهم باليد واللسان والمال والنصرة في كل موطن ومناسبة .

(٦) تعميق قضية المعاداة والبراءة من أعداء الله الكفار منهم والمشركين . والمنافقين والمرتدين . وانه لا يجتمع ايمان في قلب مع حب للكفر وأهله كما قال تعالىٰ :

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ
كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ .

الآية ٢٢ المجادلة .

والحرص على تمييز المسلم عن كل وضع وفكر يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(٧) التأكيد على قضية عداوة أولياء الشيطان لأولياء الرحمن ، فان هذه العداوة قائمة منذ آدم عليه السلام إلى قيام الساعة فالحزبان لا يلتقيان أبداً لأن حزب الله يريد دعوة الناس إلى عبادة الله وحزب الشيطان يدعو الناس إلى عبادة الطاغوت وطاعته ، وقتال المؤمنين لصدهم عن دينهم

وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟

٢١٧ البقرة .

(٨) بعث الأمل وتقويته في النفوس بقرب نصر الله كما قال ﷺ « لتقاتلن اليهود لتقتلنهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله »[٧] .

هذه رؤوس أقلام تبين ملامح طريق الخلاص ، واذا صدق المسلمون مع الله وجدوا معية الله وعونه لهم ، لأنهم الأعلون ، وهم القائمون بأمر الله في أرض الله ، ومن ثم فهم المستحقون لولاية الله وتكريمه لهم

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

٦٢ يونس

. انهم حزب الله وأكرم بذلك الحزب الذين يجاهدون لاعلاء كلمة الله ولا تأخذهم في الله لومة لائم

أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

٢٢ المجادلة

---

(٧) صحيح مسلم كتاب أشراط الساعة ٤/٢٢٣٨ ح ٢٩٢١ .

ونحن مستبشرون بخير ان شاء الله ، لأن طلائع وبشارات الجيل الإسلامي الجديد الذي يخلص الأمة من هذا الهوان والضياع والتبعية بادية ظاهرة في كل صقع من أصقاع الأرض ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأحاديث والآثار (حسب الترتيب الهجائي)

أول الحديث أو الأثر

الصفحة

فهرس الأعلام

فهرس الأعـلام المترجم لهم

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع « حسب الحروف الهجائية »

« أ »

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الابتعاث ومخاطره / محمد لطفي الصباغ / الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ / المكتب الاسلامي .

٣ ـ أبو بصير قمة في العزة الاسلامية / محمد حسن بريغش / الثانية سنة ١٣٩٧/ مكتبة الحرمين بالرياض .

٤ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر / د . محمد حسين / الثالثة سنة ١٣٩٢ هـ دار النهضة العربية ـ بيروت .

٥ ـ الاتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي ت[1] سنة ٩١١ هـ / تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم / ١٩٧٤ م الهيئة المصرية للكتاب .

٦ ـ آثار الحرب في الفقه الاسلامي / د . وهبة الزحيلي / الثانية ١٣٨٥ هـ .

٧ ـ الاحتجاج بالقدر / شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت سنة ٧٢٨ هـ / ط سنة ١٣٩٣ هـ / المكتب الاسلامي .

٨ ـ أحكام أهل الذمة / للعلاّمة محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ت سنة ٥٧١ هـ تحقيق صبحي الصالح / الأولى سنة ١٣٨١ هـ جامعة دمشق .

٩ ـ أحكام القرآن / لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي ت سنة ٥٤٣ هـ تحقيق علي البجاوي / ط سنة ١٣٩٢ هـ عيسى الحلبي .

١٠ ـ أحكام القرآن / لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ت سنة ٣٧٠ هـ تحقيق محمد قمحاوي / الثانية / دار المصحف بالقاهرة .

(١) هذه الاشارة « ت » تعني أن المؤلف توفي سنة كذا . . . .

١١ ـ الأدب المفرد / للامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ت سنة ٢٥٦ هـ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي / الأولى سنة ١٣٧٥ هـ السلفية بمصر .

١٢ ـ الأربعون النووية / للامام يحيى بن شرف الدين النووي ت سنة ٦٧٦ هـ / الثانية سنة ١٩٧٣ م مطابع قطر الوطنية .

١٣ـ ارشاد الطالب للشيخ سليمان بن سحمان ت سنة ١٣٤٩ هـ الأولى سنة ١٣٤٠ هـ مطبعة المنار مصر .

١٤ ـ أزمة العصر / د . محمد محمد حسين / الأولى سنة ١٣٩٩ هـ / دار عكاظ جدة .

١٥ـ أساليب الغزو الفكري / د . علي جريشة وزميله / الثانية سنة ١٣٩٨ هـ / دار الاعتصام ـ القاهرة .

١٦ ـ أسباب النزول / لأبي الحسين علي بن أحمد الواحدي ت سنة ٤٦٨ / الثانية سنة ١٣٨٧ هـ مصطفى الحلبي مصر .

١٧ ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب / لأبي عمر يوسف بن عبد البر / ت سنة ٣٦٣ هـ / الأولى سنة ١٣٢٨ هـ / مطبعة السعادة بمصر .

١٨ ـ الأسس الأخلاقية / لأبي الأعلى المودودي ت سنة ١٣٩٩ هـ الأولى ١٩٧١ م / مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

١٩ ـ الاسلام على مفترق الطرق / محمد أسد / ترجمة عمر فروخ / الثامنة سنة ١٩٧٤ م دار العلم للملايين ـ بيروت .

٢٠ ـ الاسلام في حل مشاكل المجتمعات الاسلامية المعاصرة / د . محمد البهي / الثانية سنة ١٣٩٨ هـ / مكتبة وهبة بالقاهرة .

٢١ ـ الاسلام وأوضاعنا القانونية / عبد القادر عودة / الثانية سنة ١٣٨٦ هـ / مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

٢٢ ـ الاسلام والطاقات المعطلة / الشيخ محمد الغزالي / الثانية سنة ١٣٨٣ هـ / دار الكتب الحديثة ـ مصر .

٢٣ ـ الاسلام ومشكلات الحضارة للاستاذ سيد قطب / ت سنة ١٩٦٦ م / دار الشروق .

٢٤ ـ الاصابة في تمييز الصحابة / للامام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني / ت سنة ٨٥٢ هـ / الأولى سنة ١٣٢٨ هـ / السعادة بمصر .

٢٥ ـ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار / لأبي محمد بن موسى الحازمي الهمذاني

ت سنة ٥٨٤ هـ تحقيق راتب احاكمي الطبعة الأولى سنة ١٣٨٦ هـ الناشر راتب أحاكمي .
٢٦ ـ الاعتصام / للامام أبي اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي / ت سنة ٧٩٠ هـ المكتبة التجارية ـ مصر :
٢٧ ـ الاعتقاد على مذهب السلف لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي / ت سنة ٤٥٨ هـ تحقيق أحمد مرسي / الأولى سنة ١٣٨٠ هـ .
٢٨ ـ الأعلام / خير الدين الزركلي / الرابعة سنة ١٩٧٩ م / دار العلم للملايين ـ بيروت .
٢٩ ـ أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي / ت سنة ١٣٧٧ هـ / الثالثة سنة ١٣٩٩ هـ دارات البحوث العلمية بالرياض .
٣٠ ـ اعلام الموقعين لابن القيم تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ط ١٩٧٣ م / تصوير دار الجيل ـ بيروت .
٣١ ـ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم / تحقيق محمد حامد الفقي / الثانية سنة ٣٩٥ هـ تصوير دار المعرفة ـ بيروت .
٣٢ ـ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية تحقيق محمد حامد الفقي / الثانية سنة ١٣٦٩ هـ مطبعة انصار السنة بالقارة .
٣٣ ـ أقضية الرسول ﷺ / عبد الله بن محمد بن فرج المالكي / الناشر حمد بن فالح آل ثاني .
٣٤ ـ أمثال القرآن / لابن القيم / تحقيق د . ناصر الرشيد / الأولى سنة ١٤٠٠ هـ / دار مكة للطباعة .
٣٥ ـ الأموال / لأبي عبيد القاسم بن سلام / ت سنة ٢٢٤ تحقيق د . محمد خليل هراس / الثانية ١٣٩٥ هـ / مكتبة الكليات الأزهرية :
٣٦ ـ الانسان بين المادية والاسلام للاستاذ محمد قطب / الخامسة سنة ١٣٩٨ هـ دار الشروق .
٣٧ ـ الايضاح والتبيين / حمود التويجري / الأولى سنة ١٣٨٤ هـ مؤسسة النور بالرياض .
٣٨ ـ الايمان لشيخ الاسلام ابن تيمية / الثانية سنة ١٣٩٢ هـ المكتب الاسلامي .
٣٩ ـ الايمان . حقيقته . أركانه . نواقضه . / د . محمد نعيم ياسين / الأولى سنة ١٣٩٨ هـ . جمعية عمال المطابع . الأردن .

٤٠ ـ الايمان لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة / ت سنة ٢٣٥ هـ تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الالباني سنة ١٣٨٥ هـ المطبعة العمومية بدمشق .

« ب »

٤١ ـ بدائع الفوائد / للعلامة ابن القيم / ادارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .
٤٢ ـ البداية والنهاية للحافظ اسماعيل عماد الدين بن كثير / ت سنة ٧٧٤هـ / ط سنة ١٩٦٦ م (مكتبة المعارف ـ بيروت) .
٤٣ ـ بضع رسائل في عقائد الاسلام / للشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب / ت سنة ١٢٠٦ هـ / تحقيق محمد رشيد رضا / الأولى سنة ١٣٤٩ هـ المنار بمصر .
٤٤ ـ بروتوكولات حكماء صهيون / ترجمة محمد خليفة التونسي / الرابعة / دار الكتاب العربي ـ بيروت .
٤٥ ـ بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك / للشيخ حمد بن عتيق ت سنة ١٣٠١ هـ / الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٣ هـ / دار الفكر / بيروت

« ت »

٤٦ ـ تاريخ الأمم والملوك / للامام محمد بن جرير الطبري ت سنة ٣١٠ هـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم / الثانية ١٣٨٧ هـ / دار المعارف ـ مصر .
٤٧ ـ التبيان في أقسام القرآن / لابن القيم / تعليق طه يوسف شاهين / مكتبة القاهرة ـ مصر .
٤٨ ـ تحفة الاخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والهجران / للشيخ حمود التويجري الأولى سنة ١٣٨٣ هـ / مؤسسة النور بالرياض .
٤٩ ـ التحفة العراقية / لشيخ الاسلام ابن تيمية / الثانية سنة ١٣٩٩ هـ / المطبعة السلفية بالقاهرة .
٥٠ ـ تحكيم القوانين للشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ / ت سنة ١٣٨٩ هـ طبع سنة ١٣٨٠ هـ / مطابع الثقافة بمكة .
٥١ ـ التدمرية لشيخ الاسلام ابن تيمية / تحقيق زهير الشاويش / الطبعة الثانية سنة ١٣٩١ هـ / المكتب الاسلامي .

٥٢ ـ تذييل على كشف الشبهات للشيخ عبد الرحمن الدوسري / الثالثة سنة ١٣٨٨ / مؤسسة النور بالرياض .
٥٣ ـ التشريع الجنائي / للاستاذ عبد القادر عودة / الثالثة سنة ١٣٨٣ هـ / مكتبة دار العروبة . بمصر .
٥٤ ـ التصوير الفني في القرآن / سيد قطب / الطبعة الشرعية الرابعة سنة ١٣٩٨ هـ / دار الشروق .
٥٥ ـ التطور والثبات في حياة البشر / للاستاذ محمد قطب ط سنة ١٣٩٤ هـ دار الشروق .
٥٦ ـ تعجيل المنفعة لابن حجر / طبع هاشم اليماني .
٥٧ ـ التعليق المغنى على الدارقطني / عبد الله هاشم اليماني / ط سنة ١٣٨٦ هـ .
٥٨ ـ التفسير القيم لابن القيم / جمع محمد أويس الندوي / تحقيق محمد حامد الفقي / تصوير لجنة التراث ـ بيروت .
٥٩ ـ تفسير كلام المنان / للشيخ عبد الرحمن بن سعدي تحقيق محمد زهري النجار / المؤسسة السعدية بالرياض .
٦٠ ـ تفسير سورة النور / لابن تيمية / الأولى سنة ١٣٩٧ هـ / مكتبة المنار الاسلامية . بالكويت .
٦١ ـ تفسير البغوي المعروف بـ « معالم التنزيل » لأبي محمد الحسين بن مسعود الفرا البغوي / ت سنة ٥١٦ هـ / الثانية سنة ١٣٧٥ هـ / مطبعة الحلبي بمصر .
٦٢ ـ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير / تحقيق عبد العزيز غنيم وعاشور والبنا / مطبعة الشعب .
٦٣ ـ تفسير الخازن المسمى « لباب التأويل في معاني التنزيل » / لعلاء الدين علي بن محمد الخازن / ت سنة ٧٢٥ هـ الثانية سنة ١٣٧٥ هـ مصطفى الحلبي بمصر .
٦٤ ـ تقريب التهذيب / لابن حجر تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف . طبع مصر .
٦٥ ـ تلبيس ابليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي / ت سنة ٥٩٧ تحقيق خير الدين علي / دار الوعي ـ بيروت .
٦٦ ـ تلخيص المستدرك لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي / ت سنة ٨٤٨ مطبوع مع المستدرك .
٦٧ ـ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي / ت سنة ٣٧٧ هـ / تحقيق محمد زاهد الكوثري / الثانية سنة ١٣٨٨ مكتبة المثنى ببغداد .

٦٨ - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني / الأولى سنة ١٣٢٦ هـ بحيدر آباد / تصوير دار صادر - بيروت .
٦٩ - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب ت سنة ١٢٣٣ هـ - ط ادارات البحوث العلمية في الرياض .

« ج »

٧٠ - جامع الأصول / لمجد الدين أبي السعادات المبارك محمد بن الأثير ت سنة ٦٠٦ هـ تحقيق عبد القادر الأرنؤط/الأولى سنة ١٣٨٩ هـ . مكتبة الحلواني والملاح ببيروت .
٧١ - جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري / الثالثة سنة ١٣٨٨ هـ مصطفى الحلبي .
٧٢ - الجامع الفريد / مجموعة من علماء الدعوة / مطبعة المدينة بالرياض .
٧٣ - جامع العلوم والحكم لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ت سنة ٧٩٥ هـ الثالثة سنة ١٣٨٢ هـ مصطفى الحلبي .
٧٤ - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت سنة ٦٧١ هـ تحقيق أبو اسحاق أطفيش / تصوير عن طبعة دار الكتب سنة ١٣٨٧ هـ . دار الكتاب العربي بالقاهرة .
٧٥ - الجانب الآلهي من التفكير الاسلامي / د . محمد البهي / الخامسة سنة ١٣٩١ هـ . دار الفكر ببيروت .
٧٦ - جاهلية القرن العشرين للاستاذ محمد قطب / ط سنة ١٣٩٤ هـ دار الشروق .
٧٧ - جذور البلاء / للاستاذ عبد الله التل / الثانية سنة ١٣٩٨ هـ / المكتب الاسلامي .
٧٨ - جريدة عكاظ / العدد الاسبوعي رقم ٤٧٢٨ في ١٣٩٩/٦/١٦ هـ .
٧٩ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الاسلام ابن تيمية / تصوير مطابع المجد بالرياض .
٨٠ - الجواب الكافي لابن القيم / الأولى سنة ١٣٩٤ هـ المكتبة السلفية بالقاهرة .

« ح »

٨١ - حد الاسلام وحقيقة الايمان / للاستاذ عبد المجيد الشاذلي . مكتوب بالآلة الكاتبة .

٨٢ ـ حصاد الغرور / للشيخ محمد الغزالي / الأولى سنة ١٣٩٠ هـ / دار ـ البيان بالكويت .
٨٣ ـ حصوننا مهددة من داخلها / د . محمد محمد حسين / الرابعة سنة ١٣٩٧ هـ المكتب الاسلامي .
٨٤ ـ الحضارة الاسلامية . أسسها ومبادؤ ها للمودودي / الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠ هـ / دار العربية ـ بيروت .
٨٥ ـ الحكم الجديرة بالاذاعة لابن رجب (ضمن مجموع) تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة أنصار السنة .
٨٦ ـ حلية الأولياء / للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني / ت سنة ٤٣٠ هـ / المكتبة السلفية .
٨٧ ـ الحوادث والبدع / لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ت سنة ٥٢٠ هـ / تحقيق محمد الطالبي / دار الاصفهاني بجدة .
٨٨ ـ حياة الصحابة / للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي / دار المعرفة ـ بيروت .

« خ »

٨٩ ـ خصائص التصور الاسلامي ومقوماته للاستاذ سيد قطب / دار الشروق .
٩٠ ـ خاطرات جمال الدين الافغاني / اختيار عبد العزيز سيد الأهل / الناشر دار حراء بالقاهرة .
٩١ ـ دراسات قرآنية للاستاذ / محمد قطب / دار الشروق .
٩٢ ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم / الثانية سنة ١٣٨٥ هـ دار الافتاء بالرياض .
٩٣ ـ درس النكبة الثانية / د . يوسف القرضاوي / الأولى سنة ١٣٨٨ هـ .
٩٤ ـ الدفاع عن أهل السنة والاتباع / للشيخ حمد بن عتيق / نشرها اسماعيل ابن عتيق . بدون تاريخ .
٩٥ ـ دقائق التفسير لابن تيمية / جمع وتحقيق د . محمد السيد الجليند / الأولى سنة ١٣٩٨ هـ . دار الانصار بالقاهرة .
٩٦ ـ دمروا الاسلام أبيدوا أهله / جلال العالم / الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ .
٩٧ ـ دور الاسلام في حياة البشرية / محمد قطب / الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ المختار الاسلامي بالقاهرة .

« ر »

٩٨ ـ رد ابن حزم على ابن النفريلة اليهودي / تحقيق احسان عباس / سنة ١٣٨٠ هـ / دار العروبة بالقاهرة .

٩٩ ـ ردة ولا أبا بكر لها لأبي الحسن الندوي / الثالثة سنة ١٣٩٨ هـ المختار الاسلامي بالقاهرة .

١٠٠ ـ الردة بين الامس واليوم . محمد كاظم جبيب / الأولى سنة ١٣٩٨ هـ المكتبة العلمية بلاهور باكستان .

١٠١ ـ الرسائل المنيرية / مجموعة من العلماء / المطبعة المنيرية بالقاهرة .

١٠٢ ـ الرسائل المفيدة للشيخ / عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن تصحيح عبد الرحمن الرويشد / ط سنة ١٣٩٨ هـ دار العلوم بالقاهرة .

١٠٣ ـ الرسالة التبوكية لابن القيم / الثانية سنة ١٣٩٤ هـ / المكتبة السلفية بالقاهرة .

١٠٤ ـ رياض الصالحين للنووي / تحقيق الالباني / الأولى سنة ١٣٩٩ هـ المكتب الاسلامي .

١٠٥ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد للعلّامة ابن القيم / تحقيق شعيب الأرنؤط وأخيه / الأولى سنة ١٣٩٩ هـ . مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

« س »

١٠٦ ـ سبيل الدعوة الاسلامية / د . محمد أمين المصري / الأولى سنة ١٤٠٠ هـ / دار الأرقم بالكويت .

١٠٧ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة / محمد ناصر الدين الالباني / الثانية سنة ١٣٩٩ المكتب الاسلامي .

١٠٨ ـ سنن ابن ماجه / للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني / ت سنة ٢٧٥ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / ط سنة ١٣٩٥ هـ تصوير دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

١٠٩ ـ سنن أبي داود / للامام أبو داود سليمان الأشعث السجستاني / ت سنة ٢٧٥ هـ

تحقيق وتعليق عزت الدعاس الأولى سنة ١٣٩١ هـ الناشر محمد علي السيد . سوريا .
١١٠ ـ سنن الترمذي / الامام محمد بن عيسى الترمذي / ت سنة ٢٧٩ هـ / تعليق عزت الدعاس / ط سنة ١٣٨٥ هـ دار الدعوة . حمص .
١١١ ـ سنن الدارقطني / الامام علي بن عمر الدارقطني / ت سنة ٣٨٥ / نشر عبد الله هاشم اليماني سنة ١٣٨٦ هـ .
١١٢ ـ سنن الدارمي / لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي / ت سنة ٢٥٥ هـ طبع بعناية محمد أحمد دهمان / دار احياء السنة النبوية . تصوير الباز بمكة .
١١٣ ـ السنن الكبرى للامام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي / تصوير دار الفكر ببيروت .
١١٤ ـ سنن النسائي للامام أبو عبد الرحمن أحم بن شعيب النسائي / ت سنة ٣٠٣ هـ / الأولى سنة ١٣٤٨ هـ تصوير دار الفكر ـ بيروت .
١١٥ ـ السنة للامام أحمد بن حنبل / ت سنة ٢٤١ هـ / تصحيح الشيخ سماعيل الانصاري / ادارات البحوث العلمية بالرياض .
١١٦ ـ السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي / د . مصطفى السباعي / الثانية سنة ١٣٩٦ هـ المكتب الاسلامي .
١١٧ ـ السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية لشيخ الاسلام ابن تيمية / ط سنة ١٣٧٩ الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .
١١٨ ـ سيرة الرسول ﷺ / للاستاذ محمد عزة دروزة / الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ / مؤتمر السيرة الثالث بقطر .
١١٩ ـ السيرة النبوية / للامام عبد الملك بن هشام / ت سنة ٢١٨ هـ / تحقيق مصطفى السقا وآخرون / الأولى سنة ١٣٥٥ هـ / مصطفى الحلبي .

« ش »

١٢٠ ـ شذرات البلاتين / مجموعة من العلماء / تحقيق محمد حامد الفقي / الأولى سنة ١٣٧٥ هـ / مطبعة أنصار السنة بالقاهرة .
١٢١ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب / عبد الحي بن العماد الحنبلي / ت سنة ١٠٨٩هـ تصوير عن الطبعة الأولى / دار الآفاق ـ بيروت .

١٢٢ ـ شرح السنة للامام الحسين بن مسعود البغوي / ت سنة ٥١٦ هـ تحقيق شعيب الأرنؤط / الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ هـ المكتب الاسلامي .
١٢٣ ـ شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي / ط ٤ سنة ١٣٩١ هـ المكتب الاسلامي .
١٢٤ ـ شرح النووي على صحيح مسلم / للامام يحى بن شرف النووي / الثانية سنة ١٣٩٢ / تصوير دار الفكر ـ بيروت .
١٢٥ ـ الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري / ت سنة ٣٦٠ هـ / تحقيق محمد حامد الفقي / الأولى سنة ١٣٦٩ هـ مطبعة أنصار السنة .
١٢٦ ـ الشعوبية الجديدة / محمد مصطفى رمضان / الأولى سنة ١٣٨٩ هـ .

« ص »

١٢٧ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول / لشيخ الاسلام ابن تيمية / تحقيق محي الدين عبد الحميد / الأولى سنة ١٣٧٩ هـ مكتبة تاج بالقاهرة .
١٢٨ ـ صحيح البخاري للامام محمد بن اسماعيل البخاري / ت سنة ٢٥٦ هـ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي / الأولى سنة ١٣٨٠ هـ السلفية بمصر .
١٢٩ ـ صحيح الجامع الصغير / للشيخ محمد ناصر الدين الالباني / الأولى سنة ١٣٨٨ المكتب الاسلامي .
١٣٠ ـ صحيح مسلم / للامام مسلم بن الحجاج القشيري / ت سنة ٢٦١ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / الأولى سنة ١٣٧٤ هـ / دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة .
١٣١ ـ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية لأبي الحسن الندوي / الثالثة سنة ١٣٩٧ هـ دار القلم بالكويت .
١٣٢ ـ الصلاة لابن القيم / الثانية سنة ١٣٩١ هـ / المكتبة السلفية بالقاهرة .
١٣٣ ـ صيد الخاطر لابن الجوزي / تحقيق علي وناجي الطنطاوي / الثانية سنة ١٣٩٨ / دار الفكر ـ بيروت .
١٣٤ ـ طبقات الحنابلة لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى ت سنة ٤٥٨ هـ تحقيق محمد حامد الفقي / سنة ١٣٧١ هـ مطبعة أنصار السنة .

١٣٥ ـ طريق الدعوة في ظلال القرآن / جمع أحمد فائز / الثالثة سنة ١٣٩٧
١٣٦ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم / الأولى سنة ١٣٧٥ هـ / المكتبة السلفية بالقاهرة .
١٣٧ ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته / للألباني / الثانية سنة ١٣٩٩ هـ / المكتب الاسلامي .

« ع »

١٣٨ ـ العبودية / لشيخ الاسلام ابن تيمية / الرابعة سنة ١٣٩٧ هـ / المكتب الاسلامي .
١٣٩ ـ العرب والاسلام لأبي الحسن الندوي / الثانية سنة ١٣٨٩ هـ المكتب الاسلامي .
١٤٠ ـ عصر المأمون / د . أحمد مزيد رفاعي / الثانية سنة ١٣٤٦ هـ / دار الكتب المصرية .
١٤١ ـ العقيدة الطحاوية لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي / ت سنة ٣٢١ هـ / الرابعة ١٣٩١ هـ المكتب الاسلامي .
١٤٢ ـ العقيدة في الله للاستاذ عمر سليمان الأشقر / الأولى سنة ١٣٩٩ هـ / مكتبة الفلاح بالكويت .
١٤٣ ـ العقيدة الواسطية لابن تيمية بشرح الهراس الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٦ هـ / المكتبة السلفية بالمدينة .
١٤٤ ـ علماء نجد خلال ستة قرون / عبد الله بن عبد الرحمن البسام / الأولى ١٣٩٨ هـ / مكتبة النهضة بمكّة .
١٤٥ ـ العلاقات الدولية في الاسلام / محمد أبو زهرة / ط سنة ١٣٨٤ هـ / الدار القومية للطباعة ـ مصر .
١٤٦ ـ العلمانية وآثارها في العالم الاسلامي للاستاذ سفر عبد الرحمن الحوالي رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة .

«غ»

١٤٧ ـ الغارة على العالم الاسلامي / ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي / الثانية سنة ١٣٨٧ هـ / منشورات العصر الحديث .
١٤٨ ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام للالباني / الأولى سنة ١٤٠٠ هـ المكتب الاسلامي .

«ف»

١٤٩ ـ الفتاوى السعدية للشيخ عبد الرحمن بن عدي / الأولى سنة ١٣٨٨ هـ / دار الحياة ـ دمشق .
١٥٠ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني / الأولى سنة ١٣٨٠ هـ / السلفية بمصر .
١٥١ ـ الفتح الرباني شرح مسند الامام أحمد / لأحمد بن عبد الرحمن الساعاتي / تصوير دار احياء التراث ببيروت .
١٥٢ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / للشيخ عبد الرحمن بن حسن/ت سنة١٢٨٥ هـ / ط السابعة سنة ١٣٧٧ هـ / مطبعة أنصار السنة .
١٥٣ ـ الفرق بين الفِرَق / عبد القاهر البغدادي / ت سنة ٤٢٩ هـ / تحقيق محيي الدين عبد الحميد / ط محمد علي صبيح ـ بالقاهرة .
١٥٤ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية / الرابعة سنة ١٣٩٧ هـ المكتب الاسلامي .
١٥٥ ـ فقه السيرة / للشيخ محمد الغزالي / مطابع علي بن علي بقطر .
١٥٦ ـ الفكر الاسلامي المعاصر (دراسة وتقويم) للاستاذ غازي التوبة / الثانية ١٩٧٧ م دار القلم ـ بيروت .
١٥٧ ـ فكرة القومية العربية على ضوء الاسلام للاستاذ صالح العبود رسالة ماجستير بالآلة الكاتبة .
١٥٨ ـ الفوائد لابن القيم / الثالثة سنة ١٣٩٦ هـ / مكتبة الجامعة بالقاهرة .
١٥٩ ـ في ظلال القرآن للاستاذ سيد قطب / الطبعة المشروعة / دار الشروق .

«ق»

١٦٠ ـ القاموس المحيط / محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت سنة ٨١٧ هـ / الثالثة سنة ١٣٠١ هـ المطبعة الميرية ببولاق .

١٦١ ـ قصص الأنبياء لابن كثير / تحقيق د . مصطفى عبد الواحد / الأولى سنة ١٣٨٨ هـ دار الكتب الحديثة ـ مصر .

١٦٢ ـ القصيدة النونية لابن القيم / ط سنة ١٣٩٨ هـ / ادارة ترجمان السنة بلاهور / باكستان .

١٦٣ ـ قطر الولي / للعلاّمة محمد بن علي الشوكاني / ت سنة ١٢٥٠ هـ / تحقيق ابراهيم هلال / الأولى سنة ١٣٨٩ هـ دار الكتب الحديثة .

«ك»

١٦٤ ـ كتاب التوحيد / للشيخ محمد بن عبد الوهاب طبع مع فتح المجيد / تحقيق محمد حامد الفقي السابعة سنة ١٣٧٧ هـ / مطبعة أنصار السنة .

١٦٥ ـ كشف الشبهات / للشيخ محمد بن عبد الوهاب الثالثة سنة ١٣٨٨ هـ / مؤسسة النور بالرياض .

١٦٦ ـ كفاح دين للشيخ محمد الغزالي / الثالثة سنة ١٣٨٥ هـ / دار الكتب الحديثة ـ مصر .

١٦٧ ـ الكفر والمكفرات / أحمد عز الدين البيانوني / ط سنة ١٣٩٥ هـ / مكتبة الهدى بحلب .

١٦٨ ـ الكلمات النافعة للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب / ت سنة ١٢٣٣ هـ / الثانية / المطبعة السلفية بالقاهرة .

١٦٩ ـ كلمة الاخلاص للامام عبد الرحمن بن رجب تحقيق زهير الشاويش والالباني / الرابعة سنة ١٣٩٧ هـ المكتب الاسلامي .

١٧٠ ـ لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور / ت سنة ٧١١ هـ تصنيف يوسف خياط والمرعشلي سنة ١٣٨٩ هـ / دار لسان العرب ـ بيروت .

١٧١ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي / تصوير المكتبة الاسلامية ـ بيروت .

« ل »

١٧٠ ـ لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور / ت سنة ٧١١ هـ تصنيف يوسف خياط والمرعشلي سنة ١٣٨٩ هـ / دار لسان العرب ـ بيروت .
١٧١ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي / تصوير المكتبة الاسلامية ـ بيروت .

« م »

١٧٢ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي لحسن الندوي / العاشرة سنة ١٣٩٤ مطابع قطر .
١٧٣ـ مؤلفات الامام محمد بن عبد الوهاب / نشرتها جامعة الامام محمد بن سعود / الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ الرياض .
١٧٤ ـ ما هي علاقة الأمة المسلمة بالأمم الأخرى للاستاذ أحمد محمود الأحمد / الأولى سنة ١٣٩٨ هـ المكتب الاسلامي .
١٧٥ ـ مبادىء الاسلام / للمودودي / ط سنة ١٣٩٧ هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
١٧٦ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي / ت سنة ٨٠٧ / الثانية ١٩٦٧ م تصوير دار الكتاب ـ بيروت .
١٧٧ ـ مجلة رابطة العالم الاسلامي الشهرية العدد الخامس / جمادي الأولى سنة ١٤٠١ هـ .
١٧٨ ـ مجلة العربي الكويتية العدد ٢٦٧ ـ ربيع أول سنة ١٤٠١ هـ .
١٧٩ ـ مجلة المجتمع الكويتية . العدد ٤٥٠ .
١٨٠ ـ مجموع / لابن تيمية / الطبعة الأولى سنة ١٣٤٩ هـ / مطبعة المنار بمصر .
١٨١ ـ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن قاسم / مطبعة الحكومة سنة ١٣٨١ هـ الرياض .

١٨٢ ـ مجموعة التوحيد لابن تيمية وابن عبد الوهاب / ط سنة ١٩٧٨ م دار الفكر بالقاهرة .

١٨٣ ـ مجموعة التوحيد النجدية / مجموعة من العلماء / ط سنة ١٣٨٤ هـ مطبعة الحكومة[1] .

١٨٤ ـ مجموعة رسائل ابن عتيق / للشيخ سعد بن عتيق / ت سنة ١٣٤٩ هـ / ط سنة ١٩٧٩ م / دار الاعتصام بالقاهرة .

١٨٥ ـ مجموعة الرسائل والمسائل النجدية / مجموعة من علماء الدعوة / تحقيق محمد رشيد رضا / الأولى سنة ١٣٤٦ هـ مطبعة المنار بمصر .

١٨٦ ـ محاسن التأويل للشيخ محمد جمال الدين القاسمي / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / الأولى سنة ١٣٧٦ هـ دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

١٨٧ ـ المحلى لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم / ت سنة ٤٥٦ هـ / تحقيق حسن زيدان طلبة / ط سنة ١٣٩٢ هـ / مكتبة الجمهورية بمصر .

١٧٨ ـ مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي / ط سنة ١٣٦٩ هـ مصطفى الحلبي ـ القاهرة .

١٨٩ ـ مختصر سنن أبي داود للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ت سنة ٦٥٦ هـ تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي / الأولى سنة ٢١٣٦٧ هـ / مطبعة انصار السنة .

١٩٠ ـ المخططات الصهيونية (محاضرة) للاستاذ محمد قطب / الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨ هـ / المختار الاسلامي بالقاهرة .

١٩١ ـ مدارج السالكين لابن القيم / تحقيق محمد حامد الفقي / الأولى سنة ١٣٧٥ هـ / مطبعة أنصار السنة .

١٩٢ ـ مذكرة المذاهب الفكرية المعاصرة املاءات للاستاذ محمد قطب لطلاب السنة المنهجية بالدراسات العليا . بمكّة سنة ٩٨ / ١٣٩٩ هـ .

١٩٣ ـ مسائل الامام أحمد / رواية إسحاق بن ابراهيم بن هانىء تحقيق زهير الشاويش / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ / المكتب المصري .

١٩٤ ـ المسائل الماردينية لابن تيمية / تحقيق الشاويش / الثالثة سنة ١٣٩٩ هـ . المكتب الاسلامي .

---

(١) هذه المجموعة والتي قبلها لا تتفقان الا في خمس رسائل مكررة فيهما وبقية الرسائل مختلفة عن بعضها البعض .

١٩٥ ـ المستدرك للامام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري / ت سنة ٤٠٥ هـ / ط سنة ١٣٩٨ هـ تصوير دار الفكر ـ بيروت .
١٩٦ ـ المستقبل لهذا الدين للاستاذ سيد قطب / ط سنة ١٣٩٨ هـ دار الشروق .
١٩٧ ـ المسند للامام أحمد بن حنبل / الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ . المكتب الاسلامي .
١٩٨ ـ المسند للامام أحمد بن حنبل تحقيق أحمد شاكر / الطبعة الرابعة سنة ١٣٧٣ هـ دار المعارف بمصر .
١٩٩ ـ مشكاة المصابيح / محمد بن عبد الخطيب التبريزي تحقيق الالباني / الثانية سنة ١٣٩٩ هـ المكتب الاسلامي .
٢٠٠ ـ المصباح المنير / أحمد بن محمد المقري الفيومي / ت سنة ٧٧٠ هـ / ط سنة ١٣٩٨ هـ . دار الكتب العلمية .
٢٠١ ـ معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي / ت سنة ١٣٧٧ هـ / الطبعة الأولى/ تصوير ادارات البحوث العلمية بالرياض .
٢٠٢ ـ المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة / ت سنة ٢٧٦ هـ / تحقيق ثروت عكاشة / الثانية سنة ١٣٨٨ هـ / دار المعارف .
٢٠٣ ـ معالم السنن / للامام حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي / ت سنة ٣٨٨ هـ / تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي . الأولى سنة ١٣٧٩ هـ مطبعة أنصار السنّة .
٢٠٤ ـ معالم في الطريق للاستاذ سيد قطب / دار الشروق .
٢٠٥ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث / ترتيب لفيف من المستشرقين / الأولى سنة ١٩٣٦ م / نشره د . أي ونسنك .
٢٠٦ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي . تصوير دار احياء التراث العربي .
٢٠٧ ـ مصعب بن عمير الداعية المجاهد للاستاذ محمد بريغش / الثالثة سنة ١٣٩٥ هـ دار القلم ـ بيروت .
٢٠٨ ـ المغني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة / ت سنة ٦٢٠ هـ / تحقيق طه محمد الزيني ط / سنة ١٣٩٠ هـ مكتبة القاهرة .
٢٠٩ ـ مفتاح الصحيحين للحافظ محمد الشريف بن مصطفى / الثانية سنة ١٣٩٥ هـ تصوير دار الكتب العلمية .

٢١٠ - مفتاح كنوز السنة / د . أ . ي فنسنك ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي / ط سنة ١٣٩١ هـ نشره سهيل اكديمي لاهور .

٢١١ - المقاصد الحسنة للامام محمد بن عبد الرحمن السخاوي / ت سنة ٩٠٢ هـ / تعليق عبد الله الصديق / ط سنة ١٣٩٥ هـ مكتبة الخانجي .

٢١٢ - مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري / ت سنة ٣٣٠ هـ / تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد / الثانية سنة ١٣٨٩ هـ مكتبة النهضة بالقاهرة .

٢١٣ - مكائد يهودية عبر التاريخ / للأستاذ عبد الرحمن الميداني / الأولى سنة ١٣٩٤ هـ / دار القلم - بيروت .

٢١٤ - المنافقون في القرآن الكريم للاستاذ عبد العزيز الحميدي رسالة ماجستير بالآلة الكاتبة .

٢١٥ - المنهاج في شعب الايمان لأبي عبد الله الحسين الحسن الحليمي / ت سنة ٤٠٣ هـ تحقيق حلمي فودة / الأولى سنة ١٣٩٩ هـ دار الفكر - بيروت .

٢١٦ - منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب الجزء الثاني ط سنة ١٤٠٠ هـ / دار الشروق .

٢١٧ - منهج القرآن في التربية / محمد شديد / مؤسسة الرسالة - بيروت .

٢١٨ - موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي / ت سنة ٨٠٧ تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة / تصوير دار الكتب العلمية - بيروت .

٢١٩ - موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد حامد الفقي . سنة ١٣٧٠ هـ مطبعة السنة المحمدية .

٢٢٠ - موسوعة العقاد / عباس محمود العقاد / ط سنة ١٣٩٠ هـ دار الكتاب العربي - بيروت .

٢٢١ - الموطأ للامام مالك بن أنس / ت سنة ١٧٩ هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي تصوير دار احياء التراث - بيروت .

« ن »

٢٢٢ ـ نظرية التربية الاسلامية للشيخ محمد الغزالي / بحث مقدم لندوة التربية الاسلامية بمكّة في ١١ /١٤٠٠/٦ هـ .

٢٢٣ ـ النفاق آثاره ومفاهيمه للشيخ عبد الرحمن الدوسري / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ دار الأرقم بالكويت .

٢٢٤ ـ النهاية في غريب الحديث / لابن الأثير / تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي / الأولى سنة ١٣٨٣ هـ / دار احياء الكتب العربية .

٢٢٥ ـ نيل الأوطار / محمد بن علي الشوكاني / الطبعة الأخيرة / مصطفى الحلبي .

« هـ »

٢٢٦ ـ هداية الباري ترتيب صحيح البخاري / عبد الرحيم الطهطاوي / الثالثة سنة ١٣٥٣ هـ / المكتبة التجارية ـ القاهرة .

٢٢٧ ـ هداية الحيارى لابن القيم / نشر الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

٢٢٨ ـ الهدية الثمينة / للشيخ عبد الله السليمان بن حميد / الثانية سنة ١٣٧٤ هـ / دار مصر للطباعة ـ القاهرة .

٢٢٩ ـ الهدية السنية / جمع الشيخ سليمان بن سحمان / تعليق رشيد رضا / مطابع دار الثقافة بمكّة .

٢٣٠ ـ هذا ديننا / للشيخ محمد الغزالي / الثانية سنة ١٣٨٥ هـ / دار الكتب الحديثة ـ القاهرة .

٢٣١ ـ هل نحن مسلمون / للاستاذ محمد قطب / ط سنة ١٣٩٨ هـ / دار الشروق .


الفهرس

فهـرس الموضوعـات

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الباب الثاني
من مقتضيات الولاء والبراء

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

المبحث الأول :

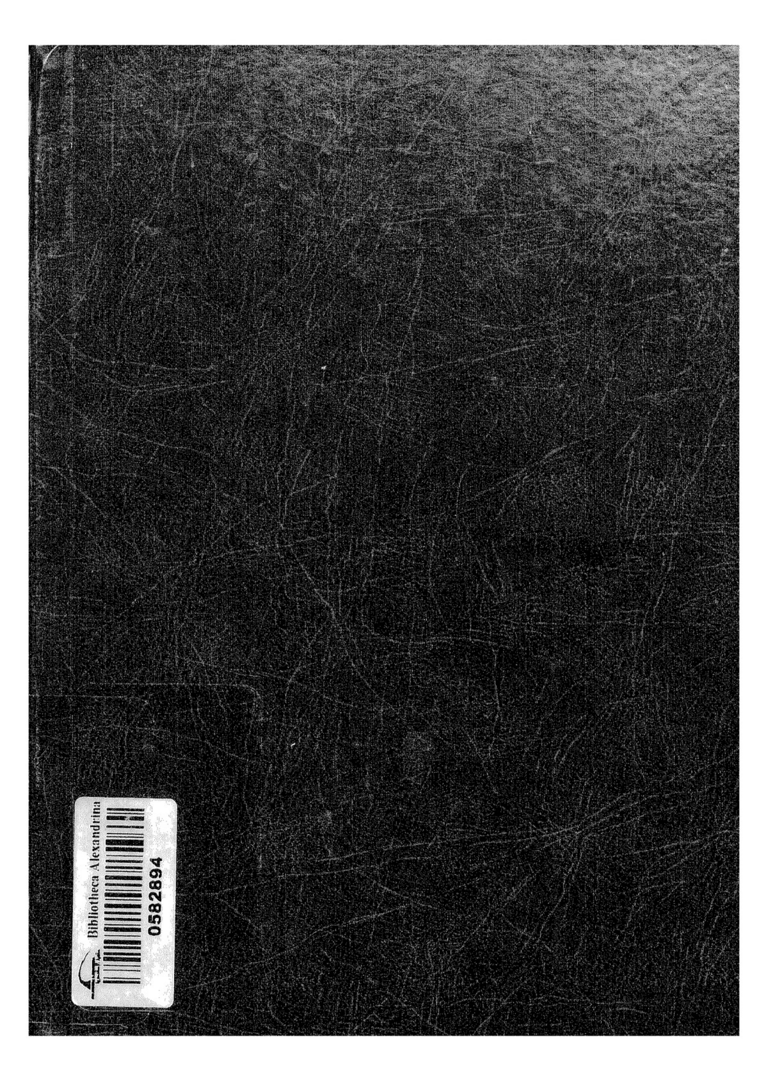
المبحث الثاني :

المبحث الثالث :

الباب الثالث

الصورة التطبيقية للولاء والبراء في الماضي والحاضر

الفصل الثاني : صورة الولاء والبراء في عصرنا


Bibliotheca Alexandrina
0582894